



رحلة فريزر

إلى بغداد سنة ١٨٣٤ م



مرکز تحقیقات کتابخانه ملی و اسنادی

رحلة فريزر

إلى بغداد سنة ١٨٣٤ م



تأليف

جيمس بيلي فريزر

ترجمة

جعفر الخياط

الدار العربية للموسوعات



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ



مركز بيتنا للنشر والتوزيع

الدار العربية للموسوعات

الغازية - ص.ب: ٥١١ - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ / ١١٩٦١٥ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ / ١١٩٦١٥

هاتف نقال: ٢٨٨٣٦٢ / ١١٩٦١٢ - ٥٢٥٠٦٦ / ١١٩٦١٣ - بيروت - لبنان

الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com

البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

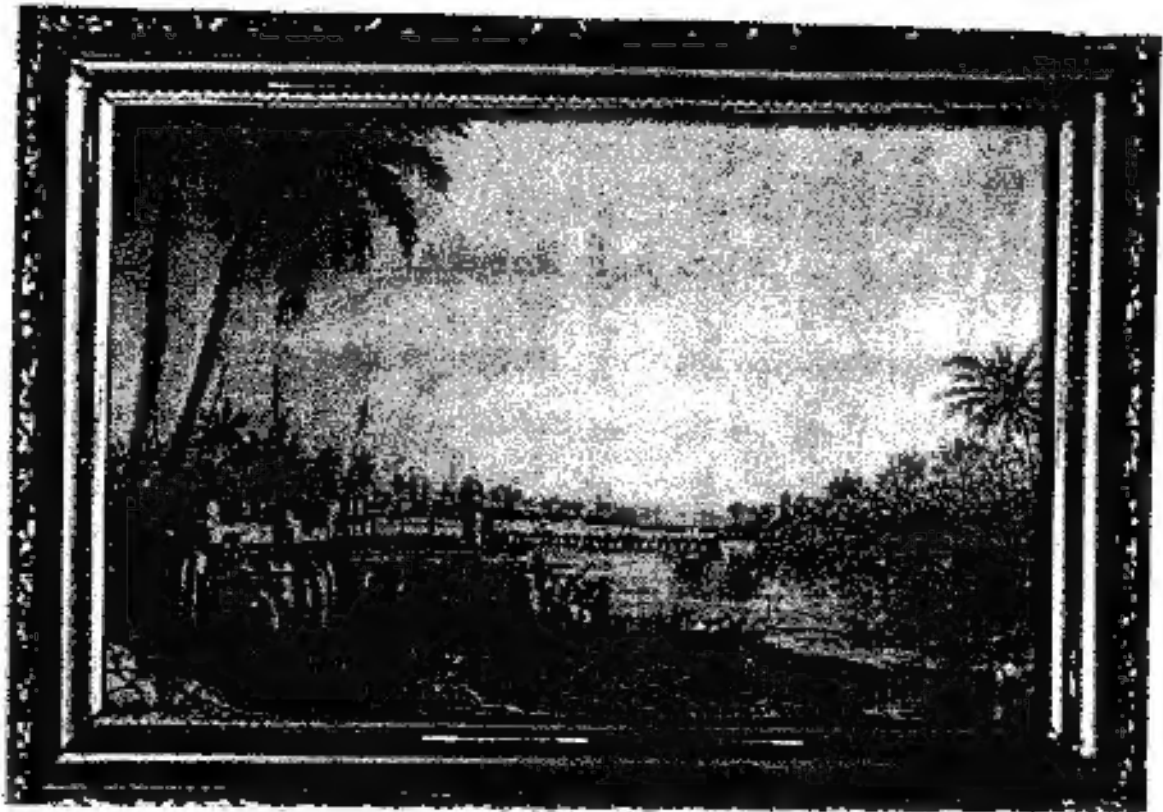
مؤسسها ومديرها العام: خالد العاني

مقدمة المترجم

«... ولم يهتم بالبلاد الواقعة في القسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط سوى حكومات أوربة الجنوبية البحرية، لأن هذه البلاد كانت مصدراً مباشراً أو طريقاً لمصادر الحرير والتوابل والأبازير التي كانوا يحصلون عليها بمبادلة البضائع من سورية ومصر. ومن جراء هذه الحاجات كانت السفرات البحرية لذيّاز ودرغاما قد عجلت الاهتمام بالبلاد الهندية وما جاورها. فمخرت أساطيل البرتغال عباب البحار الهندية قبل انتهاء القرن الخامس عشر، وشيدت في الخليج العربي قلعة هرمز العظيمة في (٩١٣هـ) ١٥٩٧م. وكان تجار البندقية وجنوة يسلكون باستمرار الطريق البري الذي هو بمقام جسر أرضي يربط البحر الأبيض المتوسط بالسواحل الإيرانية. وكانوا في طريقهم هذه يتزلون في خانات بغداد أو «بابل» ويشاهدون النجف أو يتلبثون أيام مرورهم في الزبير.

وهكذا بنى ذكر العراق خاملاً في العالم من قبل أن يعود به، فيجعله قبلة الأنظار من جديد، ظهور الصفويين الذين كانت شهرتهم آخذة بالنمو، ومن قبل فتوحات سلطان الترك الشرقية، وتوسع تجارة الأمم الغربية ومغامراتها».

هذا ما كتبه المستر لونجريك في (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) ليأتي به على وصف علاقة العراق بالعالم الخارجي في تلك الأيام التي وقع فيها فريسة في أيدي الفاتحين من المغول والتركمان. وقد تطورت تلك العلاقة بعد ذلك فازداد اتصال البرتغاليين بالبصرة وخليجها بعد أن ثبتوا أقدامهم في هرمز، وكانت النهضة الحديثة في أوربة يومذاك قد دب فيها ديب الحياة، وراحت أساطيل الأمم الكبيرة تنج في إبحارها نحو الهند والبلاد



بغداد كما ترى من منطقة السعيدية - ١٨٢٧م

المجاورة لها. فظهر الهولنديون والإنكليز في هراتي الخليج العربي، وأسس الإنكليز شركة الهند الشرقية، وحمي وطيس المنافسة بين هذه الدول الثلاث حتى وصل إلى الاشتباك والتصادم. فاحتل الإنكليز حصن قشم البرتغالي المنيع في كانون الثاني ١٦٢٢م، وساعدوا الإيرانيين بأسطولهم في الاستيلاء على هرمز بعد عدة أشهر.

ومع أن هذا الحدث كان يعتبر ضربة قاصمة للغزو البرتغالي في تلك الجهات فقد ظلت المنافسة قائمة على قدم وساق حتى استطاع البريطانيون القضاء على قوة البرتغاليين البحرية في ١٦٨٩م. وعند ذاك ظلت المنافسة منحصرة بين الإنكليز والهولنديين، فأظهر الهولنديون مهارة في التجارة بأساليب غير محدودة، ولكنها غير عنيفة. إذ أخذوا يهاجمون الأسواق بكل سلاح الرشوة والدعاية الزائفة أو المضاربة المغرية. ومع هذا فقد صمد الإنكليز لكل ذلك فكان الترفيق حليفهم في النهاية. وخلا لهم الجو فأصبحت لهم سيطرة مطلقة على المنطقة الممتدة من الهند إلى الخليج، ثم إلى داخل

العراق. وقد تعاضم نفوذهم في أيام الباشوات المتأخرين من المماليك في العراق ومن أنى بعدهم بحيث راحوا يتدخلون في كثير من شؤون العراق الداخلية، ويسخرون نفوذهم السياسي في إبقاء هذا الباشا أو ذاك متريفاً على دست الحكم فيه.

ويقول لونجريك في هذا الشأن، «أما في داخل العراق فإن انتقال البلاد من حالة القرون الوسطى إلى حالة دولية حديثة قد زاد في اتصاله وتعاونه مع الممثلين الأجانب. فقد كانت المشاريع البريطانية من جهة تقوم بخدمات جليلة للعراق من دون أن تطلب شيئاً في مقابل ذلك سوى تأمين توسع التجارة البريطانية. وكان حكام العراق المتعصبون من جهة أخرى مستائين من وجود هؤلاء الأجانب وامتيازاتهم، وصدقاتهم للقبائل، لكنهم لم يقفوا على منع كل ذلك. فإن كبيرهم «المقيم» كان يوسع أن يحطم كل شخص بكلمة واحدة تصدر منه إلى استانبول. وبينما كان القنصل - التاجر في القرن الثامن عشر غير قادر على شيء سوى دوام «الامتيازات» وتركه حراً دون تعرض له أصبح مقيم القرن التاسع عشر وهو المتكلم نيابة عن شركات البواخر، وهيئات إنشاء التلغراف، والأثريين، ومؤسسات الهبات الخيرية. ولم تفتأ بعض استنجات القبائل بالحماية البريطانية تزعج الباشا أشد الإزعاج...».

على أن نشأة التغلغل البريطاني هنا في بداية القرن التاسع عشر كان يتأثر إلى حد كبير بالمنافسة التي كانت موجودة بين بريطانية وفرنسة النابوليونية في الشرق الأوسط جميعه. وقد ظلت بريطانية على وضعها هذا حتى استطاعت القضاء على نابليون أيضاً، وتخلصت من شر الخطط التي وضعها لتهديد مركزها في الهند وما جاورها. وفي حوالي ١٨٣٠م تبدأ المنافسة البريطانية الروسية في هذه الجهات من العالم، وتمتد إلى نهاية القرن تقريباً، لتحل محلها بعد ذلك المنافسة الإنكليزية الألمانية.

وفي خلال هذه المراحل والأدوار كلها كثر اتصال العراق بالعالم الخارجي وتعددت أوجهه، وصار الكثيرون من الأوربيين يقصدون هذه البلاد أو يمرّون بها. ويتجولون في أرجائها. أو يقيمون فيها مدة تقل أو تزيد تبعاً

لنوع العمل الذي يأتون من أجله أو المهمة التي يندبون لها. وقد عمد الكثيرون من هؤلاء إلى كتابة مذكرات أو يوميات عن رحلاتهم وسفاراتهم هذه، فكان بعضها مهماً وبعض الآخر قافهاً لا قيمة له. فتوفرت من ذلك كله ثروة تاريخية غير يسيرة، لها قيمتها في توضيح الحوادث التي كانت تقع في شتى الأدوار التي مرت بها هذه البلاد ولا سيما في «عصورها المظلمة»، على ما فيها من تحيز وتحامل في بعض الأحيان.

ولو أردنا أن نحصر الغايات والأغراض التي كان أولئك السياح المسافرون يقصدون هذه البلاد من أجلها في تلك الأيام نجد أنها لا تخرج عن النقاط التالية: «التبشير، التنقيبات الأثرية، السياحة والمغامرة، الأغراض التجارية، التمثيل السياحي، والانتداب لأغراض فنية أو عسكرية أو طبية، هذا فضلاً عن السرور من هذه البلاد الواقعة بين القارات وخاصة في الطريق إلى الهند وإيران. ولذلك فقد أورد لونجريك وحده في قائمة مراجعه عن العراق للفترة ما بين ١٥٥٣م و١٩١٤م أسماء لثمانين وتسعين رحلة وتقرير ومقالة مسهبة، وكلها نصف العراق وأوجه الحياة فيه بطريقة أو بأخرى. أما أصحاب هذه الرحلات فهم بين برتغالي وفرنسي، وهولاندي وألماني، وإيطالي وإنكليزي، وأرمني وهندي، بالإضافة إلى أربعة من الأتراك. غير أن فسماً كبيراً من أولئك هم من الإنكليز بلا شك.

ومن جملة السياح الإنكليز هؤلاء، أو الرحالين، صاحب هذه الرحلة المستر جيمس بيلى فريزر، الذي كتبها بجزأين وسماها «رحلات في كردستان وبين النهرين»^(١). وهو رجل مهته الكتابة، وقد قام برحلته في عام ١٨٣٤م، فسافر من استانبول إلى إيران بمهمة دبلوماسية وقطع المسافة على ظهور الخيل ثم تجول فيها حتى حط الرحال في تبريز. وأخذ يكتب منها إلى زوجته على ما يظهر رسائل متتالية فيها شيء غير يسير من التفصيل عن كل ما يرى في

(١) J. Baillie Fraser, Travels in Koordistan & Mesopotamia, (Richard Bentley, New Burlington st, London 1840).

طريقه أو يفكر فيه . وتبدأ الرحلة المطبوعة هذه بالرسالة الأولى من تبريز، التي أرّخها في ٤ تشرين الأول ١٨٣٤م. فيتطرق في رسائله الخمس الأولى إلى وصف الحالة في تبريز وكردستان الإيرانية كلها وخاصة منطقة أردلان . وبالنظر لأن هذه المناطق تقع في إيران فقد ضربت صفحاً عنها ولم أقم بترجمتها لأنها لا تمت بصلة قوية إلى تاريخ هذه البلاد. لكنني وجدت من المناسب، بل من الضروري، أن أقوم بترجمة قسم كبير من رسالته الثالثة (المؤرخة في ١٧ تشرين الأول ١٨٣٤م) لأنه يتطرق فيها عرضاً إلى شؤون راوندوز من تاريخ الأصقاع الشمالية من العراق نفسه. وقد أهملت كذلك قسماً غير يسير من الرسالة الخامسة عشرة (الآخيرة) المطبوعة في الجزء الأول لأنها تتطرق في بحثها إلى عشائر عربية تدخل في داخل الحدود التركية أولاً، ولأن البحث المتروك يعدّ شيئاً تافهاً لا قيمة تاريخية له.

أما الرسائل الأخرى التي يحويها الجزء الأول من الرحلة، أي الرسالة السادسة إلى الخامسة عشرة، فهي التي تؤلف مجموع هذا الكتاب الذي أطلقت عليه تجاوزاً اسم (رحلة فريزر إلى بغداد في ١٨٣٤م). ولهذه الرسائل، عدا ما فيها من طرفة، أهمية تاريخية غير يسيرة. لأنها تجلّو لنا كثيراً من مراحل التاريخ العراقي في أواخر أيام داود باشا أو أوائل العهد الجديد الذي دخل فيه العراق، بعد أن تعاونت الأقدار وجيوش السلطان في القضاء على باشوات المماليك وعهدهم ووضعت حداً لاستقلالهم في الحكم عن الباب العالي في استانبول.

فهو تصف مير راوندوز كور محمد باشا وصفاً طريفاً وتتطرق إلى فتوحاته وطريقة حكمه، وتصف ما آلت إليه الحالة في السليمانية من فقر وخراب بسبب الخلافات العائلية والطاعون، كما تصف مؤامرات داود باشا، والطاعون الكبير الذي أتى على ثلثي سكان بغداد في أيامه، والغرق، والخراب الذي حل بالبلاد في أثر ذلك. ثم تتطرق إلى استيلاء علي رضا باشا على بغداد وقضائه على بقايا المماليك، وطريقته في الحكم مع سياسته العشائرية. وفي الرسائل معلومات مفيدة عن عشائر الجربا وعنزة وعقيل وزيد واستفحال أمرها مع تهديداتها لبغداد نفسها، ووصف طريق لبغداد بعد خرابها،

ولمجتمع بغداد ومحللاتها وطبقات السكان فيها، مع العادات والأزياء والملابس. هذا وقد علّقت على كل ذلك ما أمكن التعليق توضيحاً للحقائق وربطاً لها بالحوادث التاريخية العامة على قدر الإمكان.

أما الجزء الثاني من الرحلة ففيه تسع عشرة رسالة أيضاً، وهي تتناول سفرات أجريت إلى سلوقية وطاق كسرى، ثم إلى آثار بابل والحلة وما جاورهما، وإلى مخيم زبيد وبعض العشائر الأخرى، وإلى المنتفك وسوق الشيوخ وما حوله. ويلاحظ من هذه الرسائل أن صاحب الرحلة يعود إلى بغداد ثم يغادرها متوجهاً إلى إيران ثانية عن طريق ديبالى التي يكتب عنها شيئاً أيضاً. ولم يسمح لي المجال مع الأسف أن أقوم بترجمتها.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن صاحب الرحلة يجنح في رسائله هذه إلى التحامل على العرب والأكراد معاً بعض التحامل، ويصممهم برصمات ونعوت قد لا تكون مناسبة، وخاصة العشائر منهم. وذلك في معرض التكلم عن أخطار الطريق وتعرض السياح والمسافرين إلى السلب والنهب وفرض الإتاوة عليهم. وإني أعتقد أن هذا شيء لا يمكن أن يكون غير متظر بالنسبة لأرضاع البلاد وأحوال سكانها في تلك الأيام من جهة، ولعقلية الأوربيين واستغرابهم مما يصادفونه في البلاد الغربية عنهم من جهة أخرى. على أنني مع كل ذلك أؤاخذه فيما يصدره فيها من أحكام عامة في بعض الأحيان من دون أن تستند إلا إلى حوادث فردية أو وقائع شاذة لا يمكن أن تتخذ مقياساً تقاس به الأمور بصورة عامة. ولا شك أن القارىء الكريم سيلتفت إلى ذلك.

وقبل أن أختم هذه الكلمة أود أن أشير إلى أن صاحب الرحلة المستر فريزر ملّم باللغة الفارسية على ما يبدو من كتاباته، وله كتب عن إيران منها «القرلباش» و«رحلة شتوية إلى إيران»^(١) عدا كتابه الآخر عن آثار العراق الموسوم «ما بين النهرين وآشور»^(٢). كما أود أن أسجل إعجابي بأسلوبه

A Winter Journey to Persia. (١)

Mesopotamia, and Assyria (N.Y. 1842) (٢)

لكتبي وسعة اطلاعه وثقافته بوجه عام

وكان جيمس بيلى فريزر هذا قد ولد في أهرنيس باسكوتلاندا في ١٧٨٣م وتوفي في ريليث في كانون الثاني سنة ١٨٥٦ هـ مما عرف عنه في أيامه أنه كان سائحاً ومؤلفاً، وقد ذهب إلى الهند في أول دوار حياته، وفي ١٨١٥م ارتد حبل لهما لآباد من الكثير من أحوالها وحيث عاد إلى لندن بعد ذلك عُيِّنَ^(١) لمرافقة الأميرين لإيرانيين للذين كان منفيين في إنكلترا، رصا في مراراً ورجع في مرار، وعاد معهم حتى أوصلهما إلى استاسون وفي ١٨٢٣م تروح أنة اللورد وودوسلي، وهي زوجته التي حل بعث إليها رسائله التي يولف قسم منها قوم هذه الرحلة وكانت بعض الملاحظات الشخصية ولجغرافيه التي دونها في رحلاته وأسهره ذات فائدة حتى في رسم خرائط البلاد الآسيوية.

جعفر الخياط

(١) دائرة المعارف البريطانية



(١)

الوصول إلى أرومية - العشائر الكردية وعشها - البلباس - مير داود نور - راحة الدكتور
 روص إلى المير - مقارنه بين القرى التركية والكردية - مصمم مقر المير الكبير (لأب) -
 أخلاق الناس - أسهم وأزيائهم - عاداتهم - حق المير الكبير إحيان لمير المحرمات
 عدم إقرار المصيب الوحشية والشجاعة قوائم المير وعدالته العقوبات لصارمة -
 الجيش في الميدان - الأسبلاء على عقرة - إخضاع العماديه - ذهاب الدكتور روص إلى
 معسكر المير - مواجته للمير والتحدث معه - معسكر المير - عودة الدكتور روص - تحصنة
 المير وأخلاته - محاولات الاتصال به - علم توفقي في ذلك - توجيهي إلى بغداد عن طريق
 السليمانية

أرومية ١٧ تشرين الأول ١٨٣٤م

إلى سفيره ثلاثة أيام يا عزيزي - من لفرية التي حرّرت فيها رسائلي
 لسفيرة إيت قد أوصلي إلى هذه أسكر لجميل، العريف في القدام، اندي
 بعمر مسقط رأس ررادشت المشهور إذ يقع طريق من صسوح لي ها في
 منطقة سماسر وسهدها، وهي مر تحمل المساطو في أدرسحان

وسيطر على هذه البلاد في الحقيقة عشائر مترحشة خارجة عن
 لطوق، لا يصح حدًا لصرفاتها سوى صعهب السبي واللباس، وهم عشمه
 ذنب فربه اشكيمه كثيرة العدد في يوم من الأيام ي تكون لحال ولسهول
 لمحيطه بذلك ولا هبحان اني لا بعد كنتم عن أرومية نفسه وهم من حين
 وأخر سلّون أنفسهم، ولا بعد من^(١) على جهات سولدور وسررادشت

(١) جاء في كتاب دوحه انوراء لمؤلفه، وهو حاوي الكركوكي عن ردهع عام ١٢١٧ =

المجاورة، وحتى على سوح نولاي في بعض الأحيان وهناك كذلك الرور
 وابهركية ولوجية، وعشائر كثيرة أخرى مباله هي اصلاً إلى أن تسني نفسها
 على هذه الشاكلة، ومن حسن الحظ أن سناً إلى العرب من هذه المنطقة قوه
 مرهونة الجاس تستطيع، على ما فيها من حشونه، أن تمارس تأثيراً مضوعاً
 على هؤلاء النهابين لشرسين وتجبرهم على الانحسار لئلا الضروري، برغم ما
 فيه من تعسف، فحجم بذلك قسماً من البلاد آمنة سالمة يمكن استجول فيها
 في حالات معينة.

هنا يكن محمد باشا، الذي يعرف بمير راوندور^(١)، قبل سنوات قليلة
 سوى دئس مثل سائر الرؤساء، لأكراد وقائد نفوذ محاربي عشيرته التي به
 تعرف بمير اسم راوندور. وقد بدأ سيرته شجيرة والده عن رئاسة لفيلة بحجة
 عدم اقتداره في تدبير شؤونها خلال الأيام العصية على أن العصى يقولون
 اوالد المتقدم في السن كان عيلاً بطبيعته إيم لهدوء والعتد فطلبوا لعدم
 ومعدنه، ووضع ابنه في مصبه وبالطريقة نفسها تحنص من بعض جوانه،
 فتب أقدامه بحزم وقوة وأصبح له السلطة المطلقة في موطنه اوندور
 وأحد ما دئس يعمل على تعزيز سلوته وحجم الأنوع استعداداً لبعاركه
 الفيلة لكن بهضته انحصه بدأ بالحرب التي شبت بين إبرد ودوميه حين
 اضطر الأمير امالك إلى سحب قواته وتحشيدتها تجاه عدو أشد خطراً على

= منهجته ما يلي أن عشيرة الدئس انقاضه بين الحدودين في لاهجان وشو
 وكوهه كانت تقوم بالأعداء باستمرار على سوح دلاق ومواجهه وأرومية لإيرابه،
 لأمر الذي كان يضر بمصالح الدولتين وبناء على الشكوى انواره عن هذه
 «معديات فقد أرسل راني بعدد لمرحوم علي باشا مصرف السنيه بيه براهم باشا
 ثأرب هذه العشيرة وقد قام بهاجمه قسم من لعشائر الموجودة في أبل
 ورهم»

(١) جاء في الجزء الثاني من كتاب (عشائر نغراو انكرديّة) أ محمد باشا، راوندوري
 هو من مصطفى بك بن أحمد بك بن أوغور بك بن أحمد الكبي بن مصطفى بك بن
 علي بك بن سيمان بك بن النساء قوسي بك مؤسس شقلاوة

البلاد بعد أن كان بهم بسحق أمير وتأديبه فاسعَل المبر هذه الفرصة، ولم
يسرحج جميع المباطن التي كان لأمر لإيراني قد حرمه منها فحسب بل مذ
يده أيضاً إلى العرب والشمال ونوه في ذلك بحيث أصبح الآن مسيطراً على
سب كبير من شمالي ما بين النهرين، إلى حد لا صقاع الممسة من أدل
لى كركوك في الجانب الشرقي من دجلة.

والمقول بصورة أكده أن ما يهرب من حمسين ألف رجل يقعون الآن
تحت تصرفه، وتدفع للنصف لأحسن من هؤلاء أخوة هم باسمهم وهم يعملون
بصورة مستديمة لأنه لا يزال يستحقهم في إحصاع المطلق العاصيه عليه،
وهكـ نسع ممتلكاته سرعة لكن الجزء لهم من الفصة كلها هو لتعير
الأخلاقى الكبير لذي حصل في البلاد التي أحصعها لحكمه. من البلاد بعد أن
كان يحتلها أمه من لنصوصر لذين ما إن يجدوا مسافراً يمر إلّا ويحاولون
إيقاعه وسبه، أو يدين بدمون على ذبح المرأة إذا وجدوه بيصه في يده كما
يقولون هم أنفسهم، قد أصبحت حالية من أية سرقة أو سارق، فقد قصى على
صعة لنصوصه من أصلها بعمله متاره إذ صار الذي تكشف بحورته شيء
يعود لتعير يعقب في نفس المكن الذي يكشف أمره فيه، أو قبل من دور
رحمه وتتوقف تعفونه في هذا الشأن على ظروف الحرية، فعاقب المصعب
لاوب مرة سمل واحدة من عسبه أو قطع إحدى يده أو يحدع ألف أحباً
ثم بعاقب المرأة ثمانية تشويه أشد من هـد نفس، أما في المرة الثالثة فإنه
بعاقب بالموت على الدوام

ولا شك أن صرامة هذا القديس سندعهم لظروف السائدة في البلاد
التي يراد صحتها، والحالة فيها فهو قانون رئيس من رؤساء اللصوص يتعدى
من دور حروب أو وجل، ومن دور أن يعفى منه أحد، لأجل أن يسطر به على
بحال عصابته وحيما يعلم الجميع بأن أحكام هذا القانون لا استئناف لها ولا
تفسير، وليس هناك رحمة في عدله، فربهم لا بد أن يرحموا ويطيعوا ولا
شك أن أي شيء نقل عن ذلك في صرامته وقسوته لا يمكن أن يكون مؤثراً في
هذه الظروف فكان لابد وقع شديد بين الناس بحيث صار كل من في البلاد

انحاضعة لحكم امير وسطه لا يمر حتى كس انذهب إذا وحده في الطريق، وإنما يحتر محتر امرية امرية من الموقع، وهذا بدوره يكون من واحيه أن يعث من يحضره به فيحفظه عنده حتى يتم تسليمه إلى صاحبه الشرعي، على أن يحتر امير نفسه بذلك في القلب نفسه.

ويروى عن امير أنه تدهى إليه ذات يوم أن أحد إخوانه المقرين إليه مر راکباً يستد يعود لرجل فقير و قنطف رمانة منه، دون أن يتحصن من صاحبه فعث عنه وواحيه بالهمة التي لم يكرهه، ثم سأل عن اسد الي قنطف بها الرمانة والأصم الذي قطعها به، فأمر بقطعها وتروى عنه قصه أخرى فتدكرنا بعضه مماثلته تؤثر عن بادرشه ندي لا يقل عنه امير صرامه وفسوة فقد وحدث حنة رجل عني قارعة الطويق بالقرب من إحدى القوي، وقد سؤهبها اللاب وسات اوى ومزقه شرّ ممزق فوصل حرها إلى امير نفسه، وأمر بإحرقه اسخرات المعتاده جمعها لكن اسفله لم يتوصل أحد إلى معرفتهم وخيما سئل لقرريون عن حنية الأمر أنقو لنوم على دثاب لعانة امججوره التي سن أن التهمت القسم الأكبر من الجثة وأمر أخير بإحصار لدثاب، وبعد ذلك خرج لقرنه كلها للقصص على لذث لأر سكديها كانوا على علم بأعداده الوحيدة التي تسطرحهم فيه بو غحرو، عن ذلك. وخيما حيء بعض الدثاب إلى الرحل العظيم أمر بتعديدها وقتلها قتلاً قطعاً أحدث ترتجف بهوله أوصاف لقرريين مدين شامدوه، حتى أحهدو أنفسهم في اكشاف القلة وسليمهم إلى العدالة لا بعد أنفسهم من الدصير المربع الذي كان يدن عليه ما حدث بدثاب المسكية وهذه العصاة وان بكر بعده لوقوع، فيها بدل على الصوء الذي يجب أن يطرح فيه إلى أعمال هذا الرحل.

ولأحل أن تتسنى لي وصف أمير كتب له على ما يظهر أن يؤثر تأثيراً مهماً في جرم كبير من هذه البلاد الطريقة جداً أراني مضطراً للاستماع بعصر السد المستمدة من يوميات اندكتور روص حسب المقيمة البريطانية سعد الذي أسعته لحظ فسى له أن يقوم برحلة في هذه البلاد لمحطره بدعوه من امير نفسه فرب امير مصطفى والا امير راو دور كان رجلاً عني على ما يذكر.

ويأمل أن يرد بصره إليه اتصل الأمير ماكولوبيل تايبور (لنقيم) ورحله من يوفد له طبيباً إنكليزياً بجذب منه ما عساه من مهاره فاعتمه لكونلوبيل تايبور هذه الفرصة لنمية العلاقات مع هذا الرجل العجيب في احباب، وكلف لذكور. ووص بهذه المهمة الطريفه فتوجه إلى بلاد المير في قافله يرأسها عمه تايريد. ثم لذي كان قد أرسل إلى بغداد للاتصال بالمعتم البريطاني حول اعصيه

عنى أنه من لضروري أن أحركه أولاً بأر الأمير، علاوة على جمع فتوحاته فيما بين الهيرين والمعتم الأسفل من بلاد آشور، كان في ذلك الوقت قد امتد يده إلى بلاد العمادية، الحصنة الواسعة على نوبها حبيبه وعمره، التي تقع في شمال غرب رارسور وشمال الموصل بصد وقد كانت هذه ابله، أو اششويه لأنها كانت في حكم حد اششوب، موضع شئ لجميع ومدحهم لخصه وجمالها وكثافة السكار فيها فقد أجمع عده راح محترمين في تصريحهم لي على أنها تحتوي على ثني عشر ألف قرية، غير صغيرة، نألف كل منها من عدد من الأسر (أو لسوث) يتراوح بين لمتين ولثلاثئة وهذا قول لا بد أن يكون بعيداً كل البعد عن الواقع، لأنها إذا اعتبرنا أن القرية لواحدة تحتوي على مئة وخمسين بيتاً فقط، وإذا افترضنا أن كل بيت يضم خمسة أنفس لا غير محدود لمجموع بلغ تسعة ملايين نسمة، وهو عدد يتجاوز عدد الموجود من السكان في إيران كلها ولذلك لا بد أن يؤخذ لرقم هذا يدل على أن العمادة كثيرة السكان لا عر.

وقد كان يحكمها ناشا ينتمي إلى أسرة كردية معروفة، سبب من الباب العالي، لكن سوء حكمه، والحد الذي قبول به من الآخرين، والرعاع لمحبة، قد أدت كلها إلى إسقاطه عنه فأصبح البلاد منقسمه إلى عده رئاسات محلية صغيرة لا تمتد شئ إلى اسانما الحاكمة لذي كان رجلاً صغيراً أحمق. أصبح سلطه وسطوته على الناس وحسن بصره في قصره لميج الموجود في العمادة، بما كان الأمير يكسح بلاد ومضي على هذه لرؤسات الشحصنة واحدة بعد أخرى وباسعلال الصغار العائلة وحياته دفع اخير الرشوات الماسة ودخل تلك البضعة المهمة، ومن هناك أحد يرحه

جهوده بمزيد من الحيوية للقضاء على ما بقي من القلاع في تلك البلاد على أن العمادية لم تكن قد سقطت بعد حيناً زراً البلاد المذكور روص، وكان المير مهمك في محاصرة عقرة، إحدى القلاع الحصينة جداً الواقعة على لراب، والتي تبعد مسيرة أربع عشرة ساعة من شمال أربين.

وكان الدكتور روص قد غادر بغداد في منتصف مارس ١٨٣٣م، وبين لملاحظات الأولى التي درّجها عن الرحلة التبين الكبير، الموجود ما بين لمناطق الركبة والكردية من حيث السكان والشؤون الزراعية فقد كانت جميع القرى في المناطق التركية مهجورة، لأن السكان قد فروا منها تخشياً ما كانت تعرضه الحكومة عليهم وكل من بقي فيها كان يلجأ بالتدبير من بلاد بغداد، على يد، وحالما كان يظهر في الأفق رحل من رجال الحكومة كان الناس يفرون من وجهه ليحفوا أنفسهم عنه غير أن فافله الدكتور ما إلى وصلت لأناس كوري حتى تقاطر الناس عليها لاستقبال دوبريدش، وهم يضعون لرهور فوق رؤوسهم كما يفعلون في أيام العطل والمسيبات، وترحموا على نقبل منه، ثم هتفوا له حينما مرّ أمامهم.

وقد كان سهل الممتد ما بين ألتون كوري وأربين مكسوراً بالأرهار لمحسطة بألف أنواع الحصرة وأهيجهم. كما كانت البلاد تعج بالسكان ويصف الدكتور روص استقبال دوبريدش في حر مكان بكونه على عتبة ما يكون من لحمل ودرّوعه، من ناحية الملابس ولأرياء ولروح لودية لي كانت تبعث الحياة في تلك المناطق الخالية.

وفي التاسع عشر من مارس تراء الدكتور روص أربين متوجهاً إلى رابندور التي كان يقيم بالقرب منها مصطفى بك العجور، هدف الحاجة المهمة من سفرته وبعد أن اجتازوا بلاداً جسيمة محصنة، معطاة بالكثير من أشجار للوط العسيرة، اذهبوا عدداً من الحمرات لمحمد، وصلوا إلى دمدم محل مقدمة الرحل لعجور الذي كانوا يشرفون منه على وادي رابندور وفلمتها، حيث كانت لأخيرة على بعد مسافة لا تزيد على ساعة ركوب واحدة. ودمدّم قلعة صغيرة مشيدة فوق قمة صخرية شاهقة ينعج رصاصها مثله قذائف، وتشرّف

على بلدة صغيرة تتألف من منه دار حفيرة تنتشر بين غابة كثيفة من اساتس
لحويه بكل نوع من أنواع الأشجار المثمرة وكاتب بلدة رويدور تتألف
على ما يبدو من هذا الموقع، من حوالي ألفي دار متوضعة مع شيء يشبه
لفلعة يقع ما بين لحدن على الضفة الجنوبية من الراب الكبير، الذي كان
يصل من فوقه جسر من جداول الأشجار المستندة على دعائمين حجريين
والمعدة شيء من الأعصاب والرب وقد كان لهم ضيقاً سريع الحزن،
جائشاً عميقاً، لكن الأكلان على بعد ثمان ساعات من نفس هذا الموقع كان
من الممكن لها أن تعرفه. ولم يسمح للدكتور برنارد رويدور، ولا بالجوال
لكثير في المنطقة، لكنه يذكر بين ما سمع من الأشياء التي تلبس نظر شيئاً
واحد على الأحصاء فقد ذكر شيئاً عن عمود من ارخام يقوم فوق قعاء
مصنوعة ويبلغ طوله كنه حوالي ثلاثة أمتار (ثلاثون إلى خمسة وثلاثين قدماً)،
وهو محصى بالكتابات المسحونة فيه، وقد أبدى عدد من الأوربيين من قبل رعة
في مشاهدته في مختلف الأوقات، لكنهم لم يسمح لهم كلهم بذلك ومما
فيل في هذا الشأن أن العمود يعد من ردم مسيرة يومين، والمعتقد أن الملكة
سميراميس هي التي أودته هناك

ولم يكتب الدكتور دوفر عن دندم وسكنها بلهجة مشجعة فقد كتب
يقول عن السكار (إلهم على ما يبدو لا يعرفون شيئاً عما هو حسن في العالم،
وهم يلسو. أسنة خدعة، وبيوتهم أشبه بأقار الخنزير لا غير بصرف إلى
ذلك أنهم وحوش منحهمو الحلقه، لا يعطون حتى ولا خبزة واحدة من
الحليب من دون ته من رصنخ، وكل شيء آخر لا بد أن شرع منهم بالقوة،
وحسبما أعطسهم بعض الأدوية أحدهم يدممون لأبي لم أرودهم بالصدى
اللامنة لحفظها بها على أن ليس السوسرين منهم كان يشبه الناس
العداديس أما صغراء فقد كانوا يربطون شتره قصيره، وسراويل صوفية
قصفاضة، وحديرياً من اللباد لا أردان له، مع أحذية فضية، وجوارب صوفية
كما كانوا يصنعون فوق رؤوسهم لعمامة الكرديّة الخاصة ويلبس النساء ثوباً
أزرق، مع سراويل قصفاضة مشدودة من أسفل حول رصغ الرحلين، وعشاء

مربعة تشد من رابطين بحيث تصح مدلاة من فوق لظهر. أما في الرأس فيس قطعة مدورة من القصب تتدلى عنها دلايات كثيرة تعلق في كل منها قطع من لعملة حول الرأس والرقبة، مصنوعة كلب من القصب. وتعد طريقة السحنة عندهم شيئاً مستعزاً، إذ يمسك أحد المتسلمين الآخر من المعصم الأيسر ويقبض دواعه. وفي كل مساء كان ستة أو ثمانية من المرويين يتناولون العشاء في بيت الأمير، مع عدد من المحاربين القدماء من أصدقاء شهاب. ومما لاحظته الدكتور هما انتشار الرمك بين الناس.

وقد بين أن الأمير العجوز (مصطفى) أعشى لا يرحى له شفاء. وسب ذلك، على ما يرويه هو نفسه، أنه أصيب بالرمد ذات يوم لأنه وضع لثلج فوق رأسه حينما اشتد عليه لحر أثناء تسلفه لحبل لذي وحد فوقه قطعة سميككة منه على أن بعض الروايات تزعم أن عييه قد سُمكتا بأمر من الله، وتم ذلك بواسطة «ميل» مدخس إلى حد الاحمرار بكم، الدكتور روص يؤكد بأن هذا خطأ محض. أما سب تاربه عن «حكم» لانه فهو على جانب أكثر من لشك وعدم إساك. إذ يزعم البعض أن سحبه كانت بالقوة، سيما كان يقرب آخرون إنه افزع بأن مه سيكون أعظم مه تشار به عن «لحكم طوعاً لا كرهاً»

ولدي محمد، أو الثالث، رجة إخوه على قيد الحياة غير أن ثبين منهم، وهم محمود جان وسيمان بث، قد سجن^{١١} في قلعه تقع على بعد خمس ساعات من راوندور. وكان الأخ الثالث حمد بك سوى حاكمة أبريل، بينما كان الرابع وهو رسول بك يتولى شؤون الجيش. يضاف إلى ذلك أن الأمير له ثلاث زوجات من دون ذرية، وسن من المؤمل وهو في الخامسة

(١) جاء في (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) في هذا الشأن «... وكان رويته ر. وندور الصغيره قد انتقلت في حدود عام ١٨١٠م من يد أعور بك إلى مصطفى بك وهذا بعد أن حارب الباسين حرباً غير منقطعة، تروح منهم روح حلب وانصرف إلى توحيد مملكته قوحتها. وحكمها بحكمه، وأخذ الحكومة محمد بك - أي أمير محمد - من يدي والده الوهشتين قبل وفاته. ومات مصطفى في ١٨٢٦م، وتبعه محمد بقل عمه في الحال»

والأربعين من عمره الآن أن تكون له دربه في المستقبل، ولدك يعتبر رسوباً
لك حليفه من بعده

ويسد أن الدكتور قد عمل محفارة في مدمم أبي عاد منها إلى أرسل
ليستقر فيها أوامر الأمير الجديدة شأنه وقد وجد في طريقته إلى هناك أن سكن
إحدى العزى كانوا يأتون بأطفالهم إلى مرأه عجوز مرم دلفرة صدفة،
فأحدث تمنح صواتها عيهم وتعم عيهم بقطع من الحرق الدالية والمقود التي
كانت تاردها أيضاً، فتعق برؤوس الأطفال على شاكه ارفى والله و. صد
الحسن وبعاً للشر وقد وجد الدكتور أن الأكراد مثل سائر الحليس كنهم لهم
عقدة قوية بالحرفات الكل نل وكل قمة كان به عيريته لحصن، وهذه
دلفر من راوندور معاره ملأى بالعصيريتا فقد سمع من هناك في ١٨٣م
مدير سدافع وهي تطلق في اتجاه البلدة، فأعقب ذلك سائر الطاعون في
الحا، وصلت الأحرر تتأثر عن هذا الحدث لمدة شهر أو شهرين حتى
اقتطعت فحاة هي والطاعون مرة واحدة وقد أيد هذا عدد من الدس
المحترمين وعدوه شيئاً حقيقياً

وبدل الملاحظات التي توصل إليها الدكتور روص في طريقه إلى أرمين،
وبعد وصوله إلى هناك بمدة من الزمن، على أن انصفه الكردية لم يرق نه
كثيراً، إذ يظهر ما الملاحظة التي أوصده فيها مهندره نابردك إلى مدمم
وبحلى عنه فيها أن ندلاً في عبر صاعحه قد طراً على المعاملة التي كان يعامل
بها نظراً لعدم وجود من يجبر الملاحين لحلاط على السلوك الحسن معه. فهو
يقول: "إنهم أناس لطيفون بمصدر كاف حتى يحبرو، على رفع الكفه وعد
ذلك سدو طسعتهم المسحومة - فلا يوجد عندهم سحاء حقيقي ولا إكرام
للصنف - وهم يحتفلون، بذلك تدم الاختلاف عن الفائل لعريه التي تعطي ما
عندها عن صينة خاطر، وتساوق فيما بينها لتندم الهدايا" ومع ذلك فإنهم لم
لم يؤخذوا من محيم لآخر بصفتهم أصدهاء الشيخ فإن نفس الأشخاص الذين

(١) سنة بعد ذلك بحاكمية العماديه التي ألحها به

كانوا يملكونهم معدنة حسه ربما كانوا سيعمدون إلى سبهم وسجريدتهم من
ملايسهم

وقد اصلع الدكتور روص في أرسن على الكثير من أحوال الأكواد، وهو
يتكلم بشدة عن ميولهم المضة وحرصهم على الشهيح فهو يقول «إن طبيعة
الكردي محبولة على الحرب، لأنه يُدب عليها من المهد، ولا يرتجح مطلقاً
من دون الاشتباك مع لغير أو خوض المعارك، فقد وجدت صناد لا تريد
أعمارهم على اثني عشرة أو خمس عشرة سنة وهم يعانون أوجاعاً من خروج
بلعة كانوا قد أصابوا بها في معارك متحرة، وقد علمت بأن معاركهم معارك
دائمة للعنية، وهم يبدأونها بإطلاق النار من السدق لكنهم سرعان ما يعمدون
فيها إلى الحاحر وليس ذلك من فيل الصحيح أو التهويش المعروف عند
العرب، وإنما هو قتل عفيف يؤدي في الغالب إلى قتل الكثيرين وحرصهم
وهم يرددون حكومة بغداد وحيشها ادرء متاهياً، ويقولون إن المدينة لو كان
قربها أي مع لهم بما استطاع الأراك أن ينفقوا في وجههم يوماً واحداً دون
احتلالها، وقد وجدوا الفرصة سانحة للاستيلاء على أرسن وآلون كوربي في
بعض المسمات، وهم يسعون استيلاؤهم على أرسن سوى ساعة واحدة، وهم
لا يعمدون في الحصول على احتياجتهم على أية بلاد حرة إلا بلادهم في،
كل ما يحتاجونه يتم إنتاجه في بلادهم، ومع أن جنابهم تكون مواقع دفاع
حصنة مسعة بجبه المحتلن الأحاس فإن وديتها وجهتها الوعرة تسح بقبيل
من الجهد كل ما يرغبون في ردا عنه بوفرة، وترودهم سحبه لا نصب من
الحشب والماء والمرعى»

ونعطي اسلاد المحطة نأربين من لاشا لالترم للشيوخ مطقة مطقة
بالطريقة التي يسير بموجبها النظام لإقطعي المعروف فإن عشائر في العربة
نحصح للاشا^(١) وبعث بقطعة غير سيرة من رجالها لجشه، الذي كان
حينذاك في عقرة وقد كان لاشا على ما يبدو محبوباً عندهم، أو محبوب

(١) أي مير راوسوز.

الجانب، وقد يكون ذلك دشتاً عن الصرامة التي تتصف بها حكومته فمن المأمر أن يسمع شيء عن السرقة والتصوصية، ولا تعلق باب من الأبواب في الليل مطلقاً ومع ذلك يندر أن تصق عقرة الموت بين ظهريهم وإنما تقطع اليد عن السرقة وتقطع هذه عقداً للفرار من الحديدية، وتسم عين و حده أو عين عن الحرائم لأخرى على أن عقوبات أشد صرامة من هذه قد تعرض في بعض الأحيان على سبيل العبرة للآخرين فقد حدثت يوم إلى بلاد لمير شح من شيوخ القبيلة العربية طي^(١) مع عشيرته، بعد أن أجرتها على الرحل من دبرنها عبر رحلة فيلة البحر من القوية، وهناك عاش عيشة رضية هادئة في ظل التوايين والأنظمة التي وضعها أمير نكه من الهدوء وتسم الحبوب الذي تعرضه حياة المدعة والعطية، وبينما كانت إحدى القوم تمر بمحيمه أمه مطمئنة أغراء ما فيها من سلب وهب إغراء لم يستطع كبحه في نفسه فالتفت عنها وعنه جميع ما كنت بحمته من سبع وبصائع عبر أن اليوم الثاني ما إن انتهى وحل المساء حتى حصر إلى محيمه نصف مدينة من الأكراد، ودخلوا إلى حيمته من دورا كلام أو مراسيم ثم احتروا رأسه على يديه وعادوا من حيث أتوا بهدوء.

وحسبما كان المذكور في أرسل فوبل من حارب غير يسير من قبل أحمد بن حاكم أربيل وشقيق الأمير، ورده مستعان بك أحد رؤساء المعسكر وهناك عبره أو لجيش من يتألف من خمسة عشر إلى عشرين ألف رجل، وكانوا كلهم عظماء في معسكرهم لأن عقرة كانت قد تم لاستيلاء عليها من مدة من الزمن ويقع هذا الحصن على قمة صخرة تكاد تكون عمودية على ما يبدو، ولا يمكن الوصول إليها إلا من طريق واحد صعب بحيث لا يستطيع أن يركب فيه شخصان جنأ إلى جنب^(٢)

(١) لا تروا فيه هي المشار إليها تقيم في مظنة الهويرو لنبهه لحيه الكوير لمربطه نلوا أربيل ويرأسها الآن الشح حش الحمود الهزار.

(٢) ن قد نوصف يبطو على العمودية، ولعل صاحب الروحه يقصد به هي نسل ن يور سم حناب في مهنة هذا يستطع ويقو، نكر بها نهشوا لهذه حذاه

وقد كن سكانها يعتقدون بأن قلعهم لا يمكن أن تسولي عليها قوة في العالم، ولم يكن يتظر حتى الناس يسه أن تقع في يده بهذه السرعة غير أنه حدث ذات يوم أنه قد هوجم هو نفسه من كمير كانت ثله ستطلاعية تابعة لعدو قد نصبته في مكان خطر، وكذا يؤخذ أسيراً بهذه الطريقة فاعطى أساعه لذلك بحيث به سار في صباح اليوم التالي على رأسهم لمهاجمة ذلك المكان اندي تم احتلاله بالفعل خلال ثلاث ساعات بعد أن حسر منه وحسين من رجاله فقط نالدهش كرد العمادية لهذه المفاجأة الفدة بحيث إهم تحنوا عن المكان من دون مرید من القتال

وفي يوم ٣٠ أيار وصل كتاب من اسما يطوي على أمره بإبقاء الدكتور روص في أرييل حتى يطلبه هو عى أن يُخدم ويُعامل بعاية الاحرام، فكان لذلك تأثير في تحسين أحوال معيشته وتأمين راحته وفي ٦ حزيران وصل الحبر بأن الأحوال في العمادية قد سوت، فحلى لاش اسامو، سيد باشا، عن منصبه ونصب موسى" باشا في مكانه كما نصب سليم باشا في عقرة، ولما كانت جميع البلاد قد حصصت لحكومة راوندور فقد أصبح كل شيء هادئاً تمام اليهود ومع ذلك لم يصل أي أمر من سموه بإرسال الدكتور إلى معسكره إلا في يوم ٢ تموز، بعد كثير من الاعتراضات والاحتجاجات وعدد من التأكيدات المصيلة عن وصول لاشا سبيع إلى أرسل فالظاهر أن الحاشية على حركات لاشا وسكانه في سرية تامة، وليس في مقدور أحد أن يحزر متى تتم هذه المسيرة أو تلك، حتى ولا أن تعرف لجهة التي ستسير فيها لجيوش إلى أن يتم الركوب

وقد غير الدكتور روص نهر ارب بالكك الذي يصعب بكونه أشبه بـ «عرة نتون» وقد سحب الكك عبر نهر بخصائص اثنين سبب في اوب الأمر إلى انهاء ثم ظلا بحثن على العبور من قبل ركاب الكك نفسه الذين كانوا يقصرون على دسهما بقوة فوصلت الجماعة إلى عقرة بعد مسيرة أربع عشرة

(١) يقول لوكرين في (أربعة دوان من تاريخ العراق الحديث) إنه نصب أخاه سولا فيها

ساعة وقطع سته وخمسين ميلاً إلى شمالي اشمال الشرقي ويعبر الدكتور
روص كلاً من أربيل وعقرة في شمار بعدد تقريباً

وقد استنسه اشاشا استنلاً حساً، لكنه بعث إليه بمن يعتذر منه شخصاً
عدم قيمه له في مجلسه أثناء دخوله عليه، كما يحب أن يجري بالنسبة لحاده
من حده ملك إنكلترا، نظراً لأنه كان محاطاً بأشخاص ينتمون لخصائهم إلا
مؤخراً ولأن لوقوف بوجوده يطوي على تساوي منه ومن اشاشا في
نظرهم، وهذا مما قد لا يكون من مصححة ر بعهده ويعترف به أمام ملكاً من
لدى داللي لاشا وحلاً وسيم المظهر محاً للحبر، يبلغ الخامسة والأربعين
من عمره تقرباً كما وحده أنص اشرة تدويه اثا الحدي وقد عورت
إحدى عبيه وأصبحت مخصصة معتمه وكانت لحيته تلغ حوالي اثني عشرة
بوصه في الصول، ذات لون بني خفيف، ولم يمشط بصبغها الأسفل وبذلك
كانت ملد بعضها بعض أما من نواحي أخرى فقد كان مرتب اللبس
وابهده. وكان حدى رحله مصابة بالعرح لرفسة أصابته من أحد الحبوب،
كما كان يتكلم بصوت حاد وقد دخل في حديث طويل مع الدكتور روص
أكثر من مرة، في مواضع عامة غالباً. واستمر منه عن طريقه لتعليم في
انكلترا، وديانة أهل الهند والصين متصوراً أن الصين كانت تابعة لنا على
شاكدة الهند وقد كان يرغب كذلك في معرفة علاقات إيران وروسيا ثم
استمر في مسألة أخرى عن أشياء كثيرة مثل اسعمالات الأنوية وتأثيراتها،
وحاله اللبس في أثناء المرض، وعن اصاعود وابهده وغير ذلك وانتقل بعد
ذلك إلى موضع لحرب، فنحدث عن الطلحات والمسدسات، وأحرج
صبغه إنكليزية قديمة ذات صيغتين وثديفة، فكنت هذه مع سيف ومرقب
(تسكوب) وشمسية وسرير خشبي وعدد من المحاور تكون لقسم لأكم من
ثلاث حيمته وفيما يقرب من حيمته لحاصة كانت هناك خيمة واسعة ذات
عمودين يعقد فيها الاجتماعات قبل الظهر وفي الليل وهو لا يذهب إلى النوم
مطلقاً قبل بزوغ الصجر، وبعد ذلك ينتم إلى التاسعة أو العاشرة من صباح ليوم
الباقي وسير لصلاة لأحيرة ربع ساعة يعرف حوى صاحب شتاً من
الموسيقى، وفي وقت الصلاة تطلق طلقة من المدفع

أما القوة الموجودة في المعسكر فقد علم الدكتور روص أنها تقدر بحوالي عشرة آلاف رجل فقط، وهي لا تكاد تساوي نصف الجيش الأصلي، فقد سرح في الرجال إلى بيوتهم للقيام بمهمة الحصاد ولا يمتد المعسكر بصلبة إلى الصدم والسوق العسكرية شيء، على أن الشيء الطامي الوحيد هناك كان الصدف حذقة من الحميم الصغيرة حول حيمة الدشا، وهي تحتوي على حرسه الحاصل الذين يسعون ثلاثة آلاف شخص في عددهم وهؤلاء يكونون حذامه في نفس الوقت ويسلح المشاة بأساق والخاجر، كما يسلح انفرسان بالرماح والخاجر. وكل رئيس قبيلة يحيم فيلته من حوله في محرب عن سائر القبائل، فتؤدي ذلك إلى نشوبه مظهر المعسكر نفسه لأنه يمتد والحالة هذه إلى مدى يفهم منه بلبسة لقواعد الحرب الأوربية أنه يحتوي على خمسين ألف مقاتل ومع هذا فرغم هذا لا احتياح إلى لطفه واشترت لم يكن يسمع منه ولا صوت واحد، ومر الممكر أن يصل كل فرد منه إلى المكان الحميم في طرف حرس دقائق فقط وقد كان الرجال يتمربون من لقاء أنفسهم على الرماة وإصابته لهدف يصوره مستمره وفي كل مساء يتناول ما بين المئة والتمتي حندي عشاءهم في حيمة المشاة مسعين في ذلك دورة خاصة تساوي العشائر جميعها وقد شوهد عدد من الأسرى في المعسكر وهم مقيدون بالحديد في أعناقهم وأرجلهم ويقول الدكتور روص إن المشاة معدة على شراء عاتيه وأسلاب الحرب جميعها بسعر تسوي صعب ما يدفعه لهم لأحرون.

وفي اليوم الثامن من تموز ترك الدكتور روص معسكر الباش وسلك طريق الموصل وفي لجانب الآخر من العراق وجدته فارس عربي من قبيلة ألبو سلمان مستعدين لتوصيته خلال ما تبقى من مملكات مير رولدور وأعرض على هذا العدد الكبير من الرجال بكر رئيس هذه القبيلة من الحياة أفهمه بأن الأمر لتي يلقاها تفرص عليه ذلك، وأنه لا يستطيع التحلي عن أي رجل منهم ويعزم لدكتور هذه الفرصة هنا يشير إلى لتأين لموجود في عادات موطني هذه المشاة وموطني المناطق التركية فهي اللحظة التي دخل فيها هذه الجهات بوته بصلبات الخشيش، وبعد تجريبه من كل ما كان يمكن

أن يكون قد حصله معه فإن الأعداد لم تكيد نعوذ إلى مرله طالبين لمريد. أم هي ممتلكات روبرت وذا ليجشيس. يذكر قط هذا وقد أحرى الدكتور مقارنت في كل ناحية من لوجي من حكومة عبي نام في بعدد وحكومة المير، وهو يعطي الأفضلية للأخير ويشير إلى أحاديث الحياة التي كان يصرح بها علايته بالنسبة لعبي باشا، سيما كان الإطراء ونشاء عبي المير يفتح بهم لجميع بصراحة.

وإلى هذا الحد نكتفي بما ورد في يوميات الدكتور دوص. أم لمعلومات لني رودي بها معظم الأشخاص الذين قاستهم، ممن له طلاع كاف في الموضوع، فتتق مع معظم التخصيلات الواردة في هذه اليوميات. فإن شخصية المير وأخلاقه تظهر في أعماله^(١) فهو طموح إلى حد الإفراط، ومستتر تماماً بالنسبة للوسائل التي يصل بها إلى عديته ومغامرته ومع أنه قصر بعد النظر فإنه حسود ومرتاب للعاية وهو على تشعبه بفكره العدالة لحقة التي لا نعرف للمحابة يسخر مددته للحصول على لمريد مما يشع به أطماعه وليس للمجرد العدالة نفسها. أضف إلى ذلك أنه لا يتورع عن سفك لدماء لكنه غير ميل إلى أن يقل الناس بنظر أو بهور، ومن دون سب. ومع

(١) يلخص السير لو تكريت أعماله ومواقفه فيما يلي : وقد ظهرت مهابا الك لأعر - في سلسله غير منقطعه من المصوحات فقد أحصى الشيوخ الأقوياء، وقتل لرادوست في شمال، وقتل من يعود لشورجي، ثم حرد الحاكم الدامي من حرير، وأخذ أربيل وكنون كويري، ونصب أديبه في هذه الأماكن وانقطع رايه وكوي من انبارسين، وأصبح الزاب الأسفل هو الحد. وقد اضطر عبي رضا إلى الاعتراف بهذه السلطة الحديدية فرفعه إلى مرتبة الشا. وفي أوائل ١٨٣٣م سر محمد إلى عقره، وأخذها بعد أن حاصرها، ثم طرد حاكمها سماعيل باشا وبعد أن خلع من الحمادة صبا باشا بسهولة نصب في مكانه خاه رسول بك وصيحت دهوك وراح من نوبع إمبراطوريته فأقام فيهما نصبه عن الجاثن بمسويه العادة. وبعد ذلك غزا في جبل سجار، وصرب - قرى قرية من البوصل، واحتل جزيرة ابن عمر، وأفرغ الديرخانيين لي سسكيك، وكذلك هددت بصيين وعازدين نفسها غير أن هذا كان حده الذي وقف عنده.

ذلك فهو لا يرحم حيفا، سدد السب مهم، كانت أهميته فقد أرى لي أن قلعة من القائل الكردية كنت تعارضة شدة في أثناء محاصرته للحمادية، وضمت متصاديه في ذلك حتى بعد أن سقطت في يده، فساو عليه فوائده وبعد أد خضعها وعانى ما عانى من أجل ذلك قبل جمع من وصب إليه بده من فراره حتى سعت صحبائه عدة آلاف من الرجال وقد فعل ذلك على سسل لغيره للأخريين.

ولا يمتد حسد امير لا إلى العرباء الذين يسبحون في البلاد من دون شغل يتصح به فإن البحار ولعباله وسكان ابلاز المجاورة لا يحتاجون إلى حوار مع في مملكتهم، وهم أحرار في واحهم وعدوهم لكن الأشخاص لقادمين من مسافة بعيدة، وخاصة من بلاد أظهرت به شيئاً من احدى في يوم من الأيام، لا بد أن تعرضوا لتوقيف أو لحبس كجواسيس وقد استفسرت عما سيحدث بي فيما لو رحلت بلاده من دون الحصول على رخصة مسفة منه، فكان جواب الجميع على ذلك أن الإقدام على محاولة مثل هذه بعد غاية في لطيش وعدم النصر لأنه رحل سىء لتفكير (بدفكر) وقد ينصو بي حاسوبا فيسيء معاملتي، وخاصة لأسى كنت سأدخل إلى مملكة من تبرير وحيمة، أندب إصرار، في معرفة لمعاملة السئة التي يمكن أن أعامل بها فانوا لي بأسى يمكن أن أحجر في مكان مبيع حتى يسكن أن يعرف ما يريد، لمير عبي، وبعد ذلك قد أطرده إلى خارج البلاد بصرفه لا يتسنى لي أن أرى شيئاً منه على أسى قد لا أقبل بالعف في داخل مملكاته حرصاً على سمعه الطسة، لكسي من المحتمل جداً أن أقع فريسة بلصوص حاسماً أعبر الحدود في طريقى إلى الخارج، ومن السهل أن يحبس هذا في بلاد مضطربة مثل هذه^(١)

(١) له يكن مصير هذا الرجل تعجب كما كان من يؤمن أن يكون فقد ثوب بدمه المنصره وذائره على لممتلكات اتركة حركة قوية صده في انا، أعلى لا راحة عيه رشيد باشا (الكرديكي)، الذي كان يقود الجيش في ديار بكر من جهة كردستان، وهاجمه علي مات والي بغداد ومحمود باشا (البيرواني) والي الموصل من جهتي الجنوب والعرب فذاع المير عن نفسه ببسالة وإقدام، وهو كانت جيوشه =

وقد كان ذلك كله موضع الاعتبار الجلي عندي فإن شخصية هذا الأمير العجيب، وانتقدم السريع الذي أحضره في لسلطه واسطوة حلال السنوات لحسن أو السئ الأخيرة، مع التبدل لأخلاقي الذي كان من الممكن أن يحدثه في هذا الجزء من أسية. قد جعلت من المحرم علي أن أراء وتعرف عنه، لأتأثر مقدار لصحة اسطوية في الروايات التي تروى عنه وبهذا التفكير سلمت من المعتمد كتاب إليه، مع بعض الهدايا، وكان عرصي من ذلك أن أقدمها إليه شخصاً بعني باعتبارها بديه علاقه صداقة يمكن أن تكون مفيدة وملائمة فيما بعد. وكانت حظي في ذلك أنني بوصولي إلى أو شوا، وهو مكان على مسيرة يومين من هذا، وعلى بعد سنين صلاً من راوندور فقط، أن أبعث إليه مكتاب خاص أشرح له فيه هويتي وطبيعة لأورق لموجوده عندي وأقترح عليه إذا ما أراد تسلمها من يدي أن يبعث لي دليلاً بوصلي سالماً إليه، وإذا كانت به فكرة أخرى في الموضوع أن يبعث لي شخصاً يتسلم الهدية من عندي. ويمكنك أن تصوّر مقدار أصابي من الحية حينما علمت أن أسير بدلاً من أن يكون في راوندور كما كنت أتوقع كان على مسيرة عشرة أيام منها، حيث كان مهمكاً تنفيذ الحطة التي وضعها

= ملخصه أنه لا استطاع أن يرددي بالهوى التي رحت عليه كلها لكن السير لم يكن محبوباً وكان البعض من صباطه يباين إلى لخدمة، كما كان من المؤكد أن يكون أوست الدين وقفوا إلى حاشه إلى الأخير في المدارس الاعباديه قد أفرغتهم فيه أعلام السططان وهي تفرغ أمامهم أصف إلى ذلك أن نصفا التحمل لحبيبه الرسون ورغم الإسلام الديني معب لأكراد عن مقاومة جنود السلطان بأسلح وقد شعر نجبر بهذا كله وبعد أن أضاع قلاع الحصه وحده بعد أخرى ستسلم في نهايه اب ١٨٣٦م لعلي باشا والي بغداد فأرسل محفوراً إلى إسطنبول حيث أنقي بحجر شه مبجل لمدة قصيرة، وعقي عنه بعد أشهر قبيلة ثم عين حاكماً في بلاده بالذاته بعد أن أعطي عهداً بأسلوك الحسن لكنه لم يصل إليها قط، ولم يعرف نسب في ذلك، لاشك أنه قتل في طريق مأمور من سيده الأعلى (حاشية صاحب الرحلة عنه، والظاهر أنها كتبت أثناء طبع الكتاب بعد عودته إلى بلده)

لصوحاه . وهكذا فإن مر سدي في هذا الشأن كنت مسعوق عشرين يوماً على الأقل علاوة على عشرين يوماً أخرى كما سأفصّلها أنا في الذهاب لمقدراته وعودة بعد ذلك . وهذا تأخر ليس من الممكن لي أن أتحمّله ناسه لم يسر لي من الوقت . ومهما كان مقدّر ما عدي من لرعة في القيام بمثل هذه المهمة الطويلة ، كانت هناك أسباب كافية تعيقني عن وضع خريتي وحياتي في موضع لهنك بالذحول إلى بلاد لمير من دون لحصون على الرحضة اللاد منه . وعلى هذا فقد صحت مرة أخرى ، بكن إحكام ، دله أجب الذي كنت عارماً على انقياء به . وبعد أن اكتملت بالحصول على أحسن المعلومات التي يمكنت من لقصها عن هذا الأمر العجيب توجهت إلى بغداد عن طريق السليمانية .



(٢)

الوصول إلى السليمانية - زيارة الصايط الإيرانيين له - زيارته لباشا في السليمانية - وصف
الحالة فيها - وصفه باشا وحديثه معه - جلده في مجلس الباشا عن بعض الخرافات
وصف السليمانية - حادث في مقبرة السليمانية - استئذانه بالسفر وتقديم بعض الهدايا
منه من زيارة آثار شهرزور - مقابلته للترتيب قائد القوات الإيرانية في السليمانية - مغادرة
السليمانية مع دليل إلى كفري - وصف الطريق - النمر كاهات - ذكر الحاف والهمارند
البرول في رالة - المهندار والفرويون - التوجه إلى ابراهيم خانجي - سليم أغا دلو - حالة
الأمس في الطريق - قرية ابراهيم خانجي - رسم آغا - وصف الأكراد - الوصول إلى كفري

السليمانية أول تشرين الثاني ١٨٣٤م

عزيرني

قل يومين حروب رسالة إليك، تكسي وحدثت أسى لا بد أن أحدها معي
إلى بغداد لأنه لا يوجد بريد إلى لندن هنا. جاء إلى ريارتي يوم أمس بعد
القطر بعض نصايط الإيرواس^١ الذين يعودون الحشد لإيراني لمربط ها

(١) كاتب السمعانه في هذا العهد نابعه إيراني، وكان يحكمها محمداً سليمان باشا بن
عبد الرحمن باشا بابل تحت إشراف حامية إيرانية ترابط فيها. أما السبب فهو النزاع
لعمالي الذي كان يخدم يومئذ بين الأخوين سليمان ومحمود، واحداً من عمو
نوري الحكيم وقد أدى هذا الخلاف بينهما إلى الإساءة في أحضان إيراني، فغاده تركيه
بارة أخرى، وتجاه لاجور كليهما إلى هذا المذهب في بولاء عدة مرات
واحقيقة أن أهما عبد الرحمن وأعمامهما قد فعلوا ذلك من قبل أيضاً، فكأن
حالهم هذه من الأسباب لمهمه للتصادم الذي يكرر حدوثه بين إيران والدولة
عثمانية في تلك الأزمان. كما كان من أسباب أفول نجم الدارسين والخطاطين =

فروا روايات مؤسفة عن لحاله العامة هذا، لكنه لم تكن اسراً مما تدل عليه لمظاهر وتوبيده. وبعد ذلك ذهب لزيارة الباشا الذي ألقاه في حمته محاطاً بعدد من الأكراد الرسميين، ولكن من دون مصهر فحم أو أهبة ذات شأن مسكين مرحلاً! إنه لا أمل له بذلك. فبن باشويه لسليمانية لصغيره، غير لعبة مطلقاً ولا انقوية، كانت فريسة لمجموعة من الكلاب التي أرسلها إلى حميض لبعاسه فقد داهمتها أولاً البراعت العائيه، أي الحرب الأهلية لشدة بر أحوير بشدون النفوق واستطاع فأدى ذلك إلى تدخل أخيه بطبيعة الحال، ووقعت الباشوية التي كانت تابعة إلى باشويه بعدد من قبل في أيدي أمير ترمشاه الإيراني محمد علي مرزا على د اسراعات له حلية والهيجات طلب مسمرة، حتى ضعف الفريقين بحيث بر حارهما مير (١) بدور (٢) وخذ من المناسب بعد موت محمد علي مرزا ان يكسح البلاد ويلحق حراً غير يسر منها بهاربه. فحسب به ذلك حرباً مع الحكومة الأترسحانية التي عرصت سلطنتها على هذه الجهات، وحثت على السيمانية لمكودة اطالع ان تقوم بأود الحش الإيراني علاوة على دفعها الأتاي لإيرانيين ثم داهم البلاد الصاعور (٣) الذي هو ما يريد على نصف لسكان في اسدة وم يحيط بها من الريف ام انصف الثاني فقد هاجر من استطاع منهم ان يترك البلاد إلى أماكن

= شأنهم ويندرج فيما يلي ما ورد في (أربعة قرون) في هذا الشأن... ولم يدم تسوية الأمور التي أجريت في المملكة الروسية في ١٨٢٣م (أي معاهدة أرضروم الأولى موقعة في سبور ١٨٢٣م) فقد تلاها أول وجه من أوجه النصال الطويل بين الأخوين محمود باشا وسليمان باشا وحلف حامية إيرانية في السليمانية حتى توفي فتح علي شاه في ٨٣٤ م. وكنت لمملكة ابابانية في تحقيقه حده بالاحتياط منذ مدة فكانت على هذا العهد تهيمن عليها إيران حمته بم تقفها فيها تركية يأر ومن كان وقد سبب حله الدع بين الأخوين الاضطراب والعوضى والفقر فأكمل لطاعون من بعد ذلك حرب لممكنة *

- (١) إنه محمد باشا الأعور (كور محمد باشا) المار ذكره في الرسالة السابقة
- (٢) وهو نفس لطاعون الكبير الذي نكس في بعدد ومن حولها نكس كذلك دربعاً فيها في أو حراً أيام داود باشا، كما سيأتي تفصيله في رسائل قادمة من هذه الرحلة

تحف فيها وطاه الأعياء والأورار أي إلى راوندور وكركور وأربيل وسائر
المناطق السكانية في البلاد المستحصصة، بعد أن وجد أن لا معين له على التبوؤ
ولا من يعمل على إبقاء الناس من الضرائب الحكومية وعلى هذه الشاكلة
تقوم إيران بتقوية أسدانها واصداف نفسها لكن الباب لمسكين كان أضعف
أسس على إهلات من العاصمة، وما هو يجلس الآن بين حمام العظمة
العامرة مرتكاً متحيراً إلى أقصى الحدود بحره الاستجابة لجميع الطوائف التي
تقدم إليه، مع أنه غير قادر على مقاومتها. وعلى هذا فلا أخالك تعحين إذا ما
علمت بأسى وحدث الهيل من الأهم والصفحة، و حتى أسط و مشاش بعش
المريح من حونه. فقد سفسر رجاله من رخاى عما إذا كان عدي شيء من
السجاد أو «المد»^(١) ليعرض على لأرض غير لمسطة في الدار لي حصص
لإقامي، لأن مثل هذه الأشياء كان يكاد يندر وجودها هـ فلم أروود دابة
وحدة منها بطيعة الحال وكان حد الأسباب لذلك عدم وجودها^(٢).

ولقد وجدت أنشا شخصاً لطيفاً، مصداً بالنسبة لأكراد وسندو عليه في
الحضرة مظاهر «لعثماني» أكثر من المظهر الكردي فامطري بواس من
مختلف الاستثانة عن الحالة في أوربة، وعلاقات كى دولة بالدول الأخرى،
وحاصه عن العلاقات الموجودة بين الباب العالي وروسية ومحمد علي باشا
وكان على اطلاع غير قليل بشؤون امريك، فعمل على تصحيح ما كان يفكر به
بعض الإيرانيين لوجودين في مجلسه، وبعض رجاله أيضاً، من الأفكار
لقديمة بالنسبة لها وقد جرى البحث في أحوال الهد، وذكر الكثير من
الاحتراعات الحديثة، وخاصة الاحتراعات داب الطابع لحريري وجون
موضوع بحسن هذه السدقيه إلى ابعد في طرق اطلاق النار المختلفة وفي
أحسن طريقة لمقاومتها والسيطرة عليها في مقابل ذلك ثم ادى ذلك إلى ذكر
موضوع كتب قد سمعت تلميحات إليه من قبل كثر من مرة، وهو يقدم بث
تمودجاً طريفاً للحرافة وتفتيشها بين هؤلاء الناس أي بمودجاً لسرعة التصديق
وحسن الية من جهة، وللدخل السليط من جهة أخرى

(١) الكمد بالفارسية هو الفرس الذي يصنع من البير (الحجس) ويعرض في مقام السجاد

والسادة كما تعميرهم من سبل النبي محمد، فكيفهم يقسمون عدة طوائف،
ويتمتع بعضها بقدر من التوفير والتبجيل أكثر مما تتمتع به الطوائف الأخرى
لأنها كما بعد محبوة بمواهب خاصة مستمدة من أصلها المقدس.

ومن هذه المواهب موهبة لا تدعي بها إلا أسر قليلة وهي لقدر، على
تحمل النار وتأثيرها من دون أدنى فقد قيل لي في سوح بولاق أن إحدى الأسر
لمحوبة بهذه الموهبة كنبت تقسم في قرية غير بعيدة عما، ولكن الموهبة أنه
له يكن توسع أحد أن يأتي شخص يقوم بها، ومن بين يدي حبيب أدبت
رعني في مشاهدته هذه المعجزة. إذ يرغم أن الأشخاص الموهوبين هؤلاء
يستطيعون لدخول إلى نور تشتعل به النار حتى يصحح احمر من شدة الحرارة،
وأهم يكومون النار فوق أيديهم، ومع ذلك يصيح المرء منهم إلى بردان،
ويخرج من دون أن يكون قد مسه شيء من الأذى وهم يستطيعون كذلك
إخراج قطعة حديد ساحة إلى درجة الاحمرار من دون أن تصاب أيديهم
بأذى، ولحللصه أنا إذا صدقا ما يقال عنهم فربهم يعثرون مواد غير قائله
بلا حتراق.

وقد كان الصبحك على هذه الحرافة لسحيفة شيئاً على نفس المقدار من
لإساءة وعدم الفائدة، لأن جميع هذه القصص مهما كان مشؤها لما كانت قد
أيدنها عقيدة الأحياء التقليدية فإن دحضها كان لا يمكن أن يتم إلا بإخصاها
بالاحتشار التجريبي الذي كانت الجهات المتمسكة بالخرافات تتحاشاه على
الدوام حيث تكون من المحتمل اكتشاف الزيف المطوي فيها. ولذلك كتب
حينما تفرض عليّ التأكيدات على صدق هذه القدرة الخارقة من جميع الجهات
أحب فقط بأن هذه الأمور قد تكون صحيحة، ولكن الاعتقاد بها من دون شك
أو ريبة يعتبر خارج قدرتي أنا حتى أكون قد شاهدت بأمر رأسي بعض الأدلة
التي لا تدحض - كأن يقوم أحد لموهوبين هؤلاء بإخراج قطعة من الحديد
الساحق إلى درجة الاحمرار من النور بيده العارية ومسكها لمدة ما بأصابعه
هو - وبعد ذلك أقتنع بما ذهب له من القدرة الخارقة، غير أن جميع من في
المحيط أجابني بصوت واحد يقول «لكن الحقيقة لا ريب فيها لأنها كما على

عنه تصديها، فقلت: «مرا! إني حية أجده قطعة من الحايه الحارة لدرجة
 لأحمر» في رد السد مصادق ذلك أن أنصأ، وأعترف بأن مثل هذه القدرة لا
 بد أن تكون من عند الله مهما كنت العاية منها» «ستمعن، أليس كذلك؟» هذا
 ما أحاسني به مررا «براني كان يحاول دوماً استدراجي إني الدحول في جدل
 ديني ثم أردف قائلاً: «وهل سوافق بعد ذلك علم كل ما ستقوله؟ فأخسه
 بهولي» «ولمعرض أنه سيصارحني بأن الله غير موجود، فهل تريدني أن أؤيده في
 مثل هذا الاعتقاد؟» غير أنه رد عني بهول «كلا»، لكن ذلك غير ممكن، وعند
 ذلك أحس «أنداً» أنه كان يحدث عنكم في لائق أن يقوم أناس من بينكم
 مدعون بالنبوة ويرغمون أن يهتم قوى حارقه، بينما كان غيرهم يسكرون وجود
 هذا الشيء بالمرء ولذلك يجب أن تلاحظوا بأنه ليس هناك من يستطيع أن يعد
 وعداً لا شأنه به تصديق جميع ما قد يقوله شخص آخر قبل أن يسمع ما
 سيخبرني به ويعرف ما يد كان من المناسب أن تدع له» فتدخل أياشا وقال «إن
 ذلك حق فمن غير المعقول أن يفعل ذلك». فسكت لمرز ولم يتصور شيء
 بعد ذلك.

ثم قلت «والآن أأحو أن تسمح لي، أياشا بأن أسأله عما يد كان قد شهد
 في يوم من الأيام أحد هؤلاء السادة وهو يقوم بالمعجرات الحارقة» فكان جوابه
 سلبياً وبعد ذلك التفت إلى رجل مسن كان متحمساً جداً في أثناء المناقشة
 وسألته «وعلى شاهدك أنت ذلك؟» فأجابني بهول «كلا»، لكنني كنت شاهدت
 أحدهم وهو يصعب النار في فمه» فقلت «إن ذلك ممكن أن يفعله أي شخص
 يد» و مشعور بيساء ويدل على أن ذلك كله ممكن أن يكون صرخاً من «الحيلة»
 فعلى أياشا بقوله «إنه يقول الصحيح، فقد شاهدت أنا نفسي مثل هذا الرجل
 يقوم بها أولئك الناس ثم التفت إني جمعت من شرك في الحديث من حصا
 المجلس، ولكن لم يستطع ولا واحد منهم أن يقول إنه شاهد هو نفسه أي
 شيء من هذا القيل والليلك استدرج لمرز قائلاً بعدم اكتراث به بالنظر لأنه
 لم يقدم لأب المعجزة المعروفة سوى الأقوال والإشاعات فإنه لا يمكنه
 أن ينظر في أب أسسليم بحكمي أو رأيي الذي لا بد لي أن أحتفظ به حتى
 يكون هو مستعداً لتقديم دليل أقوى مما جاء به من قبل

وفي اليوم التالي (أول تشرين الثاني) تم شيب لأشده البدة وأحصل على فكرة عن الحالة فيها أحسن من الفكرة التي استصغت تكويها بطرتي اسطحه الأولى فأكد لي أن الاطاعات التي تكونت عندي تحت انظره انجازه لم يكن توسع الملاحظات الأخرى أن تحسها في بطري أو تغير شيئاً منها بأي مقدار كان فقد كنت البدة كلها صمك وإملاق، وفدرة ودمر ولم يكن يلاحظ فيها ولا مسكن محرم واحد. كما لم يكن عند أي أحد من اسس، كبيرهم ووضيهم، الرعة اصادقة ولا لوسية الا لازمه لترميم البيوت وتحسين شكلها أو حاشها، ولذلك أصبح الأكرح المقامه فوق أنقاض المقدمه منها أحفر في وصفها من ايجاد الاعيادي كما أن رضى استلمانية، التي تبنى من طيها اندور، هي من النوع الهش الذي يكون قليل المقارمة للعو من الجوبة، فهي نصف حلقا نرت لشأيا فصع عنه أسباب وبأثيرها كادت البدة ن تروى من اوجود تقريباً على ان الاسواق كان مظهرها أحسن مما كنت أتوقعه، بالنسبة لبحله في بقية البدة لأن الاكابر معظمهم وإن كنت مشغلة من قل اناعة المصغير وسعة المفرد الدير يسعون لسلع اناهمه، فإنها مع ذلك تنصف شيء من حسن لمظهر، وكان من الممكن أن يلاحظ تجمع عدد غير يسر من اسس في افسح لمكشوفة التي ساع فيها مسحاب انرى والأرشف عدد قليل من السلباية لا يراى يقيم فيها حوالي ألف إلى ألف وخمسمئة أسره لكسي إذا أردت أن أحكم عليها من المظاهر أهول بأل ارقم الأول الذي ينطوي على مجموع يقدر بحمسة آلاف سمة " على لام هو الأقرب إلى الحقيقة إذا لم يكن أقل منها

ولما كنت بيدة نفسها رافعه في محضر من لأدس فيها لا حكر ان تروى إلا من بعض المرتفعات لمحيطه بها، وحسن مظهر لها بين لناظر من رايتين متخذتين مداور للموتى فهم تصلحون للسكن أحسن بكثير مما تصح له البدة نفسها وسرولي من إحدى هاس لراسر لي كتب قد صعدت إليها

(١) أي بمعدل خمسة أفراد للأسرة الواحدة على ما يبدو.

لأحضر منها على منظر عام للربيع المحيط بها طرق سمعي صوت سائي
يدب بحيث غار، فوجدت عر بعد بين لقور امرأة تجلس بالقرب من قبر
حديث لساء كانت تبكي عليه وتغوي بشارات وحركات تم عن أعماق الألم
وألمه فذهب لسن أمره، نكها كنت على درجه من الانحسار في حزنها
وأساها بحيث إنها لم تعسا، إذا كانت قد أحست بوجودنا حقاً، الأمر الذي
كان من المحتمل أن لا يقع لأننا تقدمنا إلى حيث كنت تجلس وقد كانت
مشغولة سريين انظر نظريته عريه، شاعرة بين الفقراء، وذلك موضع أحجار
صغيرة بيضاء اللون وأشكال عريه فوقه ولكنها بين حين وآخر كانت تكف عن
ذلك فحرك يديها مما يدل على الأسس والتموض، وتتقوه سبرات مهووسة عن
العم واللم الحاضر الذي كان يدب على شيء عر مساه من المحبة والنعلو
وقد أثر حزنها ونفاق عطفها حتى عسى لحنه الذين كانوا يسرون من ورثي.
وهم القساة القلوب في لأحوال الاعتداليه لأن ذلك كله لم يكن شيئاً يراد به
التصنع، أو الظهور بمظهر الحزن أمام الناس فقد كانت المسكينة تجلس
هناك وحده في بدستها، بعيدة عن سماع أي كان من الناس وبصرهم، عده
المارة العابرين مثلاً، وهي تفتأ تحزنها في أدبه هو وحده، الذي وجد من
المناسبات أن يترتب بها السلو

فقال أحد الخدم إن هذه المسكينة لا بد أن تكون قد فقدت زوجها أو
ولده كان معها الوحيد، لأنك ترى يا سيدي أن مثل هذا البدب لا يمكن أن
يصدر إلا ممن فقدت وحيدها أما الذين لهم عوائل فيمكثون في بيوتهم،
وهناك يكون ريدون.

وهي هذا اليوم ظلت لي اسأنا أن يأذن لي بالسفر بدم وبنود ما يدعو
لي اسمرر مكوثي في عصمتي، ويكونه هو المسكين كد مشغلاً حدث
شؤونه الخاصة بحيث لا يستطيع أن يعير التفاتاً كبيراً لصيوفه. على أنه كان قد
اعسم الفرصة وأشد إلى خادمي من طرف حفي من هد عما إذا كنت يدب أيه
مدقية أو مدس أريد مادلتهما بخيل أصبه، فإنه كان يسره أن يفعل ذلك
ولما لم يكن لدي أي مانع من ريدو عدد حيولي، بوجهة حصان كردي أصيل

إليها، بعثت سدفه رائدة كانت عدي ومسدس دي سطاتين لأحسن أن
 يتفحصها ويرى رأيها فيها غير أنه قد تبين بأنه كان قد تبارل عن تلميحته الأول،
 وربما كان مسدس في ذلك أنه كان يأمل من هن أن يعهد للعص من هذه
 لأشياء طريقه إليه على شكل هدية، حيث إنه لم يوافق على عبادلته شيء
 فأعيدت إليّ وعلى هذا الأسس بعثت بعض الحاحات الصغيرة التي كنت
 أعتقد أنها يمكن أن نحظى بالقبول عنه كهدية. فُقبلت بتعارف وكلام لطيف
 لكن التناقض القليل، ندي طرأ على الترحاح الذي فوجئت به هذا اليوم بي إلى
 لثك في ن آمال سموره لم تتحقق على الوجه المطلوب، فأعاقني ذلك عن
 تكرار الزيارة به.

وفد اضطرت اليوم أيضاً إلى التعرض لإحراق بحر من الإحفايات
 لمكدرة المدلة التي يتعرض لها الرحلون في البلاد لعلقة مثل هذه. هناك
 على بعد عشرين إلى خمسة وعشرين ميلاً من السلمايه سهل متسع ينتهي به
 لوادي^(١) الطويل الذي يستمد سمه من اسم المدلة لمشهورة فيه، وهو
 يحتوي كما يقال على بعض الأثر القديمة التي لم يرتدها إلا العلب من
 لأوروبيين حتى الآن. ومن لأشياء الأخرى التي يعطي الأهمية لهذا السهل أنه
 يحتوي على مرفع مدينة كان يسميها الأدموند سارورس Siazurus وتعرف
 أطلالها حتى اليوم عند الأهليين باسم شهرور. ولا بد أن نسلك في الحال
 من تقارب هذين الاسمين مقدار الدقة التي يشعر بها لمحتصون عند البحث
 فيه ولو لم يدع لواجب صديقي ماكيل للعودة إلى بكثرة، فقد كنت أمل
 أن آتي به إلى مثل هذا المكان البعيد ونصب معه عن آثار شهرور القديمة.
 ولكني حينما أحبط ذلك لمشروع وعدته هو ورعدي نفسي أن أذهب إلى هناك
 بنفسي وأقنع على ما يمكن أن أجده أو أعثر عليه وعد وصولي إلى هنا قد مضى
 طبعاً إلى الناشا لنادي بي السهر إلى هذا الموقع ويرودي دليل يساعدني على
 زيارة هذا الجزء من بلاده. فم بصدره أنه أي أعراض نأدي دي نداء سوى
 بعض الملاحظات التي أراها معدم وجود شيء هناك غير بعض النشم والتلال

(١) لا شك أنه يقصد وادي شهرور

لما أتى بك المخار والآخر، وبعد وجود أسية أو صخور مسحوقة يمكنه
 عتوف أن لتلال كبيرة حدث، وأن هناك عدة مجموعات منها يقع كل منها على
 بعد غير يسير عن الأخرى ولم تكن هذه لملاحظات تشيبي عن رعي في
 مشاهدة المكان، وبذلك يمكن أن يحكمي على مقدار ما أصابي من الكدر
 حين قال: لا، عما بحث المحام ليأتي بي بالدليل الذي كان سأحدثني
 لمشاهدة المكان، بأنه لا ينبغي من الذهاب إلى شهر رور، ومشاهدتها إذا كنت
 مصرًا على ذلك لكسي إذا كنت سأقوم بذلك المحاولة فإنها ستكون محالفة
 لرعيه وم يشبهه عني فإنه يعتقد أن المكان المذكور هو ملتقى المصمص
 والشفقة، وقد ما حدث لا سمح لله شيء لحيوي فإن شرفه هو سيمس بحدث
 ليس في مقدوره أن يسمعه و يلاحظه ثم قال: بهم أكراد - بهانه - ومن هو
 الذي يستطيع إلا به على ما يمكن أن يصعبه نداه - لأعره - بما سنده أعينهم
 من الشرة الكيرة التي يمكن أن تقع في قبضه أيديهم و خلاصة أي كان
 يمكن أن اذهب على مسؤوليتي أنا لا مسؤوليته

وهذا توسع في الاعتراض تعرف أهميته في لشرق معرفة حدة، وكثيراً
 ما ينتفع به في الظروف التي تكون فيها العدية لمنع عن المصام شيء من الظهور
 مظهر المعارض فيه وهو يصح لمسؤولية على عاتق المعارض الذي يصح على
 ما يريد مدعم بتقدير المناسب ويبريء ساحه أو تلك الذين يحاربونه من
 عراقب تسرعه - وهي العواقب التي يعدم المطلعون على استحصه الشرفه
 بناء لعلم أنها يمكن بكثير من الاحتمال أن يعقده عليه نفس الناس الذين
 يقدمون له الرأي فيها

ولدي أسبب تجعلني أشك في أن سبب إحكام انبساط عن الموافقة على
 ريزي شرف رور هو انخوف الذي كان يساوره من أن هذه الرور قد يكون من
 شأنها أن تخلص جهوده في الظهور بمظهر الفقير في نظر الرزي لعام، وخاصة
 في مصر لحكمة لاذ بحابه. لأن ذلك المظهر على ما يقال من أمسي
 الحاطر في باشويه، وربما كان هو يمكن أن عرباً مثلي بسطع أن يحرم
 الحجاب المعصاة بالأمر عن مقدار الحق الموجود فيها وعلى كل لإني بعد أن

حررت كل وسيلة لتأثير على ري الباشا في هذا الشأن. وحتى بعد أن طلب ذلك بواسطة فائد احمد لايراي لمراطة هناك وهو بحكم الضرورة ذو تأثير كبير، وكما يصحح على جميع الاعتراضات التي أثبت صد لرحله قد اضطرت إلى ترك المشروع، ومحيي عنه، وقد كان الباشا يصر على أن المحارفة عظيمة، وأنه لا يسعه أن يسمح بالمحاولة، ولذلك أكرهت على التحلي عن المحارفة بالذهاب إلى شهرور. يقوم بها بعض أكثر حظاً سي. وقد سمع بعد ذلك أن الباشا كان محقاً إلى مدى غير يسير، لأن لمكان في مثل هذه الموسم يكون غاصاً بالصخور الذين يثقلون إياه من الأصقاع المحلية في كرعشه وهمدان وأردلان. ولذلك كانت حادثة السهوب أو اللصوصية حسماً تقع بصعب اكتشاف الصاعلين وإنزال العقاب بهم.

وفي خلال الحديث لم أسمع سوى قليل من التخصيلات الأخرى عن شهرور، وهما إني أحصها على الوجه الآتي: تحدد السهل من الشرق والجنوب جبال شاهقة كثيرة الوعورة، وهو يحوي على مواقع وأطلال خمس أو ست من المدن أو البلدان القديمة. ونسبى جدارها المقبعة، وهي عبارة عن تل كبير عال وهناك بعد هذا باسب به وكولعس، وعرب، وخرنه، وغير ذلك وقد أحترق شخص و شخصان أو أحجاراً ذات حجم كبير تحمل كتابات يعتقد أنها مكتوبة بالحروف الأوروبية (يونانية) تستخرج أحياناً عند الحفر في هذه السهول وهم يقولون أن أحد البائرون^(١) من نيرير وجد حيث كان في طريقه إلى عدد حجراً من هذه الأحجار في عربت وسمعت كذلك أن حجر آخر من هذه السهوب عثر عليه أثناء الحفر في بردكر، وهي قرية تقع في أسفل الجبال الجنوبية الشرقية التي تحيط بالوادي وقد حدثني أحد الشيوخ عن «ودحانة»، أو معد للصور، وجد في إحدى جهات السهوب وكان فيه حجم معطى بالأحرف لي لم نستطع أحد حل رموزها في هذه البلاد.

(١) البائرون كلمة إيطالية الأصل، استعملت في أيام الحكم العثماني لتدل على معنى نقض لأورومبي في البلاد التركية وقد غالب نطقه على المعنى البريطاني في بغداد على الأخص.

وعلى هذا يبدو أن هذه المنطقة قد نصح ذات يوم مسجماً للعدايات غير
المستكشفة والمقروء أن اسهل بإجماعه معطى سقاب الأمية القديمة، ولكن
مر لئلاز أن توحد فيها شيء غير الآخر ولفها وما اشبه

وفي هذا اليوم أيضاً حوت لي مقابلة مع محمد خان «سرتيب»^(١) أو قائد
القوات الإيرانية في السليمانية، وهذه لقوة تتألف من أربع مئة رجل وثمانين
مدفعياً مع خمسة مدافع عادية ومدفعي هاو. ولا شك أنها قيادة صغيرة لكنها
كافية تمام لكفافة لواجب انتلاع للبلاد والنهب خيما لا يستطيعون الحصول
على ما يكفيهم باخترق الأخرى والحقيقة أن أي جزء من إيران أو البلاد
المتحدرة لها ليس في مقدوره بحالته، محاصرة أن يقوم دُعَاء جيش فعل
وبيقينه وحاول الأمير في كرمشاه الإبقاء على هذه الولاية تابعة لإيران في
وجهه بأن عداد الذي تشع لحكومته في إعادة، وحينما يحاول تحقيق ذلك بأقل
ما يمكن من الكلفة والمصاريف لحكومته هو يقوم بتحرير ممتلكاته على أن
محمد خان بصرف انظر عن الجهة التي توحد منها مصاريفه، كان بطلاً أهلاً
للحفظ على سطوة سيده ضد العالم أجمع فإذ إذا ما أعطيت لوسائل والإذن
اللازم يستطيع أن يبذل لمير في دوندو، ويحسب بأن عداد في دحل حدوده

(١) سرتيب كشمه دراسية يعني في الوقت الحاضر دسه في البحث مدرجه رئيس أول وقد
ورد اسم سرتيب محمد خان في تقرير الفريق درويش باشا لسمير لتعيين الحدود
بين إيران واللدوة العثمانية من قبل استيطان في حوالي سنة (١٢٦٠) بهجة صحت
التقرير وزارة الخارجية العراقية سنة ١٩٥٢م). فهو يقول في البند رقم ٥٨ حول
طوائف عشيرة السامر ٥ وقد أرسل محمد باشا (المير محمد) قوة عسكرية إلى
كويستق واسم ولي عليها. ولم تحصل المرحوم علي باشا (المقصود علي رضا
باشا) وفي بغداد هذه الحركة فأرسل قوة مسلحة تحت قيادة سيمان باشا متصرف
السيماية لمحاربة محمد باشا. ولم تمكن سيمان من القيام بأي عمل حازم
وطلب لحداد من إيران وأرسل الإيرانيون سرتيب محمد خان من تبريز مع قوة
كافية وجرت معركة شديدة في قنجه ٦ شباط ١٢٦٠. فطلب محمد باشا أصبح موافق
الباشا الموما إليه على ترك خمسة قرى من كويستق إلى السليمانية ٤.

ما بين لهرين. حيث إن بثلاثمائة «سربار»^(١) فقط ونصف هذا العدد من الحياه استطاع ان يكسح كرميد، او بلاد الواطنه على حد قوله، من الموصى إلى حديق ومن كرمشه إلى ما بقرب من أبواب بغداد ولم ترقف عن اقيام شيء هائل حذا في الحقيقة لو لم يعمد اياشا إلى انجاده بهدايا ثبينة وعديم الكثير من العتاب ولاعتدات السلميه و لحق ا- سريپ - د بتلمي إلى طقة من الإيرانيين كثيرة لعدد حذا، أحد في وصف أمثالهم موريو، وهم أشد المتحجرين صلاباً في الطسعة ومع ذلك لا تعورهم الشجعة مثل المتحجر في معظم ابلاد الأخرى وببما كنت أستمع إلى قصص الحان عن مآثره وممدار الشء اندي كن قد حصل عليه من ملك لملوك واسمقيلة (حيوت) التي حظي بها بالثوب بين يدي جلالة وعن الحطدات اطويله الي كان يلميه لأمر المالك، والوعد الذي وعده به سموه بسف مطعم بالذهب - وعن تدمراته المرة من عدم التقدير لدي تقابل به مراباء، فلا يدفع له لأحر لكافي ولا لمحسسات للارمه، ولا يتمتع بالإحزاب الضرورية لريارة أسره (التي فارقه مد خمس سنوات) بل يؤمر بالعكس بأنوجه إلى ها وهناك في حملات أخرى لأنه لا يمكن لأحد غير محمد حان ان يفرد بالعمل على أحسن وجه، وبكلمة أفصى عن تدمره من الحصفة الجليلة بان الحكومة كانت تعلم أي حادم صاح هو احسن حان ونكبه لم تكن تعرف كيف يستعمله - أقول ببما كنت أستمع إلى كل هذا تعلم لكثير مما هو مهم وطريف، الكثير مما كنت أرغب في الوقوف عليه بشأن البلا - وعدوها پشا رويور^(٢)، وحصلت على الكثير من السلبه كذلك هذا علاوة على اني قد أرضيت على ما أعقد لحر المرمه الذي هو في الحصفة رجل صادق محلي، يتناول كأسه كأني فرد منا

(١) سرباز كلمة فارسية تعني الجندي الراجل أو المتمشي إلى المشاة

(٢) هو كور محمد ياشا - المير محمد - انما ذكره في الرساله الأولى

أول تشرين الثاني

زالة^(١) قرية كردية متواضعة تألف من ستة أو ثمانية دوائر. أكب ذلك د
عربي من هذه الحفرة الشقية لتعيسه لآسي قد توفرت لي ساعة من الزمن ،
وليس لأن عدي شيء مهم أكسه . فقد غدت اسلوبيه يوم أمس في حوالي
الحادية عشرة قبل الظهر ، بعد أن بقيت بنظر والحيوانات محملة والحيول
مسرحة من الساعة صباحاً لأن لپاشا لم يف بالوعد الذي كان قد قطعه لي
تخصيص دليل يأخذني في الطريق إلى بغداد ، فلو حال العظام بأخذهم السبيل
فيذهبون إلى النوم ، ولا يجاسر أحد على يقاط سموه . وبذلك حسنت في
عدتي أضرب مهماري ، مستنبط عطف حتى حيث أساعه لمعتاده لتي بخرج
فيها سموه من محبته ، فقد لحاذمي ان أشعابي قد عاب عر دكره ، وعلى
هذه اشأكه يؤدي طيش اعظيم إلى إتعاب اصغير وحسنة في حصص
الأحد . وقد كان للمسكين شيء من العذر ، لأن شؤوه انحصاه كانت تركه
فقد اكشمت بعد ذلك انه كان في اليوم الذي ستأذته بالسفر قد برأس حلقة
سرية مشوشة مع أعوانه ، عمت بلمناقشة في كفيه ترديد ثله من اح
الإيربي معص الضروريات التي كانت تلعب تكليلها حوالي شيء يومان - فلم
يستطعوا على ما قيل جمع هذا الملع من السيامية وربما كان قد يعطوي
على حرم من البرودة التي كتب أعنفد انها كتب نادة في بصرف الپاشا بجدهي
في تلك الحادثة

وحسبما حصر الدليل كان دليلاً جيداً مناسباً ، كما كانت التعليمات التي
رود به دقيقة جداً بالنسبة لما يختص بواجبي وسلامي فقد كان عليه أن
يوصلني إلى كهري ويكون مسؤولاً عن سلامتي بقطع رأسه ، تبعاً لطريقه
لشرفية في هذا الشأن فهذا الشكك تكب لرسائل لي يراد به لسباح على
مسيل التقسيم من لأمره إلى حكام الأماكن الواقعة في طريقهم ، أو لتعليمات

(١) نفع اليوم لي ناحية شيروانه التابعة لتقصاء كهري ، وسكنها قسم من قنصل الجاف ولا
سبب الروعزادي والشاطري

لي تعطى للدلاء الذين يأخذونهم إلى حيث يريدون وهكذا فإن عادته^(١)
 كان حينئذ كتب عليّ إلى أخيه صمدخان في سر دشت وسائر رؤساء القرى كان
 يرعب في أن نعت في الطرق الواقعة داخل حدود المناطق التي يشتملها
 حكمهم سلامة وشرف، وأن نفهم بأن أية فطرة من الدم قد تسيل من أحد
 خولج يكون حراؤها خمسة آلاف تومان

٣ تشرين الثاني

وبدلالة عول حصر عادتنا مسلمانية في حوالي الساعة الحادية
 عشرة، وبعد أن حرقا السهل تسبقا الحبال العربية التي تحيط بالوادي الطويل
 لمسمى باسمها، اندي، وما بلغ إذا ما أصيب إليه سهمين شهردور سبعين إلى
 ثمانين ميلاً في الطول ومن قمة المنحدر كان يمكن بلعيب أن نشرف على بلاد
 نفرد في عباد، ونحصر بين أسلحة التي كنا نقف فوقها، وعلى قمة باردة
 لشموع نفع على مسافة غير يسيرة ما نكون في الحقيقة الحدود لعاصمة بير
 للبلاد المرتفعة والمنخفضة وقد كان عليّ في أحقيته أن أسمى لأرضي التي
 تقع بينا وبينها ودب لأنها كانت أخفض من اجبال المحيطة بها، لكنها كانت
 حقاً كتلة من أشد الجبال والوهاد وعرة تزيناها هت وهناك شجيرات البلوط
 والحدود لشمع في الأماكن التي كانت تقوم فيها القرى في يوم من الأيام،
 والكروم والشجيرات الرماد والمساق التي لا تزال تنمو نموّاً سريعاً كذا

ولقد شفقنا طريقاً عبر هذه البلاد الوعرة الصعبة إلى قرية كردة التي
 كان من نصيبنا أن نقضي فيها ليلتنا في ذلك اليوم فوجدنا بكل أمراء الصيافة
 فيها سائير من أوامر الجيش لكنها لمعنا بأن نكون على حذر ثم من ليصوصر
 لدينا قبل غروبهم على الأحص أنهم كثيرون يشطون فيها ومن صعدت هذه
 لقرية أن الحنة والحمسين إلى المحتلي بيت التي تتكون منها يعود ما لا يقل عن
 ثلثها إلى سكانها اليهود وقد أنصبت الأكرد واليهود هم يمتزجون امتزاجاً
 حسناً فيما بينهم

(١) لا بد أن يكون عيد الله كان هذا من رجال الناس في السليمانية.

وفي هذا اليوم وحدها على مسافة غير بعيدة من بلدة بركة حمسة عرصة المياه تنبع من الأرض وتتصف، كما أكد لنا الأسر، بخاصية الإبراء من الأمراض. وقد كان مسعها لأصلي محاطاً بسد من الحجر، كما كان في الماء المحصر على هذه الشكبة عدد من الأسماك التي كانت تسبح وتحرك غير عدته واحد لأن الناس لم يكونوا يتعرضون بها على أن الجور الروس الذين بحثوا إلى هنا من أذربيجان كانوا قد عملوا على اصصدها ونقل عدد من رغم لإتدار بالموت الذي كان يصبر من الناس تحه هذه لإساءة لمدينة مقدسة فرغم أن بعض الذين أكلوا من هذا السمك قد ماتوا نتيجة ذلك

وقد تحدث في هذا اليوم مع دينا في موضوع التبركيات (أماكن للزور)، فكان يسيروا بها سيطاً. إذ قال لي «إن لشخص المريض حتما يرى في لحمة أحداً من الأئمة أو الرجال الصالحين يظهر في بعه خاصه فيه يعمر تلك البقعة، وحيثما كان مرده الذي كان يتطره يسير إلى تخلد المكان مثل هذه الأكوام من الحجر، التي كثيراً ما تراها في طريق عتراً من بالحمل وإرشاداً للأحرار عن هذه الشعة المقدسة. فتؤدي هذا إلى مجيء المرضى الآخرين إليها وإضافة أحجار حرى فوقها، وبمرور الوقت تصبح الأكوام عديدة وكيرة، وكثيراً ما تشد الذين اتفعلوا بهذه الوسيلة قطعاً من ملابسهم كذلك في الشجير من المحيطه تلك لتقع كما ترى، وهو يقول أيضاً إن من اعظماء من لرحا، أو الذين يقتلهم اللصوص أو يقتلون حربه، لا توصع فوقها هذه العلامات، ولا تلقى مثل هذا النوع من الاحرام واسوف تكون عموداً يحتمل علماً في أعلاه قد يرفع أحياناً، أو قد توصع بقربه علامة غير هذه لئلا المسلمين اصالحين على المكان الذي يحب أن يتوحموا فيه على السموتى

وقد تحدثنا في السابعة من صباح اليوم الثاني فمررنا في طريقا بمواقع عدد من القرى المهجورة التي كانت يوماً ما تسبح الحياة ولحمان على مريعها ووديتها لصغيرة لأن لسك، قد هربوا عن هذه البلاد المكودة الطالع وأحدوا معها ما كان فيها من سمن وازدهار، فحللوا قريسة لبطاعة

والمصوص وفي طريقها هذا اليوم شاهدين لكثير من آثار العنف والصعسة،
لأن في مسافة لا تزيد على اثني عشر ميلاً أندسا حراسنا وأدلاء مرتين، إذ لا
يجرأ سكان القرية ابواحدة على الدخول في حدود القرية لأخرى وهذا قص
علنا دليل عول حصر أغ قصه طريقة في هذا الشأن، وهي أن قسله الهماوند
التي تشعل بعض الأراضي القرية من هذه المنطقة، والتي كد لي أنها لا تريد
في عده على الخمسة أو الستة أسرة، و جمع من نساء عشيرة هوبه
نحاه عشرة أخرى هي عشيرة الحاف^١ التي بعد بين عشرة آلاف واثني عشر

(١) وحاف عشيرة كبيرة من العشائر الكردية التي تتركب من أسس متميزين في مختلف
لغري ولأربو التي تمتد من لواء كركوك والسليمانية في لغري إلى منطقة
حوارور. في هذه الحدود الإيرانية، ومن نائل حل يحويون في ضمن المنطقة
هذه أيضاً وتتركب العشيرة من قبائل عدة تنتشر في جهتي الحدود العراقية
إيرانية. ولست هناك رقابة خاصة للعشيرة كنها وإنما برأس كل قسله من القبائل
ينصوب تحت لوائها رئيس من أسره الإمامة المعروفة عنده وهي أسرة ظاهر بك
و (راير) دلكردية، الذي يرجع نسبه إلى برحصر شاهر لحد الأعلى الذي قدم من
يران (منطقة حوارور) وهو دجل من اساده الهاشميين كاتب له رئاسة ديرة في
مدني الأمر وقد تعرضت الإدارة إلى ثلاثة فروع (١) بهرام بيكيه (٢) كحروريكيه
(٣) ولد بيكيه وقد لعبت فيل الحاف بوصفها دوراً فعالاً في الحصومات التي
حدثت بين الحثيين والإيرانيين حول الحدود والمصامع الإيرانية واستند من
ذلك على لأخص أمره تلاميذ الذين كانوا يتحركون على الحث في المنطقة
وقد اقتصد لأحزاب اسائه أخيراً أن تقسم قبائل الحاف إلى جمهورتين أو
مجموعتين (١) حاف عراق أو حاف مرادي و (٢) حاف إيران أو حاف
حوارودي وتسمى قبائل الحاف لغرية في ناحية شيرازة التابعة لقصه كغري
ومنتقه شهرور التابعة بقصه حثية في لواء السليمانية ومن أشهرها قبائل
المكابلي والروغروادي والطرحاسي والشاطري والهادري والصدقي والبوحي
واليزداني وحشي واسحم الديني والكلالي وغير ذلك

أما الهماوند فهم من قبائل الكردية المعروفة بشجاعة ولسنة ويقسمون في
مطفي حمجما وناياد الذين هم منهم طريق كركوك - السليمانية الرئيس في =

ألف بيت أو حيمة بحيث لم يعد توسع أي رجل من الجاف أن يبعدي إلى تحومها لأنه إذا فعل ذلك سرعان ما يقتل بدم بارد بينما يركب الهماوند جماعات تعد الواحدة منها عشرين أو ثلاثين خيلاً فذهبون إلى الجاف ويهزون سبوتهم. لكنني أعتقد أن قوله هذا فيه شيء من المبالغه، لأن الجاف يستطيعون أن يقدموا إلى ألف خيال معتد في وقت لحجه وهم يقضون في لعاب منطقة شهرزور، لكنهم يتشرون أصداً على طول خط الحدود هذا وقد عثم أحد أولئك اتعساء من الجاف فرصة مرور فافلتا فحمل ساليه ووحاهنه سالمة إلى خارج المناطق المحصورة

وقد سم آخر بديل حراساً في جعفران بالقرب من سفح ممر سكرمة، إحدى موانئ كردستان لكيرة في هذه الاصفاغ ولما كان قد رافعا من هناك اثنا من الحشاء الحريش الشيبين بالصمصم فقد علق دليلاً عليهما بقوله بهما بعدا عشرين فارساً ثم استطرد قائلاً: إن المصوم يخشونهم ولا يحارون على مهاجمتنا بوحودهما، لكننا يحب عينا أن يكون حذرين على كل حال. وتكرر حيوانات الحمل غير متاعدة، ونحن سنكلف أحد هذين بأن يسير في المقدمة وحده رفاقي في اسير بعد أن صدر بهم مثل هذا الإساء، وهم لدين يتحاون في كثير من الأحيان إلى حيلة التلكر والتناظر للحبشة، حتى وصلنا إلى شذقي الممر بالسرعة اللازمة.

فوقف هنا وقفة قصيرة، لكي سرور ذلك لأنها مكشفي من أحاد رسم

= لوف الحاص، ولا تعد قبيلة الهماوند من لقائل مكيرة ويعتمد بعض المؤرخين أنهم في لحققة تعرضوا عن عشيرة الجاف الأصلية وقد جاء في كتاب عشائر العراق (لكردية) أن لهم لا يحنف عن لغة الجاف لكنها يحنف عن لغة أهل السليمانية وأطرافها معروفة بعه الكردية ومن وقائعهم المعروفة في تاريخ العراق الحديث ما وأنهم سائرية بعدا واضطرار لوائي سم ناش سردار أكرم (أو) بأديهم بقسمه والسكر بهم فاذن ذلك لم عركه ولهم موبعه معروفة مع لجاف حرك في مكان يقع بين جمجمال والسليمانية يسمى (كرده لربوه) قتل فيها ابن كسرو بك الجاف

تخطيطي سريع لهذه امواته الطبيعية اعريدها، لني بسميها الأهلون تسمية هي محلها فيطلقون عليها اسم «درند» وقد ستعرف صغودنا ساعة ونصف، وهي الهابة وفقاً فوق القمة متطلعين من الحلف إلى البلاد الجبلية الموحشة التي اجربها أما من ناحية الأخرى فقد كانت تمتد الأصقاع المسخفضة التي بقي عليا أن يجارها قبل أن يكون بوسع الوصول إلى عاصمه الحلفاء العتيدة أقول الأصقاع المنخفضة لا المستوية، لأن البلاد التي صارت تمتد أمام عينا الان كانت بعيدة كل البعد عن الاستواء على كونها من حيث الارتفاع التي أوصا بكثير من المناطق التي حصارها ورعا. فقد كانت تقوم أمامهم واطنه من البلاد الجرداء المعجمة التي كانت تمتد امتداداً متسلسلاً حلت كثرة الجودون اكتشافها لنهايتها ما ألمح انني كانت تتحلل تلك لفهم فقد كانت تتطاع معها على نفس النمط متسلسلة من الروبي والآدم الصغيرة. فكان الصخر العام بذلك مفرراً ومعتماً ومع هذا فقد كانت هذه بلاد لأشوريين الأصليين. من الأمور طواريات لججارة، وميت المور، لعظام هي لأزمه العبرة ولم يكن يدور في حلد أحد أن هذه الجحرة الصحيرية الجرداء كانت بلاد سميراميس العظيمة، أو ساردانبولس^(١) المتروك على ما قد تكون الموطن اللائق للمروود انصياد الحبار»

فأدب ما بره صحريه محييه، ومساوئه عده أميل قطعها في البلاد المنخفضة التي أتيت على وصفها. إلى هذا المكان المسمى رالة، إنها مكان بسيط جداً كما يت من قس، والحقيقة انني لم أر أسوا من هذا المكان لمص

وقد أعجبا في هذا المكان، وفي الممر الذي يربط فيه السبله الماصيه، ما شئت من حصار بين مهمدار^(٢) وأهالي القرشيين حول الشعيير والتس لذي

(١) سميراميس هي ملكة آشور الأسطورية قريه الإلهة عشتار، أما ساردانبولس فهو آشور ميان لذلك الاموري بن أسرحدون وقد ذكره في الإنجيل باسم اسدر

(٢) مهمدار كلمة فارسيه بمعنى الرجل الذي يتولى شؤون انصياف.

كان يجب أن يقدم لحيولنا، والضعاف لنا فقد أشرت أكثر من مرة قبل هذا إلى العادة الشائعة في هذه البلاد، بأن المرمومين من الأحاب والأشعاص الموصى بهم من لأصدقاء أو السلطات بحكمة يعسرون صيوداً عامين وليس مختصين بشخص دون آخر، وهم و لحة هذه يرودون، الطعام و لسم على حساب الحكومة الاسمي أو احيات و حكام الأوكس الو فعه على طريقهم وهذا متير تعد مساوئه أكثر من فوائده فمن الصيحي أن السائح من دونه لا تنهياً له الفرصة للابصل باصطفات اعيان من الناس، وقد يمر بالبلاد من دون أن يسي له لاطلاع على أي شيء من عاداتهم وأحوالهم لكنه في كثير من الأحيان يصح قدأ يعيق تحرك اسائحه وترتيانه، لأنه لا يستطيع ايجاد ما يرم لسه في بعض الأماكن أو لتوجه إلى أخرى من دون مساعدة مصيفه وموافقه عليها وقد تكون آراء المصيف نفسه مخلعه عن آراء صغه، أو مودبه لى الحيولة دون تحقيق أغز رغباته عليه.

ولي هذه لحة، كت أنا صيفاً على الباش في السليمانية وتتطلب الأصوار المسعة في هذا الشأن أن اسمر على كوني صيفاً ما دميت موجوداً في بلاده غير أنه كان هذا بعد شيئاً باهظاً في تكليفه فقد حملت اقري التابعة له على تحمل النفقات، وحتى لو كانت هذه النفقات بعيد على حسابه من قبل خدامه فإن القرويين احساكين كانوا لا يستفيدون شيئاً من ذلك لأن لخدام يستفيدون منها هم أنفسهم ويعصرون العبه على القرويين على كل حال أما ما حدث في الليلة المصية، فقد كل ما فعله دسنا عول حضر أعال لم ناب القرويون بالمقد ر الكافي من لعلف لحيولي، ولذلك أحرب حد مي الحاصير شرائه على حسامي ما ولا أدري إذا كانوا قد فعلوا ذلك أم لا، لكسي دعفت املع لمطلوب وفي هذه الليلة بشر لي لقرية اسجيت و لعوبر فقد حربت ساء الأسر لحمس أو الت لي تتألف منها القرية من دحيرها الشحيحة من لحوب، و خاء إحداهن إلى حيث كت أمكت محونة مولوة سترجع دحاحنها الوحده لي كت قد أحدثت منها فسرأ يداخل ريشه في تكوير محددي، فاسعادتها حينما كانت السكين بهم بدحها

ويبيع سيات أمكن الحصول على دجاجة أخرى، غير أن المهمندر تدخّل في الأمر لأن شربه وضع على المحك حيث إنه كان مسؤولاً عن عاشرتي محباً من جميع الوجوه، هذا الريح الذي كان ينصره لنفسه، ولذلك استرجع الدراهم فسرّاً من العجوز صاحبة الدجاجة وأعادها إليّ وقد بدأت، محاولات عدة لسوية لمشاكل بشرى ما كنت بحاجة، لكن الدراهم وإن كنت بغير بصورة سرية لأن الناس كانوا يحشون المهمندر بحيث يأبون تسلمها وأخيراً، بعد أن تم اعتصار كل ما يمكن استخرجه كانت الطريقة الوحيدة التي كان يترتب عليّ اتباعها لتحشي نعمات المجمع المهبوب هو أن أبعث أحد الخدم سرّاً خلال الليل إلى دور المتصرفين فأدفع لهم قيمة ما كان يزحد منهم مع إضافة فسه، وكنت أعتمد في ذلك على برهه حادمي وهو اعتمد في يكون في غير محله بلا شك، لكنني لم يكن لدي وجه آخر للاحتياز، وأعقد أنه لا بد أن يكون قد نفذ ما كنت أعتمد عليه فيه حرثاً على كل حال لأن معظم الناس جاءوا، حملاً كب أهم بالركوب في صباح اليوم التالي، يودعوني يودع حار وتمنيات طيبة.

كفري ٤ تشرين الثاني

ومن رالة، المكان الذي أرحت به كتابي الأخير، أوصني مسير و تس وعشرين أو أربعة وعشرين ميلاً إلى إبرهم خانجي، إحدى القرى الكردية البعيدة لرئيس من رؤساء الكرد، حيث كنا سقضي لستاً وقد أدت بنا الأميال الحمسة أو ستة الأولى من طريقنا إلى بقعة صخرية فريدة سم أر مثلها قط لكن مقدار العشب الذي ست نرغم ذلك في الربيع و لصيف كان شتاً مدهشاً فلا يراى قسم منه نشأ حتى الآن، بينما ترك القسم الأعظم منه بعد أن أشعب فيه النار فسجاً كبيرة من سطح الأرض وهي سوداء، عرفت بالأحجار الرمادية ثم صعدت بعد ذلك حلاً كثيراً الصحور نعلو إلى ان نضع عمر مسير، وهو آخر موقع ذي أهمية يحجر بنا وبين دجلة وقد كان أحرد من كل شيء عد بعض لعشب، لكن شجرة عظيمة من أشجار البلوط كانت تشر ظله نوى

قمت، وهي لا بد أن تكون آخر ما بقي من عانة كانت نعطي هذه الجهات باجمعها في يوم من الأيام وهذه الشجرة مديّة في ثنائها لتعيد من التقاليد لا يمكنني تسميته - ، وربما يكون ساسه قد صاع بمرور الزمن لأن حل ما يمكن معرفته اليوم في هذا الشأن هو أن الحسّاسين الذين يأوون إلى ظله بعد صعود متعب سرعان ما يرول صهم التعب وتدب فيهم لقوة لمثاعة المسير. وقد كانت محاطة بحداد من حجر، ويطلق عليها «دور المده».

وعلى بعد عدة أميال من العمر الصحري الذي نزل هذا الحبل منه وقف لسور قطرب في قرية كردية حقيرة تسمى حار رير، حيث يسكن سليم عا رئيس أكراد الدلو^(١) من هروج البوابات في السليمانية. وحينما أشرقتنا على القرية لاحظنا حود رماح وحوب مسرحة، ثم وجدنا عدد وصولنا أن البث كان بعد عدة للخروج إلى الصيد لأنه كان محاطاً برحاح الحاشية لمحجرين للركوب. والذين كانوا يمسكون عدداً من كلاب الصيد، يسلمو بأرطها ويحملون فوق قنصات أيديهم، الصقور المملوكة رؤوسها بأحمر.

وقد حصص لنا كلمة قالها الدلس، الذي تقدم بعده يرداب، عبر مرحيب معهم بالسحامة من هذا الرئيس الذي كان شخصاً محبب المظهر، متحور منتصف العمر، بنحية يحتفظ فيها الشيب وبفاسم يدل على قوة معتدلة ثم شتكر لاعتدار الذي تقدمت به عن تطلعت عليه واعتز صر سبيل خروجه إلى الصيد. وحلف برأس الشيا وعبوته هو بأنه يرحب بنا ألف مرة لا مرة واحدة علم أنه تأسف لأن معدات الراحة عنده غير كافية، وطعامه غير مناسب بحيث به يحجل من الاحتفاء بنا بهذه النوبة. حيث قال «لكم نحن لأكراد أدس حشون نعيش في السهول والجمال وليس عندنا في أي وقت من الأوقات ما نفاخر به، والآن باب الثقيل الذي كان عندما قد ررر» نحن ما بين أمير أو باث شد

(١) جاء في مصر ١٧ من كتاب لعشائر يعرفه (ج ٢) أن الدلو يسكنون في بلاد كيري وأجزاء حامية. ومنهم بيت بيرقدار، كان رئيسهم يحمل بريق أسنان. ولأن هذا البيت في أحياء الصلاحية (كفري).

وعنف الحبر، ثم مضى وهو، هو يأخذ قطعه من الحبر الأسود الذي وضع بين أيديها على الصينية مع شيء من البطر «نظر ماذا تأكل، فبحر وحولت بفتات على شيء نفسه لهذا كان توسعاً من قبل أن يقدم لصيها رقيقاً من حبر لفتح، لكن ذلك العهد قد انتهى وأغلباً أن شمع الآن مازحيص»

واستطرد بعد ذلك يقول في من الموضوع الذي كنت أحاول حراجه منه بأسئلة أوجهها له، أو علامات لاقصاع والعطف «فقد كنت نحن لأكرد في زمن من الأرمن حدوداً قرياء، ولم تكن تفكر بعير لركوب ولتدرب على الحرب بالسيف والرمح، وبالصيد والبردر، وما أشبه من الألعاب لأن كان عندما ما يكفي لمعيشتها وكان فلاحوما يدرعون الأرض له، لكن كل رجل ما مضطر اليوم لأن يصنع سيف والرمح جاباً ويصرف إلى «الجهت» أي اشورين لسحب المحراث» ما هو نوع الحندي يا سيدي حينها يأخذ بمباشرة المحراث؟ لكن الإيرانيين والباش يمانون في مطالبهم كلها، فمدا يكون عاقبة ذلك - لا يبقى للملاح سوى أن يسجىء إلى الفرار والذهب إلى روندور وكرمشه أو لموصل أو أي مكان آخر بدلاً من أن يبقى حيث لا يستطيع حمل إخوانه - ويهد تحنو البلاد من حكاها كما ترى.»

وقد كان البث كثير لسؤال على الأحضر عن الإنكلم والروس مع أن جهله بالمقربين كان مُسبباً جداً، فتركه وهو ممتن من ريارتي له عني ما من لآسي بعد أن أشعب دعيه بالرهبة على فوه أسلحتي النارية، وخاصة مسدساتي الصغيرة التي كان يحتقرها إلى أن شاهد معمولها وتأثيرها، فدمت له هدية من بعض لمصنوعات الإنكلمية التي استأثرت منه إلى حد كبير، ثم افترقا ونحن أحسن الأصدقاء.

فعلت لسيلما عول خضر أختاً حنماً بعد أن هذا لرجل المدني، هذا الأعاء الذي استقبلنا بشهد لاستقبال أحوار، ورحب بنا مثل هذا الريحيت لو فرضت أنها لم تكن معنا أنت ولا أي دليل آخر من السليمانية، والتقينا به وقدمته في البداية، فإبه لا أظنه كان سيورع عن مهاجمة رسالت لو كان توسعه أن يفعل ذلك؟ فأجاب وهو يصحح بصره شديداً «أقسم رأس سليمان باشا،

وإن أسكت ن سيدي ألك تعرف هذا الرجل كم أعرفه أن على ما يسوء وقد أضحت كد الحقيقة، إن سليم أعا هو ابن بختها وأرجل المجد لهذا العمل فهو عمل الحاجة يأكل الحبر معك باعتارك صيماً عنه وبعد أن يودعك بكلمات مثل «حوش أمدى وحد حنط» يعتمد إني لف لحنه وسدبل فته وتشكر هو ورجاله بحيث لا تستطيع معرفتهم ثم يركب فيقطع الطريق عليك ويسبب إلى حد العري ثم يتركك إنه أشد لأوعد شراً في كردسب وأكثر لأواش فقد بلصمير، إن هذا الرجل يا سيدي سلب النساء ونزكهن عر يا هانمات في الصحراء»

ثم سأله قائلاً «هل يعد هذا شيئاً شائعاً حتى في كردسب؟» فأجابني الذيل يقول «إن هذا شئ عابث بحيث إني لا أعرف الكلمات لماسه لوصفه لكن سليم أعا هذا هو حيوان لا حياء له ولا شعور فإن عنده بحت بصره حوالي أربعين أو خمسين حبالاً، يستخدمهم في قطع الطريق بحيث يتعدى على القوافل ورواد كربلاء لهدمهم من إيراد المرور منه وهو مجرد جميع من يقصر عليهم من كل ما يملكون» فسألته «ولكن ماذا يقول أياشا في كل هذا؟ ألا يعتبر الأعا من حدام سموة؟» أعنى وجه التأكيد: أحاب عول حضر أعا «وإن أياشا لا يد أن يحرق أناه إذا فعل مثل هذه الأشياء، ولكن مد أقول يا سيدي؟ إن أياشا عنده ن يكفي من المشكل في بده بسا لا يحتفظ بانحاسم في منصبه مده نكفي لأن يصبح قوياً بحيث يستطيع المحافظة على لهدوء النام ولسكينة، ولذلك لا يسعنا سوى أن ندل جهد على كل حال ولكن سليم أعا هذا أشد الأبدال خشاً، ألم ير ذراعاً يا سيدي؟ إن يقول هو بأن ذلك كان عقوبة من الله حوري بها على مصعه الشئ»

وبعد ذلك قلت له إحساً ونكر رستم أعا اندي سذهب إلى بيته مده لئلا إن شاء الله، أي نوع من الرجال يمكن أن يكون؟ هلا يفعل مثل ما يفعله سليم أعا ألا يسسا هو أيضاً إذا تمكن من ذلك؟ فأجاب يقول «هناك شيء من هذا ليس في الحقيقة يا سيدي إنه رئيس قبيلة البركة»^(١)، وكه والله

(١) جاء في النص ٢٥٨ من كتاب نش فامه سدلسي (حاشية المترجم) أملاً جميل =

الحمد من حدام سليمان باشا ومع هذا فإنه سيوصلك سالماً إلى كهنه إن شاء الله» فرددت عنه بقولي «إن شاء الله، إن شاء الله، ولكنني لاحظت من هذا كده أن كل رئيس من رؤساء المذبح لقلبه هؤلاء نعمد لي ادعب نفس اللعنة في هذه البلاد» فأجاب «بارك الله سيدي، لقد قلت الحقيقة، ولكن هذا لم يكن كذلك دائماً في أيام عبد الرحمن باشا والد سليمان باشا ومحمود باشا، فلم يكن يحدث في أيامه أي شيء من هذا فقد كان من الممكن لك أن تسير واجواهر فوق رأسك وانذهب في يدك من أول الباشوية إلى آخرها، أي من سرادشت إبراهيم كهنه ومن كوت إبراهيم إلى من دون أن تسألك أحد عن أي شيء إلا أنه كنت قد سلام عليكم، وعينكم السلام ولكن الصراع بين الأخوين هو الذي حرر الحرب على بلاد وأنزل بها ليلاً فمرة محمود ومرة سليمان من دون أن يبقى أحدهما أكثر من ثلاث سنوات. وبعد ذلك تدخل لعجم لتسوية النزاع فأخذوا البلاد لأنفسهم وأكلوها ثم حبشهم ثم جاء على أثرهم لطاعون، والمجاعة، فعملاً معاً على استئصال شأفة الناس وبقية الأعداء له وأصبح الحار بحيث إن السرقة حيسما تقع يتهم بها كل فريق الفريق الآخر، أي حصصه فخدام سليمان يسبون انشاك الحرمة حدام محمود سبوا يرد حدام محمود عليهم بأن يعزوها إلى رجال سليمان. أم الحقيقة فهي أن الباشا لم يولد له لديه أهول لئلا منه لمعاقبه من يحده مذب أو يقترب خطأ، ولا مستطرة على من حدثه بفسه باشا، لأن لايرأس بلهمور كل شيء يمكن أن يقع في فسه أيديهم وبذلك يضطر الرجل لرهاء إلى لهرب فسقى البلاد لنصوص»

ولم يكن هناك ما يقال من هذا الكلام الصريح الصحيح، ولذلك عدوا لسير إلى قرية إبراهيم حاججي^(١).

= (روزي) ونقطة هذه العشيرة اليوم مطلقة ولكنه المعرفة باسمها في رجبه ١٢٠٠ م، ويبلغ عدد أسرها (٨٠٠) أسرة يقصروا ٤٥ قرية تقريباً وكان رئيسها عام ١٨٣٤م رستم آغا وإيهم عبد الكريم وأخرون

(١) وهي مركز عشيرة ذبكه

وقد كان في وسط تشو القديمه قريه، لتي كان في احصيه و
 دخها حينئذ احترقنا الفتحة الأخيرة التي نرسا فيها إلى سهل السلمانية
 ولحق أن البلاد لم يكن فيها ما يدل في الوقت الحاضر على أنها كانت مركزاً
 للإمبراطوريات قوية الشكسة فإن هذه القمم العزود وثلث لوعود التي
 تحترقها لوهاد لحافة تمتد من حولها إلى بعد أو قريب لا يمكن أن تكون قد
 كانت يوماً ما مسرحاً لحوادث الجسام لتي يسببها التارخ إلى إمبراطوريه
 سمير ميس وأحلافها حيث كان عدد لا يحصى من المحاربين يتقاتل من أجل
 لنصر والممتلكات المثرامية الأطراف

ومهما كانت المراتب التي كان يتحلى بها أولئك لمحاربون الآشوريون،
 فإنما وجدنا خلافهم قسده خسر الطماع مثل المصطوف لتي يعيشون فيها فقد
 كانت إبراهيم حاجي، قرية التي يسكنها رستم أعا، عمارة عن مجموعته
 تتألف من حوالي منه كوخ مربعة من الطين والحشيش أما الديوار، حبه، كما
 كانت تسمى، التابعة للرئيس ابي أدخلنا إليها فقد كان سدود واهباً بحيث يبي
 توقع أن تدفن بين أنقاضه إذا ما هب شيء من الريح أو سقطت مرة من
 المصر خلال الليل وقد استقبلت به الذي كان حدثاً لطيف كنه كثر القصور
 وبل الحجل، له مشهم جميعاً أصابع كصبرة صيد لسمك يصحب فوق كل ما
 يصل إليه به. ثم جاء رستم أعا نفسه في المساء وهو رجل خفيف لروح طلق
 المحب ذو سحنة سمراء داكنة ووجه مدور وصحكة لا مبالية، واستقبلنا بمجاملة
 بهوشبه صاحبه وقد كان من أولئك الشرسيين الذين يكونون في أحسن
 حالاتهم حينئذ لا يعدكسهم أحد، كما قالت لمرضة اسكوتلاندية عن طفلها
 «جلال فهو يتسم دائماً بما يكون على سجيته، ويقطع حبيبه حالما يستاء
 من أحد».

وكما متحفص لدرجة ما في سديء الأمر، وما كنت أحاول دوماً
 انوهو بي وبس لباس لي ثل الماسكات على قدر ما يمكن، فسرعان ما تم
 انتباههم بي ودخنا في حديث ودي لكن ذلك بدأ بشكل عرس فحالما
 انتبها من لعراف ولمحاملات المظلونه دعا حاجي الذي كان واقعاً في

داخل المعرفة فسأله ما اسمك؟ ومن أين أنت؟ وكه صار لك في معية اصحاب؟ وهل يدفع لك أحراً أو أن أحداً بعثك معه؟ وهل أنت سعيد في خدمته؟ وبعد أن أحب على جميع أسئلته هذه أضاف قائلاً بلهجة حارمه «أي المسدسات يملك سيديك؟ أهني بها» فأشرت له بأن يأتي بها، وسرعان ما أصبحت بين يدي الأعلى وعدم رأي د لطسحة به عذته لحصة رماها جانباً بارداء وهو يقول «إني أعرف هذا النوع من السلاح، فمن أين من ضاهتك جاء إلى هنا قبل مدة من الزمن فقدم لي زوجين منها لكسي أبيت أحدهما، فأني نفع فيهما لي؟ إني أريد مسدسات من هذا النوع وأخرج مسدسين جديدين من مسدسات موريمر المردوحة، نكهما كان مأكلين من الاستعمال ثم قال «قد كان عندك من هذه لأحد في مكتب، بكر مسدسات هذه، عذمة الفائدة والآن قل لي هل لديك أشياء أخرى؟ إن الأشياء التي أنا معمر بها هي لمسدسات وإشال ولسر مثل هذه» وشار لي سرقة لي كتاب من العماش الفرعزي. «هل عندك شال كشميري مثل هذا؟» نظر قال هذا وهو يشير إلى شال قديم مصرر بأفضة فوق رأسه فقلت له إن السباح اندير يعرف من هنا في طريقهم إلى بعد لا يكون عدهم مثل هذه الأشياء عادة. واستحققة أني لا أملك الآن سوى فرشي وملاسي الخاصة فرد عني قائلاً «لا شيء، انظر هذا بعض ما أعطيتي إياه لإفروح لدين حدثت عنهم» وأخرج سكبنة «سبوت» من صبع نكيري ثم بتدري قائلاً «حان وقت الصلاة، يجب عني أن أصلي» وفرش السجادة عني لأرض بحسي وبدأ بصلاته (نمار)

وأخيراً أنهى منها ولنت لي وكنت في هذه لائنة قد أخرجت سكبناً كبيراً كتب قد خصصته لاستعمالي أن أثناء اسفر، فقدمته له باعساره سلاحاً ذا فائدة كبيرة في القتال واسلم، وهو من أحسن مصنوعات بكثرة. فتصله بلطف وشاشة ولاح بي أن أسريه ففتحت بعض الشيء، لأنه أصبح ينكت ويصرح

ثم نظرت إلى أحاديث كثيرة من هذا الميل، وقد توصلت منها إلى أن لك كان يعرض بالهدايا على الدوام فقد أشار عدة مرات لي ما كان قد

أهدي به من أسباح لأحرين ولما كنت راعياً في تكوين أصدقاء كثيرين علي قدر ما يمكن لقاسم الدين قد يمررن عدي من هنا اعتمت فرصة تدمره من مصر إيراقي كان يحاول عشاً أن يقص به قطعة من الورق، فأهديه مقصاً إنكليزي مدرج فراد هذا في مقدار ما كان قد سبه عنه السكين فلاً من الرصد والسرو، وحدثني بكثرة عني إنكليزي وسلعهم الممتدة ثم تصرف في حديث إلى أكل لحم الحرير وتناول المسكرات وأوجه تحريمها، وإلى موضوع لأشباح والأواح الحسة فكان ذلك عبر مدم بشيء عنها غير أنه مع ما كان عنه من خشونة طماع وعدادات افتراضية نهابة كان يرمي بيماناً عبر بسر بعض الحرافات، وهذا شيء شائع بين أهل لمكر وقطاع لطرف

والظاهر أن يوم اتروبه، ناسية لسهت وسفك الدماء، لا يزال بعيداً عند رسمك فقد أسهت في وصف لمعارك لتي حصتها ومقدار لسبب اندي حصص عليه بحماسة وحرارة كانت تدلان علي مقدار الحث والشبطة المأصلي فيه ثم قل لي إنه كان قد حرج عشر مرات عني الأفل برعم أحسن الدروع التي يمكنها وهو يهول أعدي دوع من كل نوع، وقد كنت أستعملها علي الدوم، لكنني تعلمت أن لا أعتمد عليها إلا قليلاً من أعمد علي الله وحده وقد صم صوته بالأحرين في تلك الأيام السود التي حلب بالعصر لكردي فهو يقول «إن أرمه الأكراد الدهية قد رلت أركب وتحول في البلاد فابة روحه وأنة حيويه تحد فيها؟ إن جمع لحاله المهرس والرحان الشجعان قد قصوا بحهم أو هربوا إلى بلاد أخرى، أو تسللوا لمحراث اضطراً لمحصون عمو لما اندي يدفع للباط لإغاثة الروع والاطفال وي يفع يبقى في الحدي خيما يصرف إلى المحراث ب برى؟» فصدقته علي ما قال حول روال أما اب القامبة ولاردها من البلاد، لكنني قلت له ان اسس كلهم علي ما يبدو ثم يصبر هو إلى اسهم اسلمية وترهس عني ذلك أحضر الطريق فأحسني بقول «إن هذا بسط، بها لسبب سوى بعض حوادث مسيره ولها هه وههه، فلا وحود لأن بعضايات الحياطة الناسية. لكنني أرحو أن تظمن بأنني أب رسمك أعهد صمام سلامتكم، وسوف لا يمسك أي شيء من هذه المكاب وكفري أنت رجل طيب ممتاز، وإني أودك وأقدره حيث

أنت لا تشبه لعص من أهل بلادك الذين قاسمهم فنس هدا ، ممر لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً سوى لأكل ولبس ، إن عيونك مفتحة وعبدك ذوق اطمش ، فسوف ترى كهري سالماً يوم عدا

ولا شك أنك قد عرفت الآن ما يكفي عن رسم أع قد أعريت على وصف شخصته والكيفية عنه بشيء من التفاصيل لأنه نموذج ممتاز لمثل الكهري المنوحش وقد رددت في صباح اليوم التالي دليل للطريق ورسالة إلى كهري ، مقسماً فيه عيونه وبحياة ضيقه نفسه أن لا تمس ولا شعرة من رأسي في أي مكان يكون فيه كلمته مسموعة وهذا كذلك سوف ترك للحدث عن أصدقائك لأكرد الحش الدبر وما تكونون قد مللتم من تحدثي بهم بهم مثل سائر الأمم ولرحال محبوف من سحر الظروف والضعف ، لكنهم يتصورون بصفات قومية خاصة يسكن أن تنحون إلى الاعتدال الصالح فيهم شجعان وأصحاب صيف إلى حد معين ، لكن الصفه الأخيرة قد نصائل شأنها في لسين الأخيرة إلى حد مؤسف نسب الفقر والحرور وهم مثل معظم الأعداء التي تعيش عبثه الرعاة وتحكم بحكم شبحي معروف يتميرون حب قوي للأهل والعشيرة ، مما يجعلهم شرس عيس في تحريضهم وشاخرهم ، فيسبون الصعوبة والثأر إلى شيء عن الإساءة الحاصلة لقريب من الأقارب ويطردونها بسلسلة من فعل لحالة من الرحمة والصبر وهم وإن كانوا عبدين بطبيعتهم عن لقوة فإن هذه الصفات ، وتولعهم شؤون لقتال ولساط الحربي ، نمل بهم إلى أن يصحوا تحت رحمة الطيش في سفت الدماء وتؤدي بهم إلى أن يصنعوا حياة الإنسان من حيث لا عتدر في مستوى أخط من المستوى الذي توصلع فيه في الساحة لمساحة ومع ذلك فإن حروبهم تكون عبر ممسة وإن نفس الشعور بالعوف غير المتشابهة لمتأدية عن سفت الدماء يعمل على كبح عوطفهم كبحاً اجعاً حيم يكون مجرد لشعور برحمته أو الحس الأخلاقي يعطعه الحرمة أضعف من أن يستطيع الحيدولة دون وقوع القتل وهكذا تكون لحاله في الحميمية بين المائل صف لمنوحشة ، حما بعدم وجود قوة مهيمنة عليها تستطيع ممارسة السيطرة المطلوبة وقد ما أريد امرء أن يكون فكرة فرجه إلى دمه عن لأكراد أو الترك كما أرحى العرب ،

من حيث الراء والتعامل الاجتماعي، فعليه أن يتصور ما كانت عليه الحياة في
موتعائنا السكونية قبل هربين من الزمن

أما دلالة للأشخاص لأن الأكراد يعانون وأقوياء، ولا يحسنون إلا
قليلاً من حيث الأساس عن جيرانهم الإيرانيين غير أن قسمت الوجه لقومه
لها شكلها لخاص لئلا بصورة تلت لظرف هيئة التقاطيع حدة، وشكل
الوجه يضيوي، ولصورة الجاسة تلت لظرف من حيث بروز عظام الأنف
وتقعر الصم والدق، الأمر الذي يسع على الشكل لعام شكلاً نصف دائري،
أما العيون فتأصله بعمق، وهي عديمة اللون، سريعة ومارة ويكون
الحاجد كثير وأصحيين نكهما يميلان قليلاً إلى لواء لكمة لشكل
المفروض للصورة الجاسية أما شكل التقاطيع انهم فهو أكثر دقة وصحافة منه
عد الإيرانيين الذين يكونون في العادة أقوى بنية من الأكراد ومن لئلا أن
تجد الأنف الأفطس في كردستان. ويكاد يكون الصم كامل الكوير، أساس
نصفه دقيق. وتكون الأيدي والأصابع صغيرة ونحيفة هذا ويمكن أن يكون
باختصار أن هناك شيئاً من الرشاقة والاسهام في الشكل الكردي، الأمر الذي
يجعل منهم أمة وسيمة شايعة ما بين أمم لعالم الأخرى

وسطوق نفس انعطاف على النساء أيضاً، بقدر ما تدل عليه الملاحظة -
لتي تمكني اتوصل إليها، فمن حينها يكن شابات جميلات للعبة، نكهن
حينما يتقدم في السن أو حتى عندما يصلن إلى دور النصح فإن بروز التقاطيع
لحاد الذي يميز به مع الرجال يسعد بهن اعتماداً أكداً عن حد الجمال،
وسرعاد ما يدور عليهن لكر والدق فقد أيجب لي فرض عدة لملاحظة
هذه التفصلات فمن لأبهر لا تتحصى كما تتحجب لساء الإيرانيات، وعنده
ما يصنع من هذا القليل هو أن يسحق لمديبل لدي يعطين به. ووسهين إلى
حت يحجر به لهم والدق عن البصر لكسي السف لاسي لم أنمكن من
متبعتهن إلى داخل ليوب حت أستطيع وصفهن في عجمهن. اسبي عبي نسو
عندي، بالسبه لما أعرفه، ما جملتي على، لاعتقد بأنهن في حياتهن،
وواحدهن، وأعمالهن، يشبهن ساء لسان الإيرانية شهاً قريباً من جمع



كفري في ١٨٢٧ م

الوجوه لكن نساء لطيفة الموسرة التي تعيش في المدن يقبر في حرم
أرواحهم أو أبنائهم، ويتحضر حسنا بحرخ إلى لحدوح.

ها قد وصلنا كفري بعد أن احترنا حوالي اثنين وعشرين ميلاً من لبلاد
المقبرة غير السهلة، التي كانت تشبه إلى حد كبير لمرحلة الأخيرة من
الضربو، سوى أن السهول أصبحت أكثر اتساعاً هنا بأسية لمناطق العرفعة،
لكن الحريق الدم الذي تعرضت به على ما يبدو يسبح على وجه الأرض كنه
مظهراً كريهاً وسم نجد كذلك أية هريه من القرى في طريقنا كنه على أننا كنا
غير راغبين في مشاهدة أي نوع من البشر، فبسر من لمحتهم أن يكون الدس
الذين صادفهم في هذه لأوعر ممن يمكن مصاحتهم و السير معهم.

ونفع كفري في مدخل فتحه تمتع في سلسلة من احبال لواطنة،

الجوداء بكل ما يؤديه هذه الكلمة من معنى . فهي تتألف من قسم طلاقات بررة
 حداثاً ترتفع فوق السهول وكأنها قد أثلبت بثمار العظيمة مد الأرض لكن لبلدة
 نفسها، المسورة بسور يدور حولها، كانت تبدو بمظهر مغر حينما ينظر إليها
 من الفتحة التي أدب ما إليها وكانت أشجار النخيل المرتفعة إلى ما فوق
 السور، وهو أول نخيل يقع ضرباً عيبه، تشعر الجميع بدحولنا إلى
 «عربستان»^(١) . كما كان السور في الأرياء ومظهر الأس يؤيد أننا أصبحنا الآن
 في داخل المستلكات التركية.

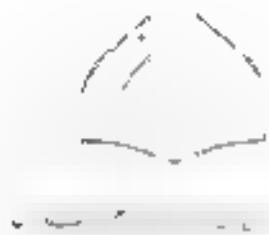
هذا وقد وجدنا طريقاً إلى دار عرفها أنها عذبة تتكون من لاً لنا، وكان
 يجلس خارجها فوق بعض اسجاد عديد من لعثمانلي امرئتين الذين رحبوا ما
 بإشارات بل على المجاملة، وكر بكلمات معدودة وكان الخدام من



من أبواب السور - الواجهة الداخلية

(١) لا شك أنه يقصد بذلك بلاد العرب لا (عربستان) المعروفة في حوب إيران

لأترك، كما كان كل شيء من حولنا يشير إلى تبدل الذي حصل في البلاد
والناس ولأول مرة في هذه المرحلة لم يحصل اختلاف مع المساء حول
الشعير والسر للحيول، أو أراد احقدرا لنا فقد كان كل شيء مهياً سا بالتمام
وبكامل الحرية، من دون كلام أو سؤال. على أنني لاحظت أن عادة واحدة
فقط كانت تعث على الاثمنوار، فإذ الحدم بدل أن ينتظروا ما يمكن أن تقدمه
لهم على سبيل لمجاملة عند الخروج، يهجمود عنيك كنهم مرة واحدة
ليطبروا، لا يسجدوا، السجشش. وقد كان حتى لسجد في هذه الحالة مع
المطالين به، ولا أدري على أي أساس كان يستند في ذلك، فوجدت أن
انطريقه لوجية جعله الرصع أن أعطي في الحال ما أراه كافاً وأرد بعد
ذلك أية طلبات أخرى



(٣)

محرماً من كعري - قره تبة - الخطاء الطريق - جل حميرين - ادين كوي وجهانكير اعا -
لأدلاء العرب - منارل العرب - قلقي - آثار الاردهار القديم - هبهب - دراج ابادية - سهل
بغداد - حبر غير سار - بغداد في حالة حرب - النوقف في الباب - الوصول إلى المقيمه

بغداد - ١٣ تشرين الثاني ١٨٣٤م

ها قد وصلنا أحير يا عزيزتي - إلى مدينة بغداد العظيمة، عاصمة
الحمام - عاصمة هرون الرشيد ورسلته لجميلة - ومقر جعفر لرمكي،
ومرور رئيس الحصيان، وجميع لرحاء مثل أبي الحسن وعلي حوجه،
ولسبت والحمدلن، والمعبوس وللمقنونات الذين تحدث عنهم دأف ليله
وليله! فوا أسفاه، كيف عما عنيها الرمن لكن لتتمهل قبيلاً ولا سحدث عن
لأشيه قبل أوامها.

فقد رونا مصبها في كعري سليم أعا دالين إلى المرحلة التاسه، نكه
أوصانا بالراح أن لا بدأ برحلت قبل اصبح، ولذلك لم نتحرك قبل بروع
المحر وانحقة أن هذه المرحلة كانت مرجه خطر، لأن الطريق باسظر
لوفوعه على لحد ودين لاكراد والعرب سماماً كان يتعرض لسلب واسهب من
الفرشيين معاً، وبصعب اكتشاف الفاعلين فيه. وقد كنت أنتظر أن تصدى
في لطريق ص يدا لقدامن سليم بك ورستم أعا، لأنهما وعدا حرحا من
مطقة بغدادهما ربما كان يروو لهما أن يهوم بهحصن أدق لعشما وكراعا بد
كاتب هناك عده أذكر مسسه للكمين، وخاصة فاع الهز الملأى بالقصص
وبعض الوهاد المنتشرة في مسله الجدر الباطنة لني كان يتختم عيب

جتيارهم. ولدت طيب، لينا دليل أو عد أسحسا المايه للاستعمال وبركت بحذر على أن استطع لإدلات، كما نه سا بي عدة مناسبات من قبل، فوصلنا قرية تة وهي قرية صغيرة كثيرة الأوساح عد مسيرة عشرين ميلاً وقد ثبت أن الحيطه التي أوصانا بها مصصها في كفري كان بها م سردهم، فقد سبب قتل أسرع أو عشرة أيام قافلة في النهر الذي أنشئت إليه وحيثما سمع بها سليم أعا في كفري ركب نفسه مع خمسة عشر حياً فحقق بالصوص و قتل ستة و سعه منهم ثم أسر عدد مماثل ولأجل أن سرهم لم علم ذلك، على ما أحسب، أربا الحصان الذي ركنه حسما قام بهذا العمل لباهر. فكان كماً حميلاً يطلع أربع سواب من العمر. نصر أن يبيعه على ما قال لي بمئة تومان أو ما يقتل خمسين دوداً اسرلياً وقد كتب أنا مستعداً لأن أرفع له ذلك المبلغ في الحال و كان يوافق على اتحيي عن ذلك لحيوان لأصيل

وكان بودي في هذه الليلة أيضاً أن أبدأ بمسيرة طويلة، لكن علي أعا صابط القرية صرح لي بأنه لا يستطيع أن يسمح بي بالتحرك من الصباح نفس لسبب لذي قدمه مصيف السائق وهو انعدام الأمان في الطريق فوفقت بين لرأين بركوب في اساعة اثبة و لصف بعد منتصف الليل، لكن بمساع بعد ذلك لو تخرج في اركوب إلى بروج الصخر برعم اسافة التي قطعناها. لأنها ما إن اتعدنا عن القرية مسافة نصف ميل حتى علمنا أننا قد سبب درمه من أمتعتنا فعدنا حياً ليأيد بها وحيثما استفسر عنها في الممر الذي كنا فيه أكر صاحبه كن علم بها، لكنه أضاف قائلاً: «عشرة من لجابة مروا قرب الباب بعد أن تركم لمدل. وربما كانوا هم الذين أخذوا برقة وحيثما سلكه بحوف ورجل «من أين أتوا وإلى أين توجّهوا؟» أحده قائلاً «لا أعرف ذلك، لكنهم كانوا يتعصبونكم على ما يبدو».

هكذا هذه أخباراً غير سرية، وكان في تأثير محذر واضح على دبلنا الذي أدر في الحال إلى الانحراف عن الطريق الاعتيادي وقادد لأكثر من ساعة واحده خلال سهل مكشوف كان على كل حال خال من لعواتو بحيث تقدمنا في لمسير من دون صعوبة على أنه وقف أخيراً وقال «يجب أن تكونو على

عنه بأسى حتى الآن أفودكم في طريق برعية، ولا بد بي أن أقول لكم لأن
 نأسي لا امن أولئك الحيث له لدين شوهوا وهم يتعقبونا في لقرية ولو كان
 هؤلاء من الأعداء هناك مكان يحتم علينا عبوره بعد قليل ويمكنهم أن
 يتطربوا فيه - بحمد عبيد ن يحتار في وضح أسها - وبذلك أعقد أنا يسعي
 ن نزل هنا بهدوء حتى يبرع الفجر، نزلوا رجاء ودموا - لا تتكلموا ولا كلمة
 واحدة، ولله هو الموفقا ربما سنطيع أن نفلت» وهذا بدخل خدمي
 فتسلموا الحديث بهجة انتحج الإيرانيه المعتادة نادا توقف فصيح
 الوقت؟ لمد نأ رلاكم دأر العرب، كلاب حيوانات! من هم هؤلاء حتى
 يستطيعوا يقفوا؟ أعهم يحربون نعلمهم أن هناك إيرانيين، رجالاً بسهور
 بحانهم في سبل حماية سيدهم من بكر أولئك العرب حتى ولو كانوا عشرة
 أو عشرين؟ كورى بيده ريشا! وغير ذلك. لكنني لاحظت أن الدليل ن
 متحوقاً في الحقيقة، فأسك هذه المورة الصولية وعنى هذا الأمدس نفسا في
 مكانا ساعة كامة من لوقت فكانت ساعة شديده البرد ومرتجة

وبعد انقصائها حظرت للدليل فكره حذسه في الموضوع، أو تشجع
 توفيق من الله فوافق على متعة السير وفعلا ذلك محادين نهر صغير دي
 عمق عبر بسب كان بحري في محرى كثير التعرج وبعد قليل مررت بمنزل،
 من منازل العرب، ومن حسن حظنا أنه كان يقع في الجانب الآخر من النهر
 فهاجت كلابه مكوّنة جوفه هائجة من النباحين، لكننا لم يقنما أي شيء آخر.
 وقد قضينا فترة شاقة معة حتى طلع أسها، وعندئذ غربا أسهر وسرنا في
 طريقنا إلى نعه لثلال لمحفصة التي كانت نحد النهر في هذا المكان.
 فكانت هذه بلال حميرين التي نعد فرعاً من حبل حميرين الذي يمتد من
 كردستان حتى نصل سلسلة كوردان وقد انتهى ركوب لطويل الشاق خلال
 لوهاد لجوف المعقدة، لي كان نحلل هذه لملال، بمسيرة لنيا فيها نفس
 لمقد ر من المشق خلال سهل واسع مسسط، يستد من مصحها إلى دحلة
 وعلى طول صفاها إلى خليج البصرة لأننا الآن قد نحصص من آخر الحدود
 الصحريه وأصبح في أسهل الرسوبي غير لمنقصر الذي يكون من دحلة

والمرات فإن في لأقل اسعيد حال دي عاسر و السجل المحظ بعدة قري
أخرى ، فلوب عان خيولنا بحو الوجه الشمالية منها .

فمن أنها أدين كدي' ، وهي قرية حمينة جعلنا سرك فيها تلك ليلة
في دار الصابط والعجور جهانگیر حار ، اسركي لربه لمصياف ولم تكن
مفيدین هنا بالصعام للادوم للشد و لحيل على حد سوء ، لأن حداما ذكرهم
مطلق الحرية بأن يأخذوا ما يشؤون منه لهم وبحيراتهم وأمر لصابط أن
تكون حصتي الخاصة من هذه العيمة شيئاً من الرز لدحر . وقد كان جهانگیر
أعاً هذا گرچيا بالولادة . وحسماً كان فني يافعاً أخذ أسيراً في أيام أعاً محمد
خان ثم ارتقى في خدمة عدد من الأسباد حتى أصبح في النهاية ملترماً لهذه
الفرية التي يدفع عنها إلى لحكومة شأ سراوح بن لمتة تومان و ثلاثمائة .
وهو مش سيره بتدمر من عاء الرمان وتعسف الحكومة هي لاسرار ، لكن
الحقيقة أنه لم يكن يعوره شيء للرحه في بته عني ما يبدو وأن كل ما كان
عنده كان مسعداً ليشاركة غيره به عن طيبة خاطر وقد كان من الواجب
المحب لي نفس ان يرهس لمثل هذا الرجل عني أن السباح إلاكثير لم
يكونوا مائلين إلى عدم تقدير الحمل لدي معاملة به ، فكاتب الهدية التي
قدمتها به من حراء ذلك تفوق حد التصور عني ما أعتقد ولا لي أن أقول
هـ أن لأنراة حتى الآن قد فافوا ، الإبرائيس ، أو حتى لكرد ، في معاملتهم
للصنف من حيث لمعاملة أو الحرر عني أن منك نقطة واحدة كنت أود في
بعض الحالات أن يتم إصلاحها فهم يعثرون من واحدتهم في نصيافه أن
يسكرموا بالكثير من صحتهم على صيفهم ، مما قد يكون شذ حساً للعدية بما
لو كان لصيف بهم لعتهم لأن ذلك يمكن أن يبع الفرصة حصوله عني لكثير
من المعلومات لكنه من سوء حظه ، كما هي الحالة في قصبي ، أن يكون عمر
ملم بنسبهم فإن ذلك يصحح ثغلاً خطيراً عله لأن حصورهم يحول دون قيامه
بإيجار مختلف لأعمال لي لا بد له من اعظام لفرصه اساحه لإيجارها

(١) الأرجح أنها المنصور به «بحاله في لواء ديالى

وهي حائلي نذ، استطعت بواسطة خادم من خدامي الذي قام بدور لرحمة نذ استخرج شيئاً من المعلومات من صديقي جهانگیر أهد، الذي كان قادراً على تقديم المعلومات بقدر ما كان محاملاً وطيفاً فقد تعلمت شيئاً عن لطيفه الحالية من انتصر التي تبعتها حكومة بغداد في تأجير أراضي الناشوبة، وأبديت لي القوصى، وما أدت إليه من تدافع في السكر، التي شهدت عليها أصبت نحن وأذاننا منذ أن دخلنا في حدودها.

وهكذا كان رأي مصيحت الكريم حول قوصى الطريفة وأخطاره، حتى بالعرب من المعاصمه، بحيث به رفض تاتاً أن يسمح لنا متاعه لسرى هي تلك الليلة قائلاً به لا يسمح لنا بالسفر قبل طلوع الصبح حتى ولو أعطي ألف يوم، عن ذلك، لأنني كنت كالمعتاد راعياً في التمر كحائماً تكون قد ارتاحت حيولنا من البلاد كلها على ما يقول قد كسحها العرب أرخص، وإن الذي في الليل من دون دليل يعتمد عليه يعد صيداً من الحنون ولما كان يعتمد عليه في إيجاد لدنس المطلوب، الذي يسحب السير من دونه في مثل هذه الطرق غير المنتظمة، فقد تحمى عليه أن ندعى للأمر الواقع أمين فقط أن نتحرك في ساعه مبكرة من النهار

على أن إيجاد الدليل كان على ما يظهر أمراً سهلاً اتكلم به ويصعب وضعه في موضع التنفيذ فمما يحضر لشخص المهم الذي كان عليه أن يسير به في الطريق من السادسة والنصف وكانت هناك مراوغة عربية حول لشخص الذي كان يوتب عليه لذهاب و عدمه، مما لم أستطع إدراكه أو فهمه ولكن أخيراً بدأنا بالرحيل، وعلى بعد ميل واحد من لقربة وصلنا إلى منزل من منازل العرب توقف فيه ذلك شخص على خياليين ثبين منه يقوماد بمرافقتنا للخدمة، إذ سدوهم لا يستطيع التقدم في الطريق ولا خطوة واحدة، هكذا كانت أواخره، وقد ظهر الآن أن مصيحتا ارتأى من الأسلم لنا أن يكون مرافقنا من العرب لا من العثمانيين، وخاصة بالنسبة للرعب العظيم الذي كانت نشعر به البلاد في تلك الجهات من وصول جماعات كبيرة من الأعراب وحرب حياتها في الأراضي المحصنة لي كانت تمتد من وبرز دحلة، على

هذه ذهب ديننا مع أحد حكامي لتفاوض في هذا الشأن مع الأعراب الذين
 اقترعوا من خدمهم، بعد أن تركنا ركس على ظهور حيولنا لقرب من أحد
 الجداول وكان لأعراب جميعهم حالبس مام حياتهم وهم يدحرون شطوبهم
 ويشربون قهزتهم، وفي ذلك كل حيلة كانت بصف مهره حمسة مسرحة ومهناه
 للظواني مع ربح صاحبها معروفاً في لأرض بجانيها وقد قيل لي أن هذا
 المخيم كان بوسعه تقديم أربعة أرخمسين خيلاً يعتمد عليهم. لكننا بعد أن
 مرت عيب ساعه ثممه بهذه الحال لم نستطع الحصول إلا على اثنين فقط
 منهم، إما لعدم الرغبة في مثل هذه الخدمة أو من جراء الكسل، وكان ذلك
 مضيعة للوقت فبحثت على الأعراف

على أن مقدار التأخير قد جعل على ما أحسب متسبباً مع لعة المظورة
 في الشبحة - فقد عاد لخدم وصحته شيعول أو كبير من كبار ذلك لمخيم
 العربي، وروحه أحدهم إليّ شاهراً رمحاً بطينة تهديدية وهو يقسم برأسه
 ويقول إنه سيوصلني سائماً إلى منزلي مرغم كل ما يحدث في الطريق فكان
 هذا كله شيئاً حسباً على ما يظهر، لكنني أرى أن الطمع في المكافأة المرتفعة
 هو الذي حدا بأشيوخه أن يتركوا جواديهما في أيديهم معناه.

فتابعنا السير بعد ذلك، لكنني دهشت حين علمت أن ديننا الأول لدي
 جاء معاً من القرية في بديء الأمر لم يكن يزعم في مرافقتي إلى بعد من
 هذا على أنه رد على عترضي بمولاً أن يهائه لا فائدة له بالكلفة - لأن
 الدليلين الأعرابيين لم تكرر فيهما الكلفة فقد وإبنا هذا الدليلان لوحيدان
 المدون منكمهم أن يجتازنا لطريق إلى هدفنا والأبكي من ذلك أن هذين
 الدليلين لم نكنما نفهمهم عبر العربية التي كنا نجهدنا نحن تمام لجهل غير
 أن لم يكن لنا محيص عن هذا ولذلك تابع السير عبر حقول لقرية المنحروقة
 وما بين السواقي الحافة والرطبة حتى حتماً لم جدول عميق عبر غرض علمت
 بعد ذلك أنه كان جدول الحاصل الذي حديداً صفافه امتعرجه لعداء أميال في
 سيرنا

وعلى بعد فرسخ من القرية مررنا بمحطة دلي عرس، مع الجسر

الممدود على الحالص فيها ، وقد تعجبت حسنا عمدا دسلانا فيها إلى مركها إلى سارنا و لمادي في السير على لصفة لشماية وبعد ذلك مررنا بعدة فرى تستقي معها من الحالص ، ويكوّن سكنا كلهم من العرب وقد كان بالقرب من إحداهم محيم كبير من مدور الأعراب فسري أن أرى الحدود يحجر سا وسه . وكانت هناك منازل أخرى تنتشر بعيداً وقريباً إلى مسافة كبيرة ، وبعد ذلك تصحى أن للدليل عمدا إلى تعقب لصفة الشماية من الحدود على طول هذه المسافة ليتحاشيا المرور بها أو بما يقرب منها

وقد أن وصل إلى هذه القرية بقيل استدعاني أحد حدمي من الحظ لأمامي في السير إلى الوراء لمرافقة الدليلين اللذين أصبح تصرفهم غريباً على ما قوله ، إذ لم يكن مريباً إذ تصم إليهما رجل آخر من الأعراب كان يركب فرساً حميله بأفراعاً ، سمع أن شبحاً آخر يسعه قلقه على سلامتنا من سقاء وراءنا ، ولكنه قد راحاً لأهله فقبل لنا إبه واحد اسلاد غير آمنه على أن يرد الدليلين اللذين وتجنههما إلى ما وراء القافلة هو الذي كان يصرع حادمي وحسب عوننا على عدم تمكنهما إلى شؤون السير واضرباً أجاء بصرع غير يسير بأن هناك كثيراً من خصومهم العرب في هذه الأجزاء ثم تقدمنا بأبواب محتففة من الطبقات لبحثيش أو الهذاب فوجدت من لأحسن أن أتصح لحرم والعصب ، يسر تقدم أحد حدمي بكلمة أو كلمتين للتملو وما بين هذه وتلك اقتنع بمسارعه السير مع كثير من الإحجام مرددين كلمة إن شاء الله عدة مرات ، ومدين كثيراً من علامات التحوف ولم ينفع ذلك كله في تهدئة المخاوف التي كانت تساور رجالي اللذين لم يستطيعوا كتمان قلقهم حينما كانوا يتصورون أنهم يمكن أن يصبوا في هذه الجهات ويحدوا من ملابسهم ، إذ لا يقتلوا بدم بارد ولم تكن حاتي العسكرية أن على أكثر من ذلك هدوءاً وسنبراً ، فلم بكر نوسعي أن أحتم فيما إذ كان نصرف الدليلين مسأ على الجوف ثم على الرعة في المسدومة واستغلال للمخاوف التي قد شربها قد غمرت قلب ساعات ثلاث ما بين مر الأعراب اللذين مررنا به وظهور لحول المحيط بقرية ، التي كان عليها أن نفسي سلب فيها ، لي الأفق لعدد فكانت أشد

الساعات التي عرفها قهرٌ وزحاحاً عسى أنها مرت عسى كل حال مثل غيرها من الساعات المزعجة الأخرى، كان من بواعث الارتياح لنا أن نسمع دليلاً في ليلته يعلن أن ما قد تجاوزنا المظلمة المحظرة وصار توسعاً مساحة السير بأمان وقد سير أن ذلك كان من بواعث الارتياح لهما كذلك، لأن تشوقهما للمسير كان لا يقل عن إحجامهما عن التقدم بديء ذي بدء.

أعظم أسهوى توسعه من لأرصى لعبه القاسية للزراعة التي جتريها هذا اليوم ولا حظ وحدها و مبداهها من جميع الجهات الأرضي التي كانت كلها تستر عاً يائساً فأصبحت يائساً لعملاً بالكيفية وما أكثر مجاري ليله واقصوب التي شاهدها - بها ثور لري القديم في هذه البلاد - وما أعظم القاسية عسى الأزدهار براعي وبكانف لنموس، المهمة إعمالاً كلباً فقد كان كل ذلك في الحقيقة مطرٌ محررٌ، وكان مما يفرج عن لعبه امتعه من انظر لي ماطر المدينة لراحة والثروة المندثرة أن يترك إلى الممطر المريح للسكان الحائسين في المكان الذي مقصي فيه هذه الليلة. فدخلنا هيب، جدي لفرى لي تكلس بونها بمحموعتها عسى صفوف دحية، قل أن نمين الشمس إلى المعبى ساعة واحدة تقريباً، وبعد أن قدمنا بعض الإيصاحات استند بآب ولطف بآب انصاف إسماعيل أعاء، وهو سيد من السادة، فردد بجمع ما كنا نريده برويداً و فرء. وتقع القرية نفسها ما بين بساتين ممتدة من السجين. وكان كل بيت يوحد في ساحته عدد منها فذكرتني الماطرات ببعض أوجاء يومي.

وفي أثناء ذلك ما هذا ليوم صطد عدد كبيراً من الطيور ولا سيما من الدراج الأسود والرمادي كما لاحظ من بعد كثيراً من العرلان، لكن الأسراب الكبيرة من الدراج البري التي مرت ما كانت من أعظم ما رأيت من هذا القبيل إثارة بدهشة والعجب، فكانت هذه الأسراب تأتي كأنها على شكل كلة الجراد، وكان أحدهما على الأحصر، وهو الذي استعرق عدة دقائق في مروره، فكان هو من فوقاً بمدحاه من نظرين على مد انظر ربما كان هذا لسرب وجاء بحوي على آلاف مؤلفه من الصيود وهناك نوعان من هذا

لظفر يشيع وحودهما في أواسط آسية نوع كبير ونوع صغير، وهذه كانت من
لنوع الصغير الكسي م أن هذه الحيور من قبل تجتمع مثل هذه الأسراب
الجسيمة، أو في حالة انهجر كما كان يظهر مما رأيت^(١)

وقد قدوت العمل على تلافي لوقت الصائح إن أمكن، وبصراً لما قيل
لي من عدم وجود ما يدعو إلى قلق في الطريق ما بين موقعنا هنا وعداد فقد
حصنت على دلييلين راحلين من الأعراب وتحركنا في الواحدة واستصف بعد
منتصف الليل، وتماديينا في اسرى حتى وصلنا إلى لمدييه اعطيمه فكد
صربنا كله في رص مستوية، ومررنا بعدة قري قبل طلوع الصبح الذي برعب
علينا حبوطه الأولى ونحن نشاهد مائر بعداد رؤسها يرتفع في الأفق اسعد
وبدأ أن سهل بعداد على طول مباديه بصوي عمو مسهى الحصص، لكنه
يتطلب در اءاء إليه ليكون منتجاً حقاً فقد جعله نظام الري السديع، الذي لا
تزان آثاره الكثيرة باقية حتى لوم، خصوصاً يابعه وبساتين عفاء أما الآن فبما
عد لاصاح لمر لذي يعري العين بصبته اسرتعاسة الاعية واسانات المسحة
للمصود^(٢) اسي لا يصلح إلا علماً للحمام، فلا تستين العين فيه شيئاً رماً
مطلقاً ومع أن سرب سيراً مسرعاً، فقد سرب علب فرة معة قبل أن يرتفع
أسوار لمدييه أمام أخطار - وارتفاعها تحد ستاد القلق والريبة -، لأن
عندما ان قبيله من الأعراب للمعادي قد نصب حدمها على مقره من المدييه
وأن حيوش لباش كانت مر بطة بجاء العدو - وأن عدة مباوشات قد حصنت
من قبل، وأن جماعات من الأعراب صارت بملأ اسلاد ونهوء دبسل
ومسب، بحيث لم يكن من الأكيد مطلقاً أن يسمح لنا باوصول إلى الأسوار
من دون مصايعة وإرعاج برعم وقوعها على مثل هذه المسافة القصيرة عما
ومع أن هذه الحالة هي علمي درجه من الاعتداد في هذه الجهات بحيث لا

(١) من لمؤسست ن قبل وجود هذا الظفر اسفيد في هذه الأيام وسب ذلك بلا شك
صطيد الناس له في جميع أوقات السنة من دون مراعاة التوقيت الذي يحدد اصطاده

في أشهر معينة حماية له وحرصاً على عدم انقراضه

(٢) لعله يقصد بهذا ثبات الشبان اسري المعروف



سور بغداد ومخلفه في أوائل القرن التاسع عشر

تستدعي الكثير من الدهشة لدى السكان المحليين لماي أعترف بأن الحبر قد
أفزعني، حصه بعد أ، تأيد الحظر لنا من إطلاق عده إطلاقات من المدافع
وسقوط النار المعلقة من لساق في نفس المكان الذي أشير إلى كونه موقعا
لمحيم المعادي ونظراً لأنه لم يكن عندنا ما يمكن أن نفعله سوى أن نص
بأسرع ما يمكن إلى حيث نستطيع الاحتماء بالأسوار، فقد سراً سيراً أسرع ومع
أب التفتينا بعدد من جماعات الأعراب الصغيرة التي كانت مدججة بالسلاح أو
مرربا بهم فقد وصلنا إلى باب كركوك^(١) من دون مصيقة أو تحرش. وقد
حصن في اباب توقف على جانب غير يسير من الإزعاج لأن قوة من القوافل
كانت نهم بالخروج، ولأن موظفي لنا كانوا يهرمون باستياء لرسوم
واحصرات المطلوبة. غير أن نظمين الصراط المسؤولين لنا إكثير، وأنا كما

(١) بعله يقصد الباب الوسطي (الظفرية) الذي يوجد فيه الآن مكتب الأسلحة.

في طريقنا إلى مسكن دالليور أو المقيم، كان كافاً لإقنادنا من لحاجتهم
 وإحافهم لكن تحليلص أنفس من رحمة لعدل والقائلة لم يكن سهلاً،
 فاستغرق وقتاً أكثر مما كان يحمله حرجي وقله صبري على أن في النهاية
 تمكنا من عبور شق الأنهر، وحصلنا على دليل يوصل إلى دار المقصنة
 وبعد سباحة طويلة عبر لأرقة والأسواق، كانت ممتدة دلتة ليلاً، وصدا إلى
 متعنا وقد عرفت بهرة من لفرح السيه^(١) الهند الذين كانوا يرابطون في
 دباب - لقد كانوا كأنهم أصدقاء داليمون في بلاد عربية وبعد خمس دقائق
 كتب حاساً على مائدة العطور مع الكولونيل دالليور^(٢)، بكل مسيرات، للرحيل
 الحار والعطور الشهية لنحيتي وإعاشي ولا أراي حاجة للقول بأن نوبة اليوم
 قد نقصت بأطراف الحديث وأكثره متعة مع الأصدقاء الذين اجتمعت بهم، فقد
 كان عندي كثير مما يحب أن يقرأ عنه ويقول غير أنه لما كانت هذه لأحلى
 لا يمكن أن تحظى عندكم نفس الاهتمام الذي تحظى به عندي من أضيافكم
 مؤوسه في الوقت الحاضر، وأستودعكم إلى تلك الرحلة بهيئة التي تقصر
 عن ريادة وصدي هذه الليلة

(١) Indian Sepoys وهم الذين من الهند الذين كان يؤتى بهم من الهند لحراسة
 المقصنة البريطانية في بغداد

(٢) المقص البريطاني في ذلك الوقت والمعتمد أ الدار التي كان يقم فيها تجمع في
 مكاد دلتة كمرك بغداد - حارة التي كانت تسمى بها أيضاً الفسحة التي بين بيت
 بناية مديرية التلغراف الحديثة والدالة كذلك



(٤)

لدة الراحة بعد التعب - الانشغالات الأولى في بغداد - أسوارها - شوارعها - نهر دجلة وصفاه - الأسواق وسطح البيع - وصف بكتفهم للمدينة - الحوامع والمناظر البيوت داخية البيوت والأحوال فيها - المرأة التركية المظهر الشخصي - الوشم - النساء الكرحيات سكان بغداد عاداتهم - الأزدغار في أيام داود مش - الشؤون العسكرية - الأسواق - النجار الأتراك - العرب - عاداتهم - أصوات بغداد

عزيزتي

إن أول يومين أو ثلاثة بعد الانتهاء من رحلة غير قصيرة، وعند الوصول إلى مكان غريب، لا بد أن تنقصني سوع من الدوامة المحمومة الحالمة، التي لا يمكن أن تكون موفية للحصول على المعنويات الصحيحة أو تكوين فكرة عما يحيط بالمرء فيها، يتم تبادل الاستفسارات والأجوبة ويتطرق المرء إلى الحديث عن أشياء شتى نكر شيئاً من المعرفة عم لأمكنة وأحوال بعد صرورنا به قبل أن يكون بمكانه استيعاب المعلومات التي تفر لي ولراحة كدث الراحة السليطة ولهدوء - هي التي سعت الإشراف فسا، بعد أن نكر، قد شهدنا طريقنا خلال بلاد صعبة وطريق شاق متعب، بحيث يصعب علينا أن نوفق على تهيئة أنفسنا للجهد المطلوب لسعي وراء العذب ومشاهدة المناظر ولا بد لمن يجا نفسه في هذه الظروف أن يكون قد شعر بهذا - أي بالإحساس الشديد الذي يلازم هذه التكاليف، وحير الإحجام الذي شعرت به في نقص هذا التأثير السحري.

أما حاتي فم تكن تتحمل لاهماك الطويل إذ لا يزال هناك الكثير مما يجب أن أحذره، ولا يمكن، لا تحصيل فلم من لوقت حشاهذه المناظر و

المعنى في لأشياء العريضة ومع ذلك فهي حرة دجلة الحالد بحري من تحت
شاك، ويعبر بالزوارق والأكلان ويمتد من فوقه حصر الرواري المعروف
الذي يوصل بين صفته ويرتفع من حولها مائت الحوامع وقديها، ومراقه
القديسين والأزياء، وهي تحدثنا عن الأيام العشرة حيث كانت عدد خاصمة
الإسلام وموئل قوته ومعته وهى هي بس وسلوفيه^(١) وصدق كسرى بفع في
مواقع قريبة من، ونعص البلاد لمحطة بنا كنها بالأشياء المهمة التي تنب
الصر وتستدعي الاستكشاف ولذلك أعداد أنفس للاستفادة من وفها الغصير
بأحسن وجه، وبدأنا بحولاتنا.

فبالسببة للدين يأتون من إيران، وخاصة الدين يكون قد أصبحهم تعاقب
الدمار والحرب الذي أعقب عوبنا وأهيكها دار أبناء من انا، نعر مصر بعدد
لاوب وهلة مطر بديعاً يبعث على لأطع الحسن بالأكيد عدلأسرر أولاً
مطر مهيب يؤثر في نفس - فهي مشيد بالآخر لمحروق بالاد، ومدعمة من
كن راوية بأراح مدورة لها فتحات (مراعن) خاصة بمدافع، بدلاً من لسياج
السيط المني دالطين، لمتهم على المدوم بقريناً، الذي يحط المدن
الإيرانية ولا يعني هذا أن سور بغداد هو سور كامل، فالأمر لسر كذلك
وبما أنكلم عن مطهره الحارحي والابواب أيضاً، ومع أنها متهدمة لعاية فيها
على وجه لتأكيد أعظم من أبواب المدن لموجوده في البلاد لمحاوره.

وحينما يدخل السائح القدام من يرد إلى المدينة فإنه علاوة على ذلك
يسبح بمصر النوب لمسة، مثل أسوار المدينة، بالآخر المحجور على ترتع
في علوها إلى عدة طوبق ومع أن عدد الشايك المطلة على الطريق غير كثير
بحال من الأحول فإن العين لا يرعجها اسم ر ذلك اسعاقب الكنه من الكل
الطبيبة الحفيرة الوحطة، لمتداعية، لمتعرحة وغير المنتظمة، التي تحجرها

(١) هي المدينة التي بناها سوس في انجاب لمقابل من دخله تحاد طاق كسرى
وسلوقس هو قائد يوناني الذي حكم هذه الجهات بعد موت الإسكندر المقدوني
في هذه البلاد

عن بعضها مراتب مرة موحلة لا تسحق حتى أن تسمى رقة، مما يتكون منه القسم الأعظم من كل مدينة إيرانية

ولا ينكر أن لشوارع، حتى في هذه المدينة، تكون في الغالب عبارة عن أرقة صيفة غير مسطحة، ومرحلة في الشتاء من دون شت، لكن المرء حسماً يمر ركباً فيها وخاصة في المواسم غير الممطرة يتأثر حسماً بفكرة أن الحدردان المتبني القائمة على يمينه وشماله لا بد أن تحتوي في داخلها على مكان مريحة حده نقاوم لأحوال لحيوية، بسما تؤيد لأبواب ذات الحجم المناسب والقصات الحديد التي تحافظ على مدحها ما يحتلج في محييه من فكرة لمتانه والأمم أم في إيران فالأمر يكاد يكون، بعكس ذلك، إذ يكون ما حل لبيوت، وحم سوب الأشخاص المرء موقر، أشبه بصفحات انكهوف أب المعاد بدلاً من أن تكون أنوياً لبيوت يروي إليها أناس من انشر

ولا تعام شوارع بغداد المفتحات لي يسمح بدخول النور والهواء إليها وليس اشباست المطلة عليها كثره فقط بل بوحده أيضاً شرفات مقله، أو شايك سررة^(١)، تحيم على الشارع فتسمح بدخول الهواء إلى اعرف لي يجلس فيها عادة عدد من الأثراء لمتزمتين الذين يقصود الوقت للتدحير وإذا كتب محظوظاً فقد تجد نفسك صدفة هدفاً لأشعة نفاذه بوجهها إليك من وراء المشيد^(٢) نصف لمعلق روحان من العيون لشرقة وقد ترى هذه الأحجة الممعددة للحلوس ممتدة أحياناً عبر اشرار لتتصن ببيوت من الحاسن، فتصمي بذلك تنوعاً مهجاً على طرر استاء وخاصة حينما تشاهد وهي نصف مقله سعف الحين الذي يعلوها من مناحة الدار في الدحل. وقد كان هناك في لجر العام المتككون من لتنوع اسرر، وطرا الساء، والملاس العربية، واحبالاد لحصرة، وخاصة سعف الحين، ما يعد إلى الدهن، حيث سفر إيه من وسط اشوارع الأكبر اسقدمة ذكرى مسوشة عن بلاد أخرى أكبر

(١) شايك

(٢) لشم

شتهاراً في العالم - بلاد عليها مسحة مديرة، في حذر الهند اشرفيه و لغريه أو
ما أشبه - بلاد نوب في النفس مقداراً من لهجة و لاشراح يربد، على كل
حال، على المظهر الحقيقى الذي أراه أمامي

هذه هي الانطاعات التي تكوّن لدي عما رأيته أثناء مروري بالبلد،
لكن صفى لهر كانت ربما منظرأ محتشماً بقاء لاحتلاف وأكثر حادبة وحملأ
من كل ذلك قد تدفق نهر حليل معروف بعد شيئاً طريفاً في جميع الأرماد،
لكنه حينما تكوّن صفوه مرد به خط طويل من لأسية المؤثرة في النفس - يد
به تكن حمسة تمام لجمال و مصله بساين لحنيل و رقة الضلال، فصلاً عم
يربأ في رونقها مثب الرور و صحيح الآلاف من الناس، وحينم يكون
محروء قد مُد من فوفه حسر من الرواق يعبر عيه سبل داسم اتدفق من الناس
والحنيل والجمال و القود، و حركه نقل عظمة من جميع الأنوع والأشكال،
فإن الدمحة احتكونة من جميع هذا بصعب عليها أن تقصر عن رسم صورة حية
جداً في محبلة لوائي . وهذا بطعة الحال هو المظهر الحقيقى لحدته حينم
نظر إليه من اية نقطة كيت على صيفيه، حيث تستطيع أن تحصر في مدى
دؤبتك جميع الحير الذي تشعله المدييه الحالیه.

ولم تكن لمطرة لأولى التي ألقسها على دخلة نذل على ما كنت أوفعه
على وجه التأكيد . فلا يمكنني أن اعول إسي قد حاب أمي تماماً فيه لكي كتب
أنوقع أن أرى بهراً أكثر عرصاً واساعاً مما رأيت . على أنني اعتقد أنه أحسن
معرضه لحالي لأن لعين تستطيع في الوقت الحاضر أن تشرف على العجاسين
سهولة أما حبه البلاد مخطبه على النهر فقد كان عجبى فيه مفعماً بالهجة
واسرور . فلم يجد فيها إلا أقبيل من الحذر و العارة، لأن معظم ليون لها
عند كبير من احشده (الغيم) والشرفات (الشاشيل) أو لشايك الباررة التي
تطل على النهر و بالقرب من الحسر جامع حمل بهابه و مائره، وهو مظهر
يعت في النفس لسرور والارتياح . وهناك نوحه عام شموح يستحق الاعبار

١) يد كذا هذا الجسر في نفس الموقع المعاني لحسر الشهيد، أو لحسر المديين، وهو =

هي خط الأسفة المظلمة على امهر من صفته ايسرى. فيضمي نوعاً طريفاً على امطر. وليس الحجاب لأيسر، أو اعربي، من ليهو عمو مش هذ الحجاب في صراد لأسفه و متدادها، لكن مساتيه^(١) الو مسعة و بحيله لمتشاك السحتلط دالأسفة تسع علله مظرأ مهجأ إذا ما نُظر إسه من الحجاب، لأحر المكتف بالسكان.

عمو أنبي نحت أن أعرف بأسف فد حجاب أنبي بأسواق بعدد وليس السب في ذلك فتعارها إلى السعة والامتداد، لأنها على مقدر كاف منها، ولا حنوف من اساس. أو عدم وجود حركة فيها، لأنها تكون في كثير من الأحيان مكسطة الكفظاً كفاً فظهر بمظهر برود نوعاً وبهاه عم بلاحض عدده في الأسواق الإيرانية وإسا هك من ناحية الساء والعمارة فقر في السحتبط وساطة في لتفهد، ومظهر من مظاهر لهدم، لذي تُعري حرقياً إلى الكورث لتي صانت المدينة مؤحراً بضيعة لخال، لكن كثيراً منه يرجع نسب فيه إلى عيب أصيل وُجد في صرار الساء عد الساء على أن بعض الأسواق، ومنها صف ثلاثي ودرعي ممد إلى مسافة غير يسيرة من نشد داود باشا، قد بني بناء جياً بالجص والآخر المصخور، وطلل عن الشمس مستوف ذات طوق عالية مسبه بالمواد نفسها لكن أسوداً أخرى كانت حرقه جداً وكاتب سقوفها مصنوعة من مرادى الحشب الممدودة بصورة وقبه غير منتظمة ولمعطاء بالسعف أو لفش وبالفص أما الكاكين نفسها فهي كاكين بسيطة فقيرة، غير مرممة في كثير من الحالات، وكثير منها فارغ سير مشعل وقد كان يلاحظ في معظم الأماكن ذلك الحو المشتم بالإهمال والعدارة، اندي بدل تمام الدلالة على الجحوح إلى الانحطاط والإهمال العام.

١ - لأرجح أن الذي يحاور عبده من هذا الجانب (الشرقي) يجد في رأسه من الجهة لشمى جامع الويد أو جامع حسن باشا العمو الذي بناه كوجت حسن باشا خلال ١٦٤٢-١٦٤٤م، ومن الجهة اليسرى جامع (الأصفيه فكية، المولوية).

(١) ذكرنا في حاشية أخرى من حوشي هذه المرحله أن بيبرس الدين زر بعداد في منتصف لقرن السابع عشر ووجد في جانب الكرخ جواني ألقي بستان وحديقته معمودة

وهناك في مختلف أنحاء بيده عدد فسحات مكشوفة باع فيه اسعصر من أنواع السلع، وقد سميت بأسمائها، مثل «سوق العز» و«سوق الموسلين» و«سوق الحطة» وما أشبه^(١) ومن بين هذه كلها كانت «كرها وأرها» السوق القريبة من باب الشمال العريضة، أو باب الموص^(٢) غير أن أنة سوق من هذه الأسواق لا يمكن أن تمت بضعة إلى أي وقت أو نهاء، وحتى إلى البطانة بالذات وحقائقه أن السوق التي ذكرت لآخر مرة هي «ميدان»^(٣) الحديثة الكبير، تعرض الحاصل من السلع، وهو محاط بالمقاهي الممثلة على الدوام بجمهور من جميع أنواع الناس الذين يجلسون فيها لتدخين وشراب القهوة وما أشبه وهو في الوقت نفسه المبدأ العام للأسعار، ويتغير أحكام الإعدام كذلك، لأن المحرمين يعاقبون هنا بقطع الرأس ولشو أو الحدع (قطع الأيدي ولأرجل) فكثيراً ما يلاحظ لمارة منهم جاعاً مقطوع الرأس، أو خائض، تعرض على الناس خلال اليوم بسبباً لدعوي اشترى على أن التركي المتمرد، الذي لا يتأثر بهول المشهد، يدحش شطبه بهدوء أو يمر بما يشاهده من دون أن يعأ به، أو بعضهم بكلمة لا إله إلا الله وحتى هذا المكان الذي يستعمل لكل شيء لا يحتوي على أكثر من أيكرو^(٤) ونصف من الأرض على ما أعتمد.

(١) لقد رر «كوماندر فينكس» حوز بغداد في ١٨٤٦م أي بعد مجيء فرير صاحب هذه الرحة دئتي عشرة سنة فقط، ورد قائمه لأسواق و«مجلات» التي غالب في بغداد يومذاك فيما نشره، في مجله جده. برمي الجغرافية ما بين سنتي ١٨٤٩، ٨٥٦ م، ضم أحد ذكراً لسوق الموسلين وسوق الحطة فيها، و«لأخر هو سوق «عوجه» تكفي وحدث ذكره لكثير من المسافرين الذي لا زال يسمى بنفس الاسم (في بادئ السع) مثل سوق تصاع وسوق النماء (البرج) وسوق قصه فير وسوق لمر وسوق لمرارين وسوق ليور عاصيه وسوق «توتونوجية» وغير ذلك

(٢) نعه يقصد «باب المعظم» التي كان موقعها بالقرب من باب وراة بدفاع بحاليه ب«ميدان» الجدار الذي يحجر بين تلك لوداره وبنائه قاعه اشعب. وقد كانت تسمى قبل ذلك باب سوق السلطان أو باب السلطاني الذي هدم في ١٩٢٥م

(٣) لا شك أنه صاحبة اميدان الحديثة

(٤) الأيكرو يساوي (٤٠٠٠) متر مربع

هذا ويستحق بغداد، من حيث شهرتها القديمة وأهميتها الحاضرة، أن يُراني على وصفها أكثر مما أنا مستعد لتقديمه إليك من لوصف لتفصيلي الدقيق ولم كنت أعتقد أنك يمكن أن ترعحي إذا ما أقدمت على ثوث القصص وهي مبنورة غير S ملف، أجد نفسي مدفوعاً إلى الاستعانة بشيء من المصادر الأخرى لأجل أن يتسنى لي تقديم فكره أوضح عما يكون عنه هذه المدينة التي سارت بذكرها البر كبد، أو عما كانت عليه قبل أن ترو بها الكوارث الأخيرة ويبدو لي أن الوصف الذي عمد إليه كتبهام في كتابه الرحلات في بلاد بين النهرين^(١) هو على درجة من الجودة بحيث إني سوف لا أترك محلاً متسرّ من دون أن أبادر فيه إلى اقتباس شيء منه، لأنيك قد لا يتسع لك المجال لمطالعته

فقول المستر كتبهام «إن ما هي داحية أسدة من الأشياء ذات لأهميه يعمل عمد يتوقعه المرء من لشهرة الحديرة باسمها كمركر شرفي كبير للثروة والأبهة فإن فسماً كبيراً من لأرض انداحلة في ضمن الأسوار عبر مشغول بالآسية، وخاصة من الجهة لشماليه الشرفية وحتى في الأماكن التي توجد فيها الأسنة والعمارات، وخاصة في محلات المدينة التي يكثر فيها لسكان بالقرب من النهر، تلاحظ وفرة الأشجار. وعلى هذا فحيما كن يُنظر إلى كل ذلك من سطح أية در من لدور النكنه في داخل الأمور كانت لمدينة تبدو كأنها قائمة في سنان كبير من الخيل، أو مثل ما كنت ناس عليه من كونها إلهياً مسوداً وليس بلدة واحدة

لوقد بيت لآسية كنها العامة والأهله، دأحر لمصنور دي لبوب الأحمر لصاروب لي الصفه، والحجم الصغير، والروب بامداده الدله على أن معظم هـ الآخر كان قد ستمعمل عدة مرات من قبل لأنه ربما كن قد أحد من

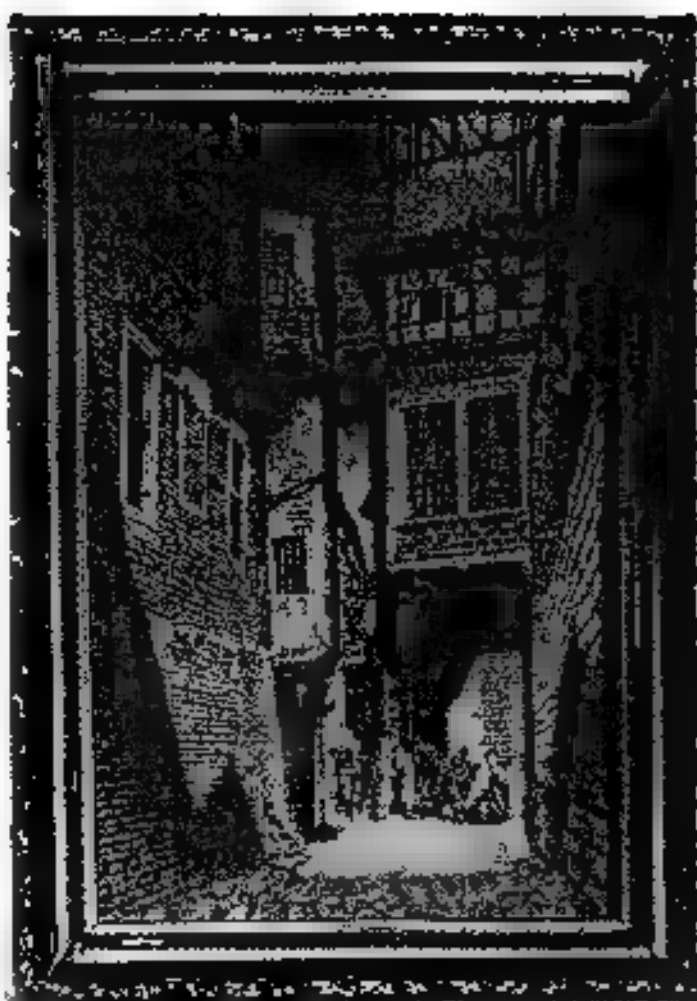
(١) S. Buckingham Travels in Mesopotamia (London 1827) والجاء الثاني من

الكتاب هذه مختص بمرحله من الموصل فكوركوك فبغداد فبابل وبسبب كتاب

حله جرعونه Travels in Assyria, Media, and Persia, (London, 1830)

هذا وقد رار كتبهام بغداد في أيام داود باشا، أي قبل أن يفتك بها الطاعون ويهدمها الشرق الذي وقع في ١٨٣١م كما سيأتي في هذه الرحلة

خرائب أبنية قديمة لتشييد أبنية أخرى بها وفي حالات القليلة التي يكون الآخر جديداً يكون ذا مطهر نظيف مرتب لا وجود له مطلقاً في الأجر القديم. ومع ذلك وحتى هذا يعد أدنى من الحجر. وشوارع بغداد، مثل شوارع جميع المدن الشرقية الأخرى، ضيقة غير ملطخة تقوم على جانبها بوحه عام حدران خلبية من أي شيء، إذ نادر ما تلاحظ لشبابيك^(١) مصوحة على الأزقة والطرق العامة، بينما تكون أبواب الدخول المؤدية إلى مساكن صغيرة بسيطة.



من أزقة بغداد القديمة

ويكون هذه الشوارع أكثر تعقيداً وعرضاً من كثير من شوارع المدن التركية الكبيرة. وفيما عدا بعض الأسواق وخطوطها التي تنتظم تنظماً محملاً، وبعض المساحات المكشوفة، فإن داخلية بغداد عبارة عن متاهة من الأزقة والممرات. أما الجوامع التي تعد على الدوام أبرز المعالم في المدن الإسلامية فهي مبنية من طراز يختلف عن طراز الجوامع التي شهدتها في معظم أجزاء

(١) إن المستر فريزر صاحب الرحلة هذه قد ذكر حكيم هذا في بداية هذه الرحلة، والعرب أنه هو نفسه يعمل (في التيسر هذا القول) من بكعهام الذي رآه بغداد قبل المستر فريزر بما لا يتجاوز الخمس عشرة سنة، وكانت عند مجيئه عامرة من دون أن تكون قد تعرضت لنكبة لطاعون وكارثة الفيضان التي هدمت القسم الأعظم منها (١٨٣١م)

ترك لآخرى وأندمها على ما يعتقد يسمى جامع سوق اغرب، لكن هذا لم يبق منه سوى منارة سميكة ضخمة وقسم من السور الخارجي».

وللمدرسة حوض واحد فقط، يشأ بدوره كما يقول للمسح نبعهم من تحت مركز العمود ثم يصعد إلى أعلى سلسلة من لمصحات المتقدمة والرسات المدلاة على شاكله لمصحات «الستلا كتاب» لي يتفتح بانديج إلى الحرح وتنتهي بالحوض من حولي ثلث ارتفاع المحور وتكون النهاية مدررة غير رشيقة، فيبين المظهر العام للرأسي منظرأً سمجاً

وبعد هذا الحوض أعنى نقطة يمكن الارتفاع إليها ومشاهدة منظر لمدينة اعم منها وهو في الحقيقة يشرف على معظم لسطرح والسحاب لمسافة طويلة من حوله وقد استعرت حفاً أن أحد كفاً مثلاً يسمح لهم بالصعود إلى ارتفاع يتراوح منه على لمسلمين، ووجدنا شيئاً من الصعوبة في الصعود بسبب الظلام المحيم على السلم ودروق الحفاش والحمام المتراكم فيها، ذلك الحمام الذي كان بأوى دالات إلى لأمكن التي تكذب فيها الحساب والشفوق لمتكونة بتأثير العنف والرسم ومن المعتقد أن اسارة وحامها المتهمم يبيع عمرهما ما يريد على مئتمنه سنة^(١) ولما كنت أشك في أن يكون وصف حوامع بغداد مسلياً لكم سوف أقصر في الوقت لعاصر على أن عدد هذه لعمارات المقدسة يتجاوز المئة^(٢) على ما يُعتقد، أو كاره تحاور المئة

(١) جاء في كتاب (دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً) لندكورين مصطفى حواد وأحمد سوسة أن الحديقة المكتبة دله نمسي أشأ هذا الجامع خلال هذه (٩٠٢ - ٩٠٨) ميلادية وسمى بجامع القصر ثم «شيد في جامع القصر هذا في سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٩م) ثم دله لا بول فتمه إلى يهاها وهي تعرف بمناه سوق لعل وشيد سليمان نائب الكبير في بغداد (١٧٧٩ - ١٨٠٢م) حده في غرب عارة مقي فثأ إلى سنة ١٩٥٧م ويعرف بجامع سوق الغزل. ١٠

(٢) لقد أورد الدكتور في المرجع السابق قائمة بحوي على (١٦٠) من حوامع والمعابد والمساجد القديمة اليوم في حبيي بغداد مع حي حرب بل عدة سبي، ومعظمها كان قائماً حينما دار صاحب الرحلة هذه البلاد على ما يحسب

في يوم من الأيام، برعه أن حوالي عشرين أو ثلاثين منها فقط تستحق الملاحظة والأهمم لدرجة ما أما القباب فلا أظنك تستطيع أن تحدي ما يريد على الدرية منها بحجة يعد به، وأن متأكد أن عدد المنائر يقل عن ربع وعشرين وهناك عدد من المنائر والقباب المعطاه بالأجر المصنوع، الملون في لعب دلوون الأخضر والأبيض والأسود، الموشى بالفسفساء (المورايت) ليد على الأورد والأرقم والكتابة التي يكون لها، على حد تعبير المسر نكعهم، تأثير مبهج بدلاً من تأثير الزووع والمهامة ويمكن أن يقل بوجه عدم إن جوامع بغداد ومرافده تقف في طرر عمارتها عن جوامع ومرافده المدن الإسلامية لكثرة في الهند بقدر ما تمتاز أبنيتها بوجه عدم على سة المدن في إيران وقد تحدثت عن الأسواق من قبل، وإني أريد هنا المستر نكعهم تمام اتنا في كوب سبعة مساحة ستة، أما الحداد والحدامات فلا أستطيع أن أذكر إلا لمر اليسير عنها، لكن الحدامات التي رأيتها كانت تبدو وهي على درجة كامة من الرثاءة ١٧٥

ويقول المؤرخ المشار إليه عن دور لسكنى في حدود الماسي به أن منها سوى حدادها الحارحمة وسطوحها وقد بنت نظري بوجه خاص أبي على طوب هذه المدينة الوسعة وعرضها لم أحد ولا عقداً مدياً واحداً في أبواب أي مسكن من المساكن فقد كانت لعقود كلها مدورة ومستطلة مع شيء من الدرية بالآخر الصغار فوقها وحجم الأسواق القديمة والجوامع لمتهدمة التي قد يلاحظ وجود لعقود المدن فيها يكون شكله أقرب إلى شكل العقدة الفوضي من البناء الإسلامي، وهذا ما لاحظته في الموصل أيضاً ولذلك لا يمكن أن تكون بغداد نفسها قد كانت مقراً لص العمارة الإسلامية لذي ربما يكون قد شأ في بلد يبعد عنها من جهة العرب

وتتألف البيوت من صفوف من الغرف مفتحة نواحيها إلى باحة داخلية مربعة وفي الوقت الذي تشتعل فيه السرديب وهي غرف سبي تحت سطح الأرض، أثناء النهار للاحتماء بها من الحرارة الشديدة تسعمن لسطوح المكشوفة تناون العشاء وقت المغرب ولتوم فيها خلال ليل فمن سطح

المسكن الذي كان يقبض فيه المستر ريج الذي كان مقسماً إلى عدة أقسام، يكون لكن منها ممرها الخاص للصعود والسرور، بحيث يتكون منها في الحقيقة عدد من الغرف غير المسقوفة، كان توسعاً شرفاً عند صباح على منظر من مناظر بغداد شبه منظر مدرج الموصوف في «لاديايل وواتو» حين يربوا أسر السيوت المحبطة بنا جميعها في محادها المكشوفة، وهي في حالات على جانب غير يسير من النظر في بعض الأحيان فقد كانت تكشف لنا مر هذا الموضع نصف خمسة وعشرة محادج محتتمه تقع في عدة محلات محيطه - ونظراً لأن الأسر جميعها كانت تنام في العراء خلا الصيف صبيحه الحال كانت تكشف أمام أنظارنا مناظر يتيه خصوصية كثيرة من دون أن يكشف أحد ولو مرة واحدة، أو يثبت، يكونا كما يتطبع إليه فقد كان الروح في الأسرة لموسرة ينام على سرير مرتفع تفرش فوقه حشيه ووسائد منحرير، معطاء يدحرف سحك من نظير من دون أن تحاذ سائر أو كنة تقي لثام من الحوص كما كانت المروحة تنام على فرشاة ماثلة وكى على لأرض بصورة دائمة - أي من دون سرير، وعلى مسافة من روجها - سما كان لأطفال، الذين يصغر عددهم إلى الثلاثة أو الأربعة، يشعلون فرشاة واحدة من الخدم أو المماليك فقد كان كل منهم ينام على حصيرة مفردة تفرش على الأرض، لكن الجميع كانوا ينامون أو بهضون من الفراش على مرأى من بعضهم بعض وكان كل فرد بهض من نومه في ساعة مكرة بحيث لا ينفى حد في الفراش بعد طلوع الشمس، فيطوي فراشه وعطاءه ووسادته لؤخذ إلى لدار عند لأصله الذين كان يولى هذا العمل عنهم أمهم أو أحد الخدم

فوسم يكن ي من هؤلاء يجمع ملابسه كما يفعل الأوروبيون عامه حينما يذهبون إلى الفراش فقد كان الخدم يحتفظون بقمصاتهم ولباسهم وفضطبتهم أحياناً عند النوم وكانت الأطفال والخدم ينامون على حلاسل دانتها نتي كانوا يلبسونها أثناء النهار ثم لأمهات والسبا لكسرات فقد كن ينسج سراويل لأتراك الحريرية لكامة مع الرداء المصنوع ومما برأس إذا كن من لأسر لعبه وكانت لفصيرات منهن يلبس حلياً (دشدشة) قصصاً أحمر

وعطلة سيطراً للرأس وفي معظم الحالات اثني رأسه كذب البروجات
يساعد أرواحهم في ارتداء الملابس أو جعلها، والقيام بكر وجبات
الوصيف.

وقد كان لروح عادة يؤدي الصلاة بعد أن يكون قد انتهى من ملابسه،
بما يكون المملوك منصرفاً إلى إعداد القهوة والشطرب له وجلسه على
سجاده بعد أن تكون هذه قد أحضرت كانت الروح تقوم على خدمته نفسه،
فتراجع إلى مسافة مناسبة لتستقر الكوب بعد تقديم الماء، ويكون واقفة بين
يديه على الدوام، وكانت تتكلم أثناء حضوره في بعض الأحيان، وحتى أنها
كانت تقوم بتقبيل يده عند تسليم الكوب منها كما يفعل أخط خدم ابدار
ومبشره. وحيثما كان الروح يشكو على وسائده أو يحس على سجاده
بارتجاج وراح ليعم يشطبه أو عيوبه لصياحي كانت ساء الأسرة منصرفين إلى
لصلاة بصورة عامة، وعالماً ما كن يصلين على أفراد كما يصلي الرجال
تماماً. ولكما لاحظنا مرة واحدة و مرتين أو مرة البيت وبعض النساء
الأخريات، كالأحب مثلاً أو إحدى القربان، كن يؤذين لصلاة معاً معقة
إحدى إشارات الأخرى اثني تقف بجانبها، كما يحصل حين يقوم لرحا
بصلاة الجماعة خلف لإمام. ولم يكن أية امرأة، سواء كانت الروح أم
الخدمة م لملوكة، تعمل هذه المريضة لصاحبة، لكني لم أجد بين
الأطفال الذين نقل عنهم عن اثني عشر سنة من كان يقوم بأديها

«وعلى الرغم من العزلة الظاهرة لثني تعيش فيها للمرأة هذه، وهي جميع
أنحاء الأمراض في تركية في الحقيقة، فإنها غير محرومة من الحرية الحقيقية
التي ساء استعماري بدرجة غير يسيرة في بعض الأحيان كما يحصل في أماكن
أخرى ولا يمكن أن ينكر أن لتسهلات للاجتماعات أسرته المريضة هي أكثر
في المدن التركية منها في أية مدينة أوروبية كبيرة. فإن تمكر المرأة لركبة أو
المريضة في ريتها ولمسها هو على درجة من الكمال بحيث لا يستطيع
التعرف عليها وهذا يؤدي ساء على ذلك إلى أن تذهب السيدة أينما يريد عند
الحاجة

و بعد الكرجيات ولجرجيات من بين ساء بغداد أجمعين على وجه التأكيد، وأقلهم تشوبها بالمساحيق أما ساء المنطقة البعد من سكان بلاد الأصدى فكون سجنهم أقل طراوة وصفا، سيما تكون ساء لطفتين لوسطى والدسا، شربهم لسمراء وفله جمال محبهم إلا من حيث لعيون السود لمعرة، قد وشمس أنفهم وشمأ وحشأ يكسهم مظهر مفرأ في بعض لأحيان وتقوم ساء جميع الطعفت ولمرات يصع شعرهم بالحاء، كما يصع راحات أنفهم صفا قوياً بها بحيث تبدو وكثها ألبدي لبحارة المنكسرة بالنظران»

وبلى هذا الحد أكتفي بهذا الممدا عما ذكره المستر بكنهم ومن المؤكد أن ساء لكرج والكرجس من أحمل الساء وأكثرهم تقدير هذا، نكههم أصبح أكثر ندرة من ذي قبل فإذا تركها لا يسعها بعد هذا أن تشجع حذرة الرقيق مع هذه الساء المصطهدة (المقامس)، حيث إن أهلها يروحون الآن تحت وطأة الحكم الذي يمارسه طاعة أشد قسوة من لحكم السابقين وهو عاهل البر من المطبو لمستند ويسير لفصاء على السكان هذا سير حشأ، ولكن ليس بالسرعة التي يريد لبعثت فحيما كنت في تبرير تدهو سيما أن حممه كنت على وشك أن تجرد من تفليس ضد الأباطرة سنة امتصاصهم.

ويس من المحتمل كذلك أن ينكسر العصر الكرجي هاء، لأن المعروف اليوم معرفة قاطعة أن قليلاً من ساء تلك البلاد من سكنهم بركة الأطفال وتشبههم في هذه الجهاب هم بموتون عدة قس إكمال الثالثة من أعصارهم، ويعزو العصر لقسم الأعظم من هذه لوفات إلى ولع الأمهات الحالي من اتصر تحشية أطفالهن لصغار بالحلويات وسائر الأنواع عبر لمسة من اعداء

وبعد قدر بكنهم بكنهم عدد حياما كان موجوداً فيها ما يروح بين الخمسين والمئة ألف سنة وهذا بعصر عدد نفوسها أقل من عدد نفوس حلب وأكثر من نفوس دمشق حياء به جعل الحد المقرب للحمية ثمانين ألفاً

على أنه من المؤكد أن عدد لغوس قد ازداد «دبداً كبيراً» في أيام داود باشا،
ولذلك فإنه على ما اعتقد لم يكن يقل قبل طبع ١٨٣١م عن مئة وخمسين
ألف سمه. وكان القسم الأعظم من هؤلاء أثراكاً وعرباً، لكنه كان هناك أيضاً
عدد كبير من السعدانيين الأصليين وهم يكادون أن يكونوا عنصرًا حصاً يحتل
فيه السهم الإيراني ولهذي بالأرومات الرئيسة ومعظم انتحر لأنهم من
أصل عربي، وهناك عدد من اليهود والأرمن ولصاري التابعين للكيبستين
الكاثوليكية والسربانية ويلاحظ وجود الأكرد والإيرانيين والدو بكثرة في
الأسواق، لكن السدو لا يودون قضاء ليهم ما بين الأسوار أما القسم الأعظم
من الإيرانيين، الذين هم في الغالب من رواد العصابات في كربلاء ومشهد علي،
فيرجعون في آخر النهار إلى الكاطمية وهي قرية وعنة مقدسة تقع على بعد
أربعة أميال في الجانب الغربي من لهر، أو يحيمون خارج أسوار المدينة، في
الجهة الشمالية منها

ويصف المستر كنعهام آرياء بعدد وألسها بكونها أقل رونقاً وبهاء بكثير
مما هي في مصر أو المصطنطينية في ذلك الوقت على أي لا أستطيع الحكم
على ذلك شيء، لكن منظر الأرياء في الوقت الحاضر أروع من أن يكون شيئاً
بهرجاً على وجه التأكيد. وقد أكد لي الكثيرون أن هذا المنظر يختلف اختلافاً
غير يسير عما كان عليه في أيام داود باشا فقد كان الشعب يحتفظ سلاحه وهر
وقدسيات فاخرة، كما كانت الحلل والبركات العسكرية على عهده شيئاً رهيباً
ومسافراً أمام الناس. فإن الثمانيه كرجي من ألبان، لمتريين بالأسلحة لراهية
والمسبحين بالسلاح الصخر، الراكبين على الحيات لعنة الأصيل، لمطهمة
بالحيا المردكش، لا بد أن تكون قد كوت منظرًا بهر في عهده وكان
صاقله، وهم يقتدون سبدهم، يتناسون فيما بينهم من حيث فخامة العدد
وكثرة الأنواع. أما الآن فلا يوجد شيء من ذلك مطلقاً، إذ تقتصر لقوة
العسكرية البسيطة اليوم على عدد قليل من لهابه، أو الحاة الألبان،
المحتلطين بحياه آخرين من أهل اسلاد، التي تترك الألسة لرثة والأسلحة
البسيطة وتحوي كدث على مفررة من «لظم» أو لحيد البطمي الحديد،
وهذه قطعته عسكرية على آخر ما تتصوره المحية من عدم الانتظام، فقد أفقدها

لناسه نصف الأوربي مضر الأثران لمهيب من دون أن يسف على أمر ذه أنافة
 الحد الأوربيين ومظهرهم اجهي وليس هباء سوى مئات قبيلة من هؤلاء
 الأنطال الشواد، الدين ذكرني بهم عبر امهدم، و«الفيس» الأحمر الذي
 يصعوبه فوق رؤوسهم، بالمساجس الفرسمين القدماء الذين كانوا يسبون
 فبعاتهم اليديه احمرء وسرهم المتعة أم لسري، أو قصر الشء، ولا
 ضجة فيه ولا مظهر بعده، وأما الموظفون الممدود دور المسوى لمسحط
 يتبعون للرحل لتعيس الذي كان يصطلع حصص لاشا عقندون سيدهم في
 الرثانة وعلقة الحاشية وهي جميع الوجوه الأخرى

عبر أن الأسواق ما يزال فيها الآن شيء من الحركة و لون لأن لأثران
 والعرب معاً معرمون بالأحمر بمحتشف أطبايه وفردية، وبالأنوان الزاهية
 الأخرى يصف إلى ذلك أن الأصابع والريبت التطيريه، وعمائم لشد،
 والألسنة المضغاضة، مع الحداخر المصعمة بالفضة والمسلسات المدلاة من
 المحزم، تعمل كلها على رسم لصورة جيدة ههجة.

على أن الركوب عبر لأسواق يعتبر عملاً فيه شيء من الخطر فهي، على
 كونها تؤلف الممرات والطرق العمة في المدن، ضيقة بحيث يك تضطر على
 الدوم على اتوقف فيها سبب الحصوص لطورية من الجمال والعمال المحمة
 التي يحتمل جداً أن يؤدي الأحمال الموحوة فوق ظهورها إلى سر دامت أو
 ركيتك حسب ارتفاع الحيوان الذي تصادفه، بينما تكون مشعلاً بشق طريقك
 بسها وبين الأعراب الحفاه الذين يمثلء بهم كل شارع أو رفاق وقد ذكرني
 مجموعات الحمير، المحملة بالحب، بسيدة مدب «ألف بيمة وليلة» التي
 عرت لجرح لموجود في حدها إلى صدمه أم بنتها من إحدى الفوصرات التي
 كان يحملها حيوان من هذه الحيوانات فعوضت بذلك خبوة جميع الحطابين
 كنهم، إلى الحصر وترهم الخروفي المحلفة بي سراويلي الآن أكثر من مرة
 على إمكانية وقوع ما جاء في تلك القصة وكم أنمي أن يكون توسعي أن أقول
 إن دكاكير الطححين يذكروني عني لشدة تمسها ما كان سي مصطفي وحلوياته
 اللدند. تكن الحصة راحة السمن الرح كذب منفره جداً، ولم يكر

دكاكين الحيوانات كذلك معربة مثل دكاكين الحيوانات في استاسول.

ومن بين الأشياء التي تلفت نظر الغريب في بغداد الهدوء الرزين،
والجمود الذي يبدو على الوجه التركي^(١) وهو يجلس فوق منصة العالية
المصونة بالقرب من باب، مدحاً شطبه في وسط الصحح المحيط به، كأنه لا
يسمع شيئاً منه ولا يملك لاهتمام الذي يحب أن يكون عند الناحية مع ما عنده
من سلع. وحينما يراجع أحد الرائي يعرض عليه لسلعه المطبوعة بطة
وسكون وسهي المعاملة إذا تم لاتفاق على سعر - وإلا فيتابع بدحيه
لشطط ولو كان في مكانه تاجر إيراني لسانت درسة من الأسئلة عما تريد،
وعرض عليك باعتابل حمسين شيئاً من الأشياء التي لا تحتاجها، وعمر من
مكانه وعاد إليه عدة مرات، خلال لمدة التي يستغرقها للركبي المرمم في
سحب «الجنوة»^(٢) من فمه بقصد تحدث إليك على أنه لا بد من الاعتراف
بأن لباعة اليهود ولأمر من يعوضون سرعته وطلافه لسانه عن تداول
الأتراك وتكاسلهم فربهم مدركون شطوط في التأكد من طيبات الرائي
وتزويدهم بها

والمرية الأخرى التي تلفت نظر الغريب في شوارع بغداد وأسواقها كثرة
للعرب، من الدو وسكان المدينة، التي تمحب إليها من قبل وتأنف لسانهم
من قميص حشيش يلبس فوقه أساس الممكون قهطاً (ربوياً) مصوغاً من نوع
من أنواع القماش الحرير أو القطن، المحطط في العالب وكلهم يصع على
كفيه عباءة من شكل خاص، فتكون عريضة من دور أردن لكنها مرودة
صحين بماد منها للدر عند الحاجة، وتصع من انصرف المحرك في
حاكته، المحطط بحطوط عريضة معامدة بيضاء اللون وبيضاء، لكنها تكون

(١) يلاحظ من يكتب صاحب هذه الترجمة أنه يعتبر للكثيرين من سكان المدن في العراق
أقرباً ويعصر في ألعاب علم اسمه أهل الريف والدو (الأعراب) بالعرب واعتقد
أن الفرق المدرك يكثر أن يكشف ذلك بسهولة

(٢) الجوز كمنه مركبة يسمى الشطط وجميعه شطوط وهو عود يحتر سفوف محمي
بدهن

بيضاء أو سوداء اللون في بعض الأحيان وهي اللباس القومي لقمي احصن - أي لعنة لعنة المعتادة ولا يقل لباس لرأس انفراداً وتحصناً عن العناء فليس هو عمامة على ما يعتقد البعض ، ولا شتاً شتياً وإنما هو بتألف من كمية^(١) حرير مربعة الشكل مخوكة الحياكة، تحطط بخطوط مسعة صفراء وحمراء، ويرم لحمتها من الحاشية إلى حيوط مئية قصيرة وتطوى هذه الكمية بشكل مثلث ثم توضع فوق الرأس فتدلى طفاها على الكتفين أو أمامهما، سما تدلى لطرف الثلث إلى لوراء وفيما حول قمة الرأس المعطى بهذه الطريقة تلف حرمه من وير لباس اسي^٢ اللون، المرسوم برماً حوثياً مرنين أو ثلاث مرات، بحيث يبدو الرجال لأول وعلة وهم يرتدون العباءة المصفاة معه أشبه ما يكون بالساء اساحرات من الرجال. وليس من الممكن من دون الاسعانه بالرسم أن أقبل إليكم ما يكون عداكم فكرة تامة عن التأثير العبد الذي يحدثه لباس الرأس هذا، حسنا يساعد في التأثير ووجان من العيون اسود العفافة التي تحدث من بين حصل شعرهم للأسود لأن لعرب، مثل سائر المسمين لا يحلقون الرأس، وإنما يصفرون شعرهم الطويل الخشن الاسود سواء الفخم (الذي تدلى على أكافهم وظهرهم) ويحمله تحت العترة^(٣) على أنه لباس رأس مفيد لسدية، يخفف من تأثير الحرارة ولبروده وحاصه حيسا يلسوا تحته طافية مصنوعة من الور لأنهم يشتمون نظري الكمية في الطقس بارد، ويتلعمون بها إلى ما فوق الوجه ولعيرور حيسا يشتا تأثير الشمس ورمعها، وبذلك يتصع بها للحماية في كلاً

(١) يظهر من هذا ان «اشماعة» بحلي لدي ليس يجب لبقا في العال لم يكن من ظهور يومه الك.

٢ من الغريب أن لا يذكر بين هذه البوصف لون القف - الأسود الشائع لاء، وسنه سم يكن شائعاً في تلك الأيام

(٣) أعتمد أن صاحب الرحلة ربما يكون محظناً في هذا العليم المطلق الذي قد يظن على البعض من رجاء لقائل في اماريه عبره ولا يحتمى أنه يقصد بالعرب ما أبناء العشائر.

لحالتين ومع ذلك فإن هؤلاء ندو قد تجمعت بشرتهم إلى حد السود
لأنهم وأركد نكم أنهم يكونون بهذا شكلاً في ددة في وحشيت حسب ظروف
فوق جباههم نحيفة، فتطير ملابسهم المفضضة في الهواء وتهتر ، ما حهم
فوق أكتافهم إلى المرء قد يعثرهم حتى في داخل المدن أشخاص تحظر
ملابسهم، لأنهم سدعون في سيرهم بهيئة الاستقلال لفظ من العربي عبر
نفسه في كل مكان سبب الأرض لي يحل فيها، وهو في الحقيقة يكاد يكون
كدلتها أيضاً ثم إن صراحهم وهديرهم حيناً يمزون قد يؤذي المرء إلى
لا اعتقاد بأنهم يهتمون بسلب كل من يصادفونه في الطريق لأن العربي لا
يتكلم إلا بأعلى صوته ولذلك يرتفع صوته أثناء الكلام بحيث يحل
لعرب أنهم مشحرون فيما بينهم، وقد أدت هذه الحصلة في بعض الأحيان
إلى حصول علاقات مضحكة فقد كان أحد المربين المتقنين في بغداد مشجعاً
بالخوف من الهبصه الكويرا حيث لا يحرج من البيت إلا وهو يحمل معه
الأدوية الواقية وقد حدث ذات يوم نعيد وصوبه إلى هنا أنه بما كان حلياً
في إحدى المقاهي أو الأماكن العامة لأخرى، طُلب إلى معر كان موجوداً فيه
أن سلب الدس بالعناء لكن المسكن وجد صعوبة في ذلك وأخذ يحرج
أصواتاً محوكة وبعاماً غريبة ربما كانت تمتد لفرع في نفوس البعض منهم
غير أن الثواب الذي كان يحفل له أكلاد تصور أن الرجل قد أصيب بالهبصه
لوبيلة التي كان يقال إنها قد بدأت بصيب بعض الناس في بغداد شرها
فهجم الثواب عليه والأدوية بده وحدثه شاول الحبوب والشرب مما كان
في لفيسة لي كان معه فرفض المعني المتعجب ذلك وهو يستعث بقوله
«لا لا لا» لكن لوب حل يلج عليه شاول الدواء حتى أنهم بحقيقة الأمر
غير أن العرب لسو وحدهم هم الذين يصحون بمثل هذا الصخب،
وإنما هو شيء عام في بغداد التي تعد من بين جميع الأماكن الأخرى التي

(١) لا شك أن صاحب الرحلة قد سرع في تعميمه هذا أيضاً فليس من المعقول أن يعيش
المرء قرناً كنهم بعض الأشخاص الذين يرتفع صوته في السوق في بعض
الحالات

ذهبت إليها عريضة خد من حيث وحوود كل نوع من الأصوات التي يمكن
 تصويره فيها ، وبعد سكاكها بوجه عام أشد أسوأ صحياً فاعرفه التي أسكنه
 لأن بها شرفة نظر على اشرار وشباب ، بحيث لا كل شيء يمر من تحتها
 يسمح بمحاذيرها كما لو كان يحصل في داخل العرفة نفسها ولذلك يعرف
 عندي حين طلوع النهار جوف من يد يكة والدجاج المرحود في ساحة محذورة ،
 وترفع أصواته ويعقبه هوى الهوى لدي يدق في حناج الحرم
 لسياتين التي تعين للمقيمة ، فيشير بدوره نواح عدد من الكلاب ويطل السح
 مستمراً حتى تبدأ الحمير دلهيق وما يحس ذلك الوقت حتى يكون الأعراب
 المحاورون الذين التحأو إلى المدينة بسبب اضطراب الحالة في خارجها قد
 شملوا عن سواعلهم وأحدوا يسوقون إلى المرحى فطمان لأعنام والمشيئة
 والعجائ التي جاء بها معهم طلباً للأمان ، ولا بد أن يكون هذه الحيوانات
 أكثر حيوانات العالم صمماً تجاه الرعاة ، أو أن الرعاة يسيئون معاملتها إساءة
 خير يسيرة لأنها تُأدى بمختلف الأصوات العالية بقصد إقاعها بالحركة
 والحروح إلى الحرح ، فيؤدي ذلك كله إلى يكون هدير وثناء لا مثله في
 أي مكان آخر وعلى هذه الشاكلة يتجمع قطع من حرق فيزداد الهرج والمرج
 وتعلو الصيحة فتنث الأصوات ، وما يبدأ بالحركة ويمل لصحيح حتى يعبه
 أصوات أخرى ويتعالى صحيح من نوى الحر ، فهناك أصوات للمارة
 والمستطربين والشحادين ، ولأصوات لمتعليه من نعي وغير ذلك ، ولا أظن
 أن هذه الأصوات يمكن أن تصاحبها أصوات يكاد يبدلها بكن عرسته ، ولا شارع
 دوكر أو تشريع كروم ، ولا سميت قبل هي يوم السوق الخاص . ولا غرو
 فهذه بعدد الورثة الحققة لابل العديمة .



(٥)

أسباب الحروب في بغداد - ظهور الطاعون في المدينة - انتشاره - المقيم البريطاني يعادر بغداد - اعتذار المستر غروفر عن موافقته - تعاقب الوباء - دخول الماء من الأسوار وغرق المدينة - سقوط سبعة آلاف در مرة واحدة - دفن خمسة عشر ألف - دحر الباسا - إحاطة الماء بالقوالب - ترقب الفيضان والطاعون - دخول الطاعون إلى بيت المستر غروفر - موت روجه وصفه - حوادث اموت الكاسح وأسبابه - تأثير الطاعون في الأماكن الأخرى - بغداد بعد الطاعون والعمق - طاعون آخران في ستين أحريين - انوفيات في لصرة

عريزي

كنت حينما انتظمت مع كنه بكنههم^(١) قد وصفت بعدد كم كاتب عليه في أيام أسعد^(٢) انت وقد أشرت أيضاً إلى ردياد لموس وحول عهد رهر تحت حكم داود مر بعدد و و كتب أفق عند هذا الحد بعد يودي ذلك لا تصاع بكم إلى الاعتقاد بأن بغداد قد بقيت على حالتها تلك هو أسفه^(٣) كم تكون محطش بذلك! - أه ذيف يتجسد الأنطا ١ - فإن بغداد لأن حراب هـ، نسياً وقد تم هذا التبدل تتعاقب انكودت عليها تعاقب محمداً كان بمكر ن حصن في أيه مدينه من المدن الحديثة فقد قصي الطاعون والعمق واجتماعه، بأشع شكالها على لسكان وقوص أسوار هذه المدينة العظيمة

(١) يقصد ما جاء عن بغداد ووصفها في الفصل السابق

(٢) الصحيح هو سعد باشا وسعد هـ هو بن سبيما، باشا لكبير من ولاء العراق لمماليك المشهورين وقد حكم بين أيار ١٨١٣م وكانون الثاني ١٨١٨م، ثم أعقبه في الحكم داود باشا من العشوات لمماليك في العراق كما لا يخفى بعد أن قنه رزيما سمي أسعد على سبل التخص

وعمارانها وحور الاسان، وهو أشد نكلاً من همه لغده لإلهه. دن ولا برال يكسح ما تحف عن كن ذلك سرعه.

فهي أواخر عهد راود ماش، أي في حلال سنة ١٨٣٠م، تكثر أعدوه في مجلس ليل لعاني وأوسطه، فصرر سفحه على كل حال ولكنه كان قد شت أهدامه في مكانه بحيث إن جميع القوى الموجودة في استابول ما كان في مقدورها أن تفعل ذلك لو لم تتدخل في الأمر حجارة من له من عديته فكان دود قد عمد مدله طويلة إلى تشكيل جيش كفاء ومجيب حاجة كان يمكنه أن يهرأه إلى حد الاداء بجمع لاسعدادات لعسكره التي كان يوسع السلطان أن يحردها صده وهكذا بقيت الحال إلى أن ظهر في بغداد، في أوائل ٨٣١ هـ، طاعون الذي كان بهتك فتكاً ديه في إيران وقد كانت بعض الإصابات الفردية قد وقعت على ما يقدر مد تشين لثاني المنقدم، ولكنها أخيراً أو أهدلت وبم نصح خيمة الطاعون لمسيئة، التي كان يترايد طلبها في بغداد، شتاً محضاً حتى حل شهر آد من سنة ١٨٣١م

فهي يوم الأخير من راء أغلق لكونل بل سلو^(١) منه تبعاً لبعاده الأليم، الضرورية، التي نصحها لأوريون الدين يحدون بالشجرة أن هذه الحيطه إذا تم تحاده في لوقت المناسب فربهم هتون في لعب من امرض الذي لا ينقر على ما يبدو إلا بالملاسه^(٢) أو الاتصال الوثيق بالشخص المصاب وهي مثل هذه الحالات يتم تسلم لأشياء كلها عن طريق حوخت بفتح في الحداد، ولا يمس مطلقاً من أن يغسل غسلأ جيداً بالماء. فاندحم ولحصروا ولسراهم كده بمر هذه العملية الصهيونية، والرسائل والأوراق يتم تسلمها بملقط طويل من الحديد ويبحر قبل أن يمس باليد. ولو كان من الممكن لسكان هذه البلاد أن يصطوا بحيث يمكن أن يحصوا لمر هذه

(١) المنضم السريدي يوميات .

(٢) لم يوصى علم حديث إلى معرفه بسبب "اطاعود وطرى عدواه الأكده إلا في ١٨٩٤م أي بعد وقوع هذه الوحفة بسبب عديده

الإجراءات الوقائية لكن من الممكن أن يجرّد هذا المرض من تأثيراته، ولكن عدد ضحاياه إلى حد كبير لكن التراخي وعدم المبالاة اجمترح بعبدة وأمية بانقضاء واندر بمعانهم من إجهاد أنفسهم في هذا الشأن، مع أن هرب لآلاف من المدينة بأمل التخلص من الرماء الذي تسرب إلى مساكنهم بمرهن بطريقة لا تقل الجذب بأن اعتقادهم بانقضاء ولقد غير داسح أو سم بأي حال من الأحوال

وقد تم هذا القرار في الوقت المناسب، وهرب للاحتواء ولكنهم هتكوا في مكان آخر وفرصة أخرى وفي غيرها نقل الجاهلون لمرصر معهم وشروا سموه هنا وهناك حتى ماتوا ميتة بعسة في البر أو لبادية ومع كل ما كان يبذله الأوروبيون من عناية أو حيلة لم تكن هذه في بعض الأحيان كافة لداء العدوى وإعدادهم عنهم. فالفايروس^(١) على درجة من الدقة بحيث إن أقل اتصال يحصل يكون كافياً لإيصاله من شخص إلى آخر، ويستطيع صغر حيوان نقله من محل لآخر ولذلك تكون القطط والجردان والعترا حيوانات خطيرة في هذا الشأن، وتصيح لقطط على الأحص وهي تألف لاسد أشد خطراً عليه، ومن أجل هذا يقوم الدين لهم عبدة بأهمية الحجر والعزل بإتلافها حشداً بوحدة ومن الحوادث لمميتها المسببة عن الاتصال بمثل هذه الحيوانات الحادثة التي وقعت في بيت أحد نصارى بغداد المخصص بالمصممة لربطابه فقد كاد هذا ممن يعتقدون بالمقيم في علن داره، وعدم فتحه لأحد غير أن اسه في هذه المرة لمسبب قطة كانت تتردد على البيت، وكانت هذه القطه قد حرحت إلى الخارج أو نصبت نقطة أخرى فأدى ذلك إلى نقل المرض إلى السب وإصابة الست به فقصبت بحبا وقد كانت الطفلة المسكينة ما لحظة لاولي على علم بمصيرها، حيث كانت تقول «أصيب بيطاعون، وسوف أموت» فأيدت لأعراهر لني ظهرت عليها ما تسأت به وأسلمت لروح بعد أيام أربعة

(١) لقد أثبت لعلم الحديث في نهاية القرن التاسع عشر أن بطاعون مرضى به ميكروب خاص من نوع البكتيريا العنصرية (باسس)، وهو ينس من نوع الفايروس، كما أثبت أن عدواه تنقل بطريق الجردان والبراغيب وما أشبه في العالم

ومن المحتمل أن تكون الممرض قد حيت به إلى بيت الكولوميل نايبور
 بطريقه عرصية مثل هذه، مع أنه هو وجميع من كان يسكن معه كانوا على علم
 بأن بيت وما حوله كنهد ذات دعفاً عنفاً محكماً ففي اليوم العشر من نيسان
 مات أحد الحرس اسبانيين به، وأصيب أربعة من حدامه، وكان للمرض قد
 انتشر في هذه المرحلة انتشاراً أدى إلى موت سبعة آلاف شخص في لقسم
 اشرفي من المدينة، وهو القسم الذي كان بهج فيه مسكن اسبانيا والبعثة
 البريطانية وجميع الدس المعروفين. وكان أخبار الجانب الثاني على جانب أقل
 من لطاعة، لكن هجع السكدر اشنت وطأنه بارتفاع مستوى المياه في دجلة،
 التي انتفب من السدود المقامه على حاسها وعمرب لأماكن المحفصه من
 الدحيه العربيه، ودحت المدينة حيث كانت ألمان " من البيوت قد تهدمت
 من قبل على ما يعتمد وقد حبل بود الكثير ممن كان يمكن لهم أن ينحروا
 بأنفسهم لا بانتشار هذه المياه فقط بل بوجود الأعراب أيضاً، الذين أخذوا
 يتجمعون الآن حول المدينة فيسلون الخارجين منها جميعهم إلى حد تعري

والحصار الذي تم على هذه الشاكلة تسمى للدواء أن يعمل ما يعمل كل
 حويه، اوقع داس فريسه به سرعة لا يصدق، والم واحد لكولوميل نايبور أن
 دره قد سلب، ليها لعدوى تم يتو يد به سوى أن يستخدم الوسيل الميسرة
 عنده للفرار في الوقت الذي كانت لا تزال هناك إمكانية يستعملها لذلك
 وكانت رواقه، لي كان قد جاء بها من لصرة هو وأسرة، لا تزال مشدودة
 بخدران حقيقيه من جهة النهر بجاء استعداد للخدمة لأية فقرر أن يستعملها
 في الحال، وكان من حسبات هذا الوضع والموقع أن تلك الرواق قد دسعت
 بارتفاع المياه في النهر حتى صارت في مستوى لداب الحلقي لندر، وأن
 سكان لندر كان يوسعهم أن يتخذوا لاستعدادات المطوبه وينتقلوا إلى

(١) جاء في «أبعه هرون من تاريخ العراق لحديث» في هذا الشأن «وفي ليلة
 سادس والعشرين (نيسان) انهار قسم من النسيطة الواقعة في اتجاه الشمال من
 المدينة وقسم من اقلعه ففأص بناء وسقط على أثر ذلك من الدور ألفه في
 بضع ساعات»

لرواد من دون أن يتعرضوا إلى أي تدخل من الخارج وحيثما تم كل شيء على الوجه المطلوب لدى الكولونيل تايلور المستر عروفر، لمشر المعروف، إلى أن يسطحه وأسرته إلى البصرة حيث يمكن بالأسجاء إلى سب في لريف نحاشي العدوي

على أن المستر عروفر^(١) رفض استعمال المصحة المتاحة به عن تقصده بالغ، ولم يرل عدد رغبة الكولونيل ديو في ذلك وكذا الرجل لجيل هذا قد تعهد بالمدينة بعدد معين من الأحداث، وهم أطفال بعض الأسر لمسححة في بغداد، فمنعته دواعي الميام بالواجب من اتخاذ خطوة كانت تعد في نظره تخلياً عن الواجب فقرر اسفاء في مكانه، وبعد أن وضع نفسه بالعليّ القدير الذي أنزل بلوى وهو قادر على إنقاذه أو القضاء عليه، علق دره الذي كتب بحوي على شيء عشر شخصاً من بينهم معلم أرمي وأسرته، وصل يتضرر السبحة ويمكن الحصول على أحسن أخبار هذه القصة المزعجة من بومبات هذا الرجل الكريم وعلى هذا فبني ما عمنه إلى أن أقتبس منها ما يخص بالطاعون والغرق من الأحبا. خلال ما تأتي من سرد القصة لموخره عن حاله في بغداد

فقد عاصر الكولونيل تايلور بغداد في الثاني عشر من نيسان وفي اليوم السابع لذلك علم بأن عدد الموتى قد بلغ حد ألف ومئتين وفي يوم اسمر نائبات تؤكد لدى العارفين بأن ألفاً وأربعين حادثاً موت قد حصص في انحاء الشرفي من المدينة وحده وفي يوم لتالي لذلك علم المستر عروفر بكل ألم ومرارة بأن الممرض قد تسرب إلى اندر المحاوره لندره، التي كان قد تجمع فيها ثلاثون شخصاً، وكأنهم قد فعلوا ذلك لغرض ترويضه بالصحناء المهيأة لا عبر وفي ذلك اليوم نائبات كانت الوفات مروح بين آلاف والآلاف

(١) Rev A.N Groves، مشر مكبري أفام في بغداد عده سن وفتح نداسه فيها لأبتمام البصرة. من أرمي وعبرهم، وله كتيب يصف فيه بام الماعود كبير هذا في بغداد الذي وقع في ١٨٣١م. والكتاب اسمه

وحمصته، وكان معظم من مات في هذا اليوم في خارج أسوار لمدينة ثم
 اردد عدد الموتى إلى ألف وثمانمئة وقد أحد لهلع وادحوف من الأحياء
 الباقين مأحده بحيث كان يندر إماعهم بالقاء لدون مروتهم واتخذ الكثيرون
 الاستعدادات اللازمة لمصير الذي كانوا ينظرون به بهتة الأكفاد لهم
 ولأسرهم، فل أن يؤدي انطلب امترابذ عليها إلى استهلاك الميسر منها كله
 وأصبح لعاء شحيحاً أبصاً، لأز كل سقاء كنت تطالنه دوفوف كان يرد عليك
 بأنه كان يأخذ حملة من الماء لعسل حثه أحد لموتى وقد روت سب أرملة
 للمستتر غروفر حراً قالت فيه إنها كنت قد عدت خمسين جثة وهي تقبل للدون
 في فسحة لا تريد مسحتها على ستمته يارده، ولم يكن السكون قادير على
 بذل أي نوع من الجهد، لال الحيرة على ما يبدو قد شلت أيديهم وأذهلتهم
 فأفقدتهم رشدهم فجلسوا في بيوتهم ينتظرون الموت الذي كان تياً لا
 محالة، وكأنهم قد صعقوا مم كان يمر أمامهم، وبأد ما كان سحبل أحد في
 الشوارع في هذا الوقت عدا حملة لموتى والأشخاص الذين كانوا يأخذون
 الأكفاد لهم، وعد لثمانين الذين كانوا ياحدون الماء لعسل الجثث.

وفي عدد لوفيات ثلثاً لا يتغير ما سب السادس عشر والحادى والعشرين
 من نيسان، على قدر ما يمكن التكد منه، وصل محافظاً على مستواه المقرب
 لألفي وفاة في ليوم الواحد، نكر حوادث كثيرة سهرد سوع لككة التي يؤدي
 إليها كنت تحدث هنا وهناك فإن أسرة ينتمي إليها أحد طلاب المستتر غروفر
 الصغار قد أصيب أربعة أشخاص من مجموع الستة الذين كنت تتألف منهم -
 إذ أصيب الوالد والأم مع أحد الأولاد واحدى لسان، ولم يبق منهم سوى
 ست وبن فقط أما كتك لسانا المعروفة التي كانت تتألف واحدها من
 سعمئة رحر، فإن بعضها قد بيع عدد اثنين أنى عليهم لطاعون حد
 الحمصنة وكانت أمار المصق لمحارة لمدينة على سوا مما كانت عليه
 في داخلها، كما كانت لمة اصاعه في لهر يعلو مستواه علو سريعا
 كذلك، حتى أصبح خطر العرق العام وشيكاً كل يوم

فهي اليوم لحادى والعشرين من الشهر انق الماء من مراديب

المقيمة، ووصل إلى أوط' من قمة السرد لمحيطة بالمدينة بهدم واحد وبأمل التمكن من تقديم مساعدة ذهب لمستمر عروفر إلى المقيمة لكن المظفر لم يشاهده في الطريق كنت نعت في نفس التأني والكدر إلى أقصى الحدود، ولم يكن من الممكن مطلقاً الحصول على أي نوع من المساعدة للمصابين الذين كانوا بصارعين المرض، فمن لباس من كانت روحته تعاني صكرات لموت، ومهم من كانت أمه كذلك، ومهم من كان مضطراً لأن يذهب بنفسه إلى الشد وحمل الماء منه ليعيش طفلاً متناً لأن سقاه لاعددين اعدم وجودهم، وإذا وجد منهم أحد كنت تجده مصحوباً بخدم يسوقه إلى بيت حدثت فيه حادثه وفيه وقد امتلأت ساحه الجامع بالبور حديثه وأحمر الناس يدعون الموتى في الشوارع العامة. ويقول المسير عروفر إن الموت قد أصبح الآن مألوفاً بحيث إن الناس صاروا يدفنون أقرب الناس إليهم من دون اكتراث يعتد به، كما لو كانوا يقومون بعمل اعتيادي.

وهو تكن المظفر الغريه أقل من ذلك إثارة للألم لانزعاج نفسي مقدس شديد الدار أنني كان يقسم فيها لمسر عروفر كانت هناك دروسه تزدي إلى ثمانية بيوت، ومن هذه السقة الصغيرة فقد كانوا يشاهدون اجثت سفلى من الحارج يوم بعد يوم حتى وصل عددها إلى سبع عشرة حثة وفي اليوم الثالث والعشرين توفيت ثم السيد، صاحب البيت الذي يسكنه المستمر عروفر، في سها، مما لم يكن من الممكن الحصول على مساعدة أحد لنقلها إلى مدفنها في الحارج فمرت في بينها من قبل خادمتها السبن سرعان ما أتى الموت عنيهما من بعدها وبطراً لعدم وجود أحد له علم بمصيرهما فقد بقيت جثتهما في مكبيهما، تملأ رائحتهما الحو، حتى بهت انداز بعد ذلك بمدة وجيزة وكسرهما بأبها فأصبح أمرهما معروفاً^(١).

(١) جاء في بعض ٣٩ و ٤١ من كتاب (ذاكرة الشعراء أو شعراء بغداد وكتابتها في أيام داود باشا) لمؤلفه عبد القادر الحطيطي الشهير بابي الذي نشره الأب اسمناس الكرمللي في ١٩٣٦م ١ فوقع المطاعون في بغداد أكثر الموت فمما بقي شعور عبد الأحياء =

وفي هذا اليوم نفسه شوهدت ست صغيرة عمرها اثنا عشر سنة وهي تحمل طفلاً بين ذراعها في الطريق ، وحسباً مثلث عه أحسن بأبها به يكن تعرف من هو - لقد وحدثه في الطريق وعلمت أن ولديه قد توفيا . وقد كان عمل لطفلة هذا صعباً من العمل الحيري الشنيع جداً يومذاك ، وخاصة بين الإلحاح من لباس ، لكنه كان شيئاً ممثلاً في كثير من الأحيان إذ ذكرت امرأة أرمية جاءت تستعطي شيئاً من السكر لطفل لمعطته على هذه لشكلة ن حاربها كذب قد أنقذت طعنه نفس الطريقة بعد أن وحدثهما مرر كين في قارعة لصريق فمات لطفلاؤن كلاهما ثم أعفنتهم هي نفسها ومن بين جميع الحوادث المؤلمة لمقتله الحملات الحيرية التي كان يولاه المستر عروفر أحياناً عند خروجه من است ، كان مظهر الأطفال العذبيين المبروكين على هذه لشكلة أشد المناظر يلاماً فقد كان لأب والأمهات ، حينما يحدون أنفسهم قد أصيبوا بالمرض ، يحدون إلى أحد نساءهم الحارثيين ليستم ويشركوهم بالقرب من أبواب ليون لمجاورة إلى رحمة لعرباء في وقت قصت فيه استعاضة لشخصيه على كل إحساس بشري . كما يقول المستر عروفر - ثم تابع وصفه قائلاً : «وكان لكثير من الأطفال المبروكين على هذه اشاكدة لا يريد عمرهم على عشره أيام وقد وجدت في طريقي إلى المقبليه شمسية أو عشرة من مش هؤلاء وهم يتيسر أي عون أو أمل انساني بهم ، إلا إذا كان توسع انديس بركوهم أن يعودوا

= من دهشه ما حل بهم بكلمك أن الوالده لمقت ولدها في الطريق واستحلاصة من بقي أحد يحصل العرنى ، ولا بقي من يحفر حفائر ليديوا الموتى في ذلك الوقت المهور المرحوم بكر هندي كان متوفياً من وجد أحد يغسله ويدفنه ، وبعد ثلاثة أيام من رحل من العرباء على من غشم رائحة منه ، فأني به إلى مسجد بعد له مسجد يبرود فرأى حمة فرماه فيها . وبعد عشرين يوماً خلص الطاعون وتراجعت اساس وأمر رادد باشا من مي من معسكر لمسطه (لهيه) أن يدوروا في البلد ، وعلى كل من يرى شيئاً أن يرعيه في لسطه مدبل أجرة مساوي منه قروش فتفرق هؤلاء الحامورود في البلد ، ويقولون ساس عن لأموال انديس دفين على وجه الأرض من غير دفن فيحملونه ويرمونه في الشط » (تلاسط ركازك الدعاء)

إليهم هسترجعونهم من الطريق بعد أن يأسو من عطف العروة سالمهم . وقد حاب جهودي لمحاولة كلها في إيجاد أي نوع من المساعدة المثمرة لنجدة أولئك لصعد الأرياء ، وكانت أسرتي أيضاً ليست في وضع تستطيع فيه تقديم أية مساعدة لهم حتى لو خاطرت بجلب العدو إلى بيتي .

وفي أربع و عشرين من أشهر أدى سقوط أحد حدران المقيمية بسبب لسه المرشحة في داخلها إلى قيام المستر غروفر بزيارتها مرة أخرى . هم يصادف في طريقه إلى هناك ولا سمة واحدة من الدس في الشوارع ، عدا الذين كانوا يحملون الحثث والأشخاص المصابين بالطاعون الرئيل . وكانت صرر للملاس ، من محلفات الموتى ، ملقاء بالقرب من كثير من الأبواب وقد أغلفت ساحه لجمع الكثير . إذ لم يبق فيها مكان لهم . ولذلك كان الدس يحضرون القصور في جوب لطرق ، وحتى في الطرق نفسها ، وفي كل بقعه فارعة أخرى . وسما كان المستر غروفر يتحدث إلى لخدم الواحد الذي بقي حياً من خدم الكولويل بابلور في المقيمية تناهى إليه أن عمته ، التي كانت ثمن شخص من أقاربه يصاب بالعدوى ، قد قضت بحيا مثل غيرها . ومما هذا اليوم كذلك بانع مشهور من باعه فطر الأكود ، بعد أن كان يستعمل حلوى اسكنة ويبيع لقط ناسعد مرتفعة . ولذلك لم يبق في الجديدة شيء من هذه السلعة . وارتفع سعر الحان أيضاً إلى أربعة أصعاف سعره الأصلي . وبدلاً من أن تدور الحثث بموحد من سسم الدس لمعتاد ، صادف بقي حتى حثث الموسرين من الدس على ظهور الحان أو الحمير ثم تؤخذ لتدفن في حفرة من الحصر . ومما يذكره لسم غروفر أنه صادف في طريقه ساء عربيات كن يهمن بإيماءات عريية تلفت لظفر - وكأنهم كن يحاطن بها الله عز وجل معجبات من نقاء الإفريخ و لكفار مثله على قند الحان . بينما كان يموت ذلك العدد الكبير من المسلمين فكان تأثير ذلك عليه شيئاً مرعاً ومؤسماً ، خاصة وقد كان في تلك اللحظة محطاً بالموت . ومع هذا الكلاب التي كانت تهش بالحثث وحتى قبل أن سلم أصحابها الروء أحياناً إلى دارها ، المحسطة بصرخ لأطهر الملقاه في قاعة الضرب . الأمر الذي كان يتكون منه مطر مريع فطيع لا يمكن أن يتمحي من ذاكرته .

وقد اردد عدد الوفيت في هذه الأثناء ارياداً ملحوظاً إذ تأبد في اليوم السادس والعشرين من الشهر ندى لمسؤولين في السري بأن عدد لموتى مع حمسه آلاف سمه في يوم واحد - ولا شك أن لعدد قد ارداد بمقدار أربعة آلاف على ما يبدو، وكان هذا من مجموع السكان ندى لم يكن يتجاوز في ذلك لوقت الخمسين أو تسين ألفاً لأن ثلث السكان على الأقل كانوا قد غادروا المدينة ثم ارتفع مستوى لماء ارتفاعاً محملاً كذلك، فكان توقعه يمكن أن يؤدي إليه تدفقه إلى لمدينة شيئاً فظيماً على أن جميع ما كان يتوقعه الناس بهطاعته قد تجور التحقق في ليومين اتلين. فهي تلك الليلة بهدمت كتلة كبيرة من السور فاندفع لماء بكل قوه إلى دخل المدينة، وغمر محطة اليهود سرعه، فتهدمت متتادراً من دورهم في الحال. وقد سقط كذلك قسم من سور القلعة، ولم يكن هناك أمل كبير بإمكان بقاء أي بيت أو حدر قائماً عند تسرب لماء إليه بسطر لطبيعة املاط الذي نسي به الحدران وقابليته للثقت. وما حث اللبلة لثامه حتى كان اعسم الأسفل من المدينة بأحمعه تحت الماء، سقط على ما يقال سبعة آلاف دار مرة واحدة، دافئة بذلك لمرضى ولدين كانوا يعانون سكرت الموت والأموات والأصحاء في رمس مشترك ولحقور استاداً إلى مراجع موثوقة أن ما لا يقل عن خمسة عشر ألف شخص، مريض وغير مريض، أنى عليهم الماء فأعرقهم بلحجه في هذه الحادثة وحده. وإذا أخذنا بنظر لاعر احتشاد السكان في الأماكن التي كان يمكن اللجوء إليها من المدينة، ونعذر الهرب على الناس في الخارج بسبب الطوفان الحاصل، نجد أن هذا العدد لس مما لا يمكن تصديقه على كل حال وقد جاء لقليدون الذين نجوا من هذه الكورث بمحطعات أسرهم لمحطمه إلى لدور التي بهيت سالمه في لأحراء المرتفعه من لمدينة وخالية بسبب انهجر أو الطعون، وهذه لوسية رودوا الولاء هناك الذي كان لا يرل مرابطاً في المساكن التي أشعلوها بعداء جديد. وبعلق لمستر عروفر على هذا لحدث بقوله «لس هناك شيء يمكن أن يعطي فكره مثيرة حقاً عن مقدار نعسة الأفراد ونؤسهم في هذه لفترة أكثر من مرور هذه لحادثة المخيفة من دون ملاحظة نذكر، أو جهد يذكر للتبريح عن المصابين بوطأها، بينما كانت

حادثة مثل هذه إذا وقعت في أي وقت آخر لا يتردد ذكرها على كل لسان فقط وربما نال أيضاً أشد لجهود وأعظم مساعده المنضمرين بها.

وقد سعت صعوبة الحصول على أموال أشدها في هذه المرحلة إذ صار الأشخاص المحترمون جداً يدورون على الأنواب يستحلون شيئاً من أسطر لصوريات الامة للعيش وكذلك اردد عدد المونى استروكس في الشوارع الى درجة محيية وتمرد وحود لوسيل اللارمة لرفع حشهم ودفعهم وقد شاركت في هذا الوضع الذي وصلت فيه الشدة حدده لأقصى مشاركة تامة عاجل لمدينة المستلة وسيدها المهتم إذ أصبح اسراي شياً بمسكن القسم الأعظم من رعاءه - أي كومه من الأفاضل يقع فيه هو نفسه، وهو على شدة ما يكون من لرعب وحرية. وقد صرح لخدام من حذاء المستر عروفر بأنه كان لا يعرف أين ينام فيصير سلامة نفسه حيث به كان يحشى في كل ليلة أن يدفع من ألقاص القسم المتبقي من مسكنه. بذلك نعت يطلب لروورق الذي لدى المقيمة لعه يستطيع الهرب به من المدينة، لكن لم تبه لم يكن قد بقي منهم على قيد الحياة سوى رجل واحد، وحتى الشا لم يستطع تأمين الرحاب اللارمين بشعبه ويقولون لمسر عروفر في هذا الشأن "إن الخوف منه به بعد به أثر بين الناس، ولم يعد محته وجوده" فكان حتى في قصره محرداً عن السلطة، لأن الموت كان يعمل حاهداً فيه كما كان يعمل في أي مكان آخر، وتضاءلت السلطة التي كانت مطلقة في أيام لحكم الشرقي حتى أصبحت في حكم العدم تجاه تأثيرات لقلده لإلهة فمن مجموع المئة كرحي الذين كانوا يقيمون في خدمته لم يبق على قيد الحياة سوى أربعة فقط. وحل ما كان يمكن عمله هو أن ترمى الأموال من لشبابيب إلى النهر لئلا يسري عدواهم إلى لأحياء ولبحال دول - أثر على مسينهم ثم تهدمت صطبلات لقصر كب تهدم القصر نفسه، فصارت حول الناش جمعها بهم على وجهها في الشوارع حيث كان يوسع كل أحدا أن يقص عليها، بيعت معظمها لى الأعراة. ولذلك عنق المسر عروفر على وضع الناشا نصوص "إذ كان الناشا على مش هذا لخدمان من العود والمساعدة هي نؤس وشما كان لا بد ان يروح تحتها الجمهور الأعظم من الناس الذين تركوا للبصار عوا الموت وحدهم"

وفي أثناء هذا الصراع الرهيب مع الموت كانت المناظر لمحيطه بيت
 الحسرة عروفا وأسوته على مقدار كبير من الكآبة والحسرة، مع كل ما حسبه من
 الحياة الإلهية من نحاشي لمرض الحقيقي وأخطاره فمن الدربونة الصغيرة
 بمقابلته لهم كانوا قد شهدوا أم رأسهم خمسة وعشرين حته يحمل إلى
 الحارح، وكانوا على علم بحدود سدة أشخاص مرضى فيها وفي إحدى لدور
 التي كانت تحتوي على ثمانين أنف من بين سوى شخص واحد على قيد
 الحياة، وعلى مشاكله نفسها لم يبق من الثلاثة عشر شخصاً الذين كانت
 تضمهم دار أخرى بقرب سوى نفر واحد ومن تكر هذه حوادث مرعبة في
 ديار بأي حال من الأحوال فمن مجموع الثمانية عشر خادماً وسبهيماً الذين
 كان الكونيين قابضين قد تركهم بوعيدة لمقضية من سو في نهاية الشهر عبر
 أربعة، وحتى هؤلاء أصيب اثنين منهم بعد ذلك بفارقاً الحياة وكان هي
 المؤسسة التابعة لمستشفى عروفا خمسة معلمين لعنس عربيه والأربعة، فأبى
 الموت على كل واحد منهم وأرادهم من الوحوش ومع كل هذا لم يسيل الحارح
 من الموت الذي كان يكتسح الناس ذرات ووحداً، لم يقبل المرض من
 ضحاوته ولم يصفى عدد أبواب بيوتهم فقد تجمع السكاراسون في بقع
 أصغر فأصغر من الحياة بتأثير العرق الذي داهم الكثير من محلاتها، فهياً ذلك
 لسهام الطاعون، وبه أهدافاً أوضح ومقاس أسهل بيلاً ولا عروفاً يندفون
 السكار من المناطق المعمورة باسماء على البيوت الملوثة من قبل قد حياً بولاء
 ضحايا جديدة، فبقيت حثث الموتى وهي تفتت سمومها في جميع ساحات
 البوب وفصح المدينة، وتملاً اشوارع هربك حصة فيها

ولم يكر هذا المصعب المخيف على الأرواح الشريرة مقتصر على المدينة
 وحدها، فإن فائده كبيرة إلى دمشق كانت قد عادت بعدد في نذيه أمر
 الطاعون، لكنها أخذت تعدوى لعمسه معها وصادف في طريقها بالإضافة
 إلى ذلك عدواً آخر لا يقل عن الطاعون قدرة على الفتك والدمار، وهو
 الفيضان. فالتحأت إلى بقعة من الأرض مرتفعة ارتفاعاً يسيراً وبقيت محاصرة
 هناك مدة أسابيع ثلاثة كان الماء خلالها يصبى الحياق عليها باستمرار ويفل

عدد أفرادها يوماً، فكان يس لهافله أفاعلة باشي في عداد الموتى منهم
و قد حاول الكثيرون أن يعودوا فيجربوا حظهم فيعيشوا في سويلهم من حديد
نكر الروادق كال يلد الحصول عليها، كما كان اقبيل اندي يمكن الحصول
عليه منها يساء عاب بحث لا يستصع الاستمادة منه إلا الفيل منهم

وعنى الشكك نفسها، خرجت قافلة من عداد متروحة إلى همدان في
إيران وهي تنال من ألقى شخص فحملت الوفاء معها وأدى ذلك إلى موت
بعضهم في الطريق فكانت هذه القافلة تترك في كل منزل نزل به من سير
إلى سبعين حته صفة على الأرض، كما كان عدد غير يسير يموت في ثناء
المسير على ظهور الحيل ولعل أو يقع من فوقها جسما يمرض فيترك ليموت
على درعه الطيق، وتنتسب لوايمه من قبل الناس ثم تمتد إليهم يد الموت

ولأنكى حتم من ك ذلك ما كانت عنه حانه الأوف الذين تأخروا
بالقرار من لصعوب فأحاطت بهم المياه الفائضة وقصت عليهم هذا الصطو
إلى لم جمع إلى النقع المرفعة إلى الأرض، وصدا يرفود لمة وهي تطلعي
وترفع من حوبهم حتى صعدت إلى ارتفاع نصف يادة في كل حمة ولم
يتسر بهم الطعام ولا الوسائل اللارمة لإشعال أي نوع من النار، ولذلك لم
يكن توسع المريض ولا المعافي أن يدم أو يستلقي، والأسوأ من هذا أنهم لم
يكن لديهم من الوسائل ما يستطيعون به أن يدفعو لموتى الدبر كانوا يرددون
بيهم وقد حاول لعص وهو نصف محبوا من اليأس أن يعوا ويموت في
بيته، لكن المياه لم تترك له أي سبيل ونعد الحصول على الروادق بأي ثمن
ومما كان يريد في حراجه الموقف الذي كان يصف فيه هؤلاء اللاحثون أن
ان ين كانوا يتوقفون في الإغلات من حصار الماء كانوا على يقين بأنهم لا بد
أن يعوا في أندي لصوص من الأعراب انابن كانوا سلوب جميع من
يصادفونه، نساء ورجالا، من دون تمس.

وفي أثناء تراكم هذا العدد الكثير من النعاسه وأشياء اشري دم بكر
هناك أروع من لهدوء الشية هدرء لموت الذي كان بحثه على لمدسة في
جميع أركانها فقد كف الملاي عن لأدن للصلاة، وحلّى السادبون عن مدب

الموتى ووصف المستر عروفر ذلك بقوله «إن البلية ألحمت الناس بحيث كان المرض يستولي على القلب حيوماً كان يفكر المرء به».

وقد كنت أول محبة من لمحات الفرح في مصاعفات الألم هذه ومع ذلك تصوي في هبوط مستوى الماء الذي حصل لي بداية أيار وبعد ذلك بجمعة وجيزة حيء شيء من لرز من لجأت الآخر وكرد محثكرو المحط الدين استعلوا احتيج السكار المساكين وعورهم قد وفعرو فرائس لنوباء فأصبح الحصول على ما كان عندهم من وقود شتاً ممكناً ثم سسى للمساكين التعساء الدين لم يتدرقوا طعاماً مفيداً مدة طويلة من لرمس أن يطبخوا طعاماً مناسباً. وبعد قليل، أي في الرابع من أيار، ظهرت بوادر استخفيف من وطأة هاعود نفسه. بد كاست الأيام لي سقت ذلك حمسة وسموها صافية الأديم، وشر ارتفاع الحرارة بالحد من ضراوته وفي ذلك اليوم نفسه قل عدد الحالات المرضية لحديده وهبط عدد الوفيات أيضاً. سم تطاولت قائمه المنمئنين إلى الشفاء. «رقد سرت أنطاريا» على حد قول المستر عروفر «حييم، رأب ثلاثة أو أربعة من السعائين يعودون للعمل وهو أول منظر شاهده من هذا انقسل خلال عشرة أيام كما شوهد المريد من الناس يمرون بالأرقه ولشواغ، وفي هذه الميلة سمعت لأول مرة مد ثلاثة أن بيع احتلاي يؤدون صلاة»

ومنذ هذا الوقت فصاعداً كست أبحار المدينة قسحس بسريح عبر ما يؤصف له أن المرض الذي لم يتعرض لبيت المستر عروفر حتى لال طهره في يوم السابع من أيار، وكما هو معروف بماء لمعروف كان على ذلك ارحل لمستار والمسيحي المتعدي أن يتحصل المصائب لمؤلم بضم روحه وطفله ثم أصيب شخصان آخران هات هما كذلك، وقد كان أحدهما المعلم اندي سق به أن فقد على هذه الوتيرة من قبل أربعين قرياً من مجموع أربعة وأربعين

هذا وبوسعد ن سمر في سرد حوادث الموت الكاسحة التي عرف بها سير الطاعون في هذه الفترة وتمدى في ذلك من دون توقف فقد محبت مئات الأسر عن آخرها، ولم يبق من كثير من الأسر لأخرى لي كان يطلع

عدها عشرون أو ثلاثين شخصاً سوى شخص واحد أو شخصين فقط على قيد الحياة. وذكر أحد الأرملة للمستتر عروفر أن سكان امئة والثلاثين داراً اسي كنت تتكول منها محلة لم يبق منهم حي سوى سعة وعشرين شخصاً فقط كما أخبر اس لمللا المنصل المستتر عروفر أن امحله لتي يقم فيها هو لم يبق فيها حي ولا شخص واحد، فقد ماتوا كلهم أم السد إبراهيم، لخدم لوحيد الذي بقي على قيد الحياة من حدام لكرولوبيل نابور، فلم يسم من أسرته الدلع عدها أربعة عشر شخصاً سوى هو وحده ومن حوادث الوفيات لفريضة في ندها، التي حصلت في جهات لباشونة لأخرى، يمكن أن أذكر أن لحنة لم يكا يقي فيها احد من الناس بسب الطاعون، بعد أن كان عدد نفوسها فل الصاعون ياهر العشرة الاف سمة ويبدو مما استطعت أن أحصل عليه من لأحدر، ومما يرأيه المستر عروفر، أنه من المحتمل جداً أن يكون الطاعون قد نى على شئ^١ لسكان كلهم في بغداد، وأن عدد الذين وقعوا فريسة لهذا المرض لم يكن أقل من مئة ألف سمة إذا لم يكن أكثر ولا شئت أن عدد الوفيات قد ازداد بصدفة الفصان الموسعة، فقد وقع أولاً في الريف فحال دون هروب الناس من الطاعون وخاضر لقسم لأعظم منهم ما من الأسوار. ثم سررت لمية إلى لمدية نفسها وعد ذلك لم تترق الألوف من الناس أو تدفن في خرائب البوت فقط وإنما احتشد من بقي على قيد الحياة

(١) لقد ظل الطاعون خطراً مرعباً في جميع أنحاء المعمورة على مر الدهور، ذكر الفرس، وظل شبحه لمحف يضر مصاحح الاسم ويقضي على الملايين من نفوسها حتى استطاع العلم الحديث شخص ميكروبه وبعين طريقه عدواه في نهاية القرن التاسع عشر. فقد بلغت ضحايا الطاعون في روم سنة ٨٠١ ثمانية عشر ألفاً نفس في اليوم الواحد. وقضى الصاعون الذي اشتر في أوروبا كلها عام ١٣٤٨م على ٢٥ مليوناً من البشر، أي على ما يقرب من ربع السكان فيها جميعهم فقط عدد نفوس وما بهذا اسبب إلى عشرين ألف سمة فقط. ومات في فلورنس وحدها ما يزيد على ١٠٠ ألف سمة هذا وقد كان ضحايا هذا الطاعون الذين تله الملايين في البلاد الآسيوية، وخاصة لخير، منها مثل الهند والصين

سهم في مساحه صيفه فوق اسفح لحافه من الأرض، واضطروا على اللجوء إلى لسوب الملوثة بجماعات تتراوح عدد أفراد كل منها بين لعشرين والثلاثين، وهم محاطون بالفساد والتفح، ومحرورون من الحلاسن والمؤونه، أو رسائل مضع، الدر وقد كان تراكم الحث غير احدقونه كذلك مودياً إلى تفاقم لأثاراب الدحمة عن عشي لطاعون، بسونث العجو وجعله أشد إيداء وإهلاكاً للنفوس^(١).

(١) لقد وقعت قس هذا لطاعون المجيب في العراق طراعين أخرى كان بها تأثيرها اليس في امده الروح نه حلال ملك الأيام لحوالي وأذكر فيما يلي ما وقع منها في الحفنه المحصورة بين العفد لأخير من القرن اسامع عشر لملاد وسه ١٨٢١م، أي السنة التي وقع فيها هذ الطاعون فقد حدث قبل وصول والي بغداد الحاج حسن باشا الكبير إلى العراق ان تمشى الطاعون نه سنة ١٦٨٩م وظل هناك بالناس ونشبت وطأته مده برمد على الحممه شهر ~~وخلع من صراوته~~ وكثرة صحبائه أن صدر يسميه البعدايود أبو طبراء، والمعتقل عبد بعض المؤرخين ن هذا الطاعون قد فتك بك ألف سمة من لسكان وقضى عليهم وقد سرب عدواه إلى بغداد مر سدلي على أثر مجيء كبرة مداب بموصل ولساطق أمجاد له، ثم امده إلى العراق الأوسط والنجدي نظراً لثمة الأمطر وحفاف لحقون فأرى تمصر لسكان إلى بغداد مهد سب إلى انتفال بمرص إليها وإشراقه لي محلاتها ثم عاد هذ لطاعون إلى بغداد في سنة ثمانية (١٦٩٠م)، فكان أشد عنكاً وصراوة من قل على ما يناد ودام مده ساهر الثلاثة أشهر ثمان مر حوائه حبو كثر ثم سرت عدواه إلى الجنوب حتى وصل إلى البصرة ونقول بعض الرويات ان صحبائه فيها قد رادو على عدد لصحاب التي حدد بها في بغداد بحسب ان الناس لمي البصرة قد عجزو عن دفن موتاهم، فصاروا بواروهم التراب في المخل الذي كانوا يعمو، فيه ولي أواخر سنة ١٧٣٧م تمشى طاعون في الموصل وبقي مقيماً فيها إلى السنة التي تليها، فلبث صابانه ألف إصده في اليوم الواحد ولم تحص سته على ذلك حتى ظهر الطاعون في بغداد أيضاً، فقصى على خلق كثير من سكانها.

وفي سنة ١٧٧٢م سلك الطاعون من اسناو، إلى بغداد وصل فيها مده ساهر السنة أشهر ومن أهل هذ خرج الكثير من الناس إلى القرى والأرباب فراراً من شره.

ومع هذا ، فحتى في حالة عدم وجود مثل هذا الانحراف في الأسباب

= ومن جنتهم نوبي عمر باشا الذي حرج إلى صواحي لأعظية وحيه فيها مدة تزيد على الشهرين . وفي حله نبي طنب أن سبعين ألفاً من الناس قد ماتوا في أورد أودا الإصانة . وبذلك قضى الموت بهذا المرحوم نوبير على عدد عظيم من السموات والأسرى وارثكت أحوال البلاد بتأثيره فانعدم الأمن وتوقفت التجارة وتلت أخرى . ومع هذا فقد سرب عدوه بعد ذلك إلى أسيرة ونوشهر أبه والى امرى والبهوادي

وقد أصبحت لهذا انقطعت الأمطار في شتاء سنة ١٧٩٥م نعم الفخط بسرعة لأن قطاع الأمطار في هذه السنة كان قد حصل في السنة نبي سمعتها أيضاً ولذلك ارتفعت الأسعار وبعدها فاحشاً بلغ فيه سعر البقرة من الحظية ثمانية موشو ، ودر اشعير ستة دروش فاضطر نوبي سيم باشا لكبير إلى بيع المحرور من الأحمس على الأهلين بأسعار وظلة . ومع هذا كله لم يكن يبيع هذا البدير فهاج تعداديون ، وهاجموا نوبي لحكوم فاضطرب نبي دهم بأسلح وأديب المحررين مهم . وفي نهاية هذه السنة نادى بعض الطاعون فكان فتكه الناس ضعفاً على يدته . وقد دام عدة أشهر وقضى على ما لا يحصى من الأرواح

وفي سنة الأولى من مبي انقر التاسع عشر طهر الطاعون في سنة ١٨٠٠م بعض على لكثير من معام الحياة فيها . وقد صادف ظهوره هذا في نوبير سيم باشا لكبير فاضطر إلى الفرار والتوجه إلى بلاد الحاضر حيث حتم مع جسمه وحاشيته في مكان يدعى "ميدان السلوق" وكان يشكو من داء المفاصل الذي اشتد عليه وفي وقت ظهور الطاعون . ولم يمض سبيل على ظهوره هذا في تعداد حتى داهمها من جديد في سنة ١٨١٣م ، دام فيها مدة تزيد على ثلاثة أشهر . وقد عاث فتكاً وفساداً في تعداد وما جاورها فاضطر نوبي علي باشا إلى إخراج عودته إلى عاصمته السكونية من حمصه التي ذهب على رأسها لنديب العصاة في سجن

وفي سنة ٨٢٠م حصلت الهنصه (لكنوير) أو بجواء الأصفر من لهد نبي لصيرة . وكانت فتكاً شريعاً فيها وقصص على ما يزيد على خمسة آلاف نسمة من أهلها . ومن ثم أخذ هذا المرض يرحل إلى الشمال فاستدبح فوصل سوق اشيوخ والعوجة والسمو ، واشتد بعد ذلك بين عشائر الشاميه ، ومنها وصل إلى حبه وكربلاء ، ثم نبي تعداد نفسها . وبعد أن قضى على الكثير من الناس فيها رحلت

المؤسسة كان لا بد من بناء مثل هذا أن يحدث في أية مدينة شرقية أخرى تأثيره المعروف الذي لا يمكن أن يحصل في المدن الأوروبية، في أيامنا هذه على الأقل، بوجود قوة نظامية من الشرطة فإن فائدة حفر الدس وعزل لسوت عن تعدوي أصبحت حقيقة لا جدال فيها إذ من لادر أن يصاب أحد من الأوروبيين في استاسول أو غيرها حيث تتحدث مثل هذه لحيطة وهو ك من الممكن إقناع الأميين ها باتحاد تدايير وإجراءات مماثلة لكن من المستور لتأثيرات هذا بمرص المدينة، وربما لمدة بقائه أيضاً، أن تتناقص على وجه التأكيد.

وقد تكلمت بيسهاب عن لطاعون في بغداد على الأخص، لأن تأثيراته ارداد وفعها فيها أكثر من أي مكان آخر نظراً لما شهدته منه في مها غير أنه من لادر أن نجد مدينة من المدن إلا دراسة لم يحصل فيها مثل ما حصل ها، يستثناء ما حصل من العرق وفيضان المياه. فقد فقدت كرمناش وهمدان وكرستان كلها نسبة أكبر من سكانها، وكذلك فعلت عرندرا وأمترناد كما هبط عدد اسنوس في منطقته كيلان كلها إلى خمس العدد الأصلي - ويدعي الأهليون أن هذا الهبوط في عدد الفرس رص إلى حد المشر فيها وأقمرت رشت فحب من سكانها بالكلية، وكذلك فعلت لاهيجان وفوس وبريگورام وه نشه بصوررا هذا لاكتساح ارهيب للحياة البشرية، وهذا المقدار الهائل من العذاب والمعاناة، أنه يعرى في المدرجة الأولى إلى اجهل وسوء الإدارة! وفكروا سعم لمدينة ومركاتها - فجهار حكومي مستظم، وجرائم مسممة من الإدراك والعبرة، يمكن بعون الله وتقديره لتجفيف من وطأة هذا الوباء المصحف وحدته، إذ سم يمكن تحاشه بالكلية

أما بالنسبة لعدد نفسها، فقد قر لطاعون مها في الأخير أيام حرره

- عدواه إلى لسمال لذلك فنتش في ك كوت ونص على نحو مر ألف سمه فيها وانفن من هذا إلى لسيه به وما جاورها، ويردى في هذا أن أن لوالي داود ماش طيب من طيب احنيمية لإكبيرية في بغداد جلب الأدوية اللازمة لمكافحة البهضة هذه فبني بها متأخرة من لهذا.

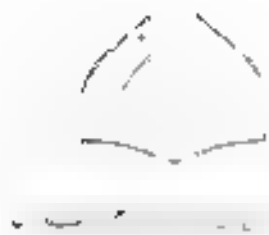
الصف المتراصة فيحلول اليوم السادس والعشرين من الشهر انقطع ظهور الإصابات بها ففتح المستر عروهر بيته بعد ذلك في الحال، وخرج القلائل من السكك لافين على قد الحياة من البيوت ليمرجو على حطام مدينتهم المهضمة الجراح. وقد كان المنظر سعث في النفس قدراً كبيراً من لكأة واقصص النفس فلم يبق قائماً من مبابات مراد كلها سوى مجموعة صغيرة على صفاء النهر حيث كان مسوى الأرض مرتفعاً، وجامع واحد أو حامين كانت حدراهما وأسسهما قد شيدت بمريد من امتانة مد البداية وحتى اسبابات التي عيت قائمه بعد كل ما حدث يندر أن توجه واحدة منها لم يحصل فيها شيء من التصدع أو للحرب. وقد استمر سقوط الدور وتدعي احدران حتى بعد هبوط مسوب احياء في النهر، ناكثير الاي أحده احياء في مواد الساء ولاحساب الذي أحد يحصل في لأرض، وقبما وراء هذه المجموعة من الأسباب كان يمتد إلى جميع الجهات قصه حاد يصل إلى لأسور نفسها. ويتسم بنفايا احلر المهدمة وحرائك لدور اتي يتكون منها ما يريد على ثشي امدنية وكنت توحيد بها وهناك بحيرات كبيرة تحتمت في اسقع ، محفصة من الأرض بعد ،حصار المياه المائضة ومن بين خطوط الأسوار ،صويلة. أصاب الحرب العام عدداً غير يسر منها، وقد مرت مدة طويلة قبل عوده لأسواق التي بقيت غير مهده إلى الامتلاء، ولذا كاك إلى فتح أبوابها من جديد بمقدار بعد به. فإن معظم التجار، وجميع الصناع وأرباب الحرف تقريباً. قد أتى عليهم لموت فأرلهم من لوجود وإك في هذا اسوم نو أردب أن يحصل على بعض لحاحات لمصوغة، لتي كانت شته بصاغتة هذه اللاد، يقال لك ٥٠٠، إن ذلك لا يسكن الحصول عليه الآن لاد جميع من كانوا محنصين بصعه قد ماوا» وبذلك فقد سمحت من هذا صناعات معرونة كسها، ومر وقت غير يسير قبل أن يصح من الحبور لسكان اسافين على قد لحده لخصو على ضرورياتهم الاعتيادية، لا لأعدته والملايين.

وبعد ذلك جاءت لمجاعة الشريرة تكثر عن أياها فقصص على قسم من لأحياء الدين بقى في لمدة بعد الطعون، لكسي سوف لا أنصق إليها شيء على أن حارب النهرى المحيطة بالمدينة، وتثيرات الحرب ربما سبه

لحشع الإنساني من حمل سكان المناطق المحاذية على الالتجاء إلى المدينة،
 كان من شأنه أن يكسو هكل عدد احتاي بمقدد من لسكان الذين كانوا ،
 على قنة عددهم بالنسة لما كانوا عليه من قبل ، كافين ليصبحوا أمدافاً جديدة
 لهجمتين حديدتين من هجمات الطاعون ويقدموا بهم خمسة آلاف ضحية في
 الأوبى وسبعة آلاف في الثانية^(١) . وكان النسب في وائلة الطاعون لأخرة
 التي انتهى أمره في شهر يار الأخير طمع حاكمها احتاي الذي بدلاً من أن
 يجمع كل نصال ممكن مع كرمشة لنفسي الطاعون فيها في مثل هذا الوقت ،
 عرّض المدينة لوافدة ودية كان يمكن أن يصاهي واده ١٨٣١م بقصاعتها ،
 برغم تحذير الحقيم البريطانيين وتذكيره بالعواقب لوحيمة ، لأنه كان يجمع
 دلاوة التي يقصدها من الرمال الإيريسين وسواة أكادت طبيعة الرباء نفسها
 على حاسب أقل من الصراوة في هذه المرة ، أم كان العداء الموهر لها قد
 نافض مهادره ، لأن التربة التي يهكها الحاصل الرراعي يدبر أن تنحل في أعفائه
 حاصلأ وفراً آخ ، فقد كانت الوديات في هذه المرة أقل من وفيات الطاعون
 الأول بكثير ومن اسباب هذا المرق المقترن بالخط تيسر الحرية للباس في
 هرب إلى الخارج هذه المرة عند أول ظهور المرض لأنهم لم يصادفوا أية
 محارسة لا من الإنسا ولا من المياه لعائضة عند خروجهم ، فاستعدوا هذه
 الحرية إلى أقصى حدوده . وبذلك عرفت مناطق وجساعات بأسرها إلى
 الخارج ، مع جمع مدعها ، عند أول ظهور المرض ، فخرج ليهود كنهم على
 الأحص ، وكان من نصيب الحارحين جميعهم أن شملهم العناية لإلهة
 برعايتها فلم يمسسهم ضرر أم في حادثة الطاعون الأولى من ناس نفسه كان
 قد تدخل في الأمر ومع لاس من الحركة بأمل لجلولة دون ما حصل من
 انتشار لدعوا جمع بين جميع طبقات ناس عند أول ظهور لوباء في المدينة ،
 ثم جاء انقصار بعد ذلك فحصرهم حصاراً تاماً . وقد بدلت نفس المحاولة
 في البصرة كذلك ، حيث أغلقت أبواب المدينة فكثت عواف دنت شتأ على

(١) لا بد أن يكون لطواعين ثلثائه هذه هي التي يحدث عنها جمهور استغداديين بواء
 فبضربون المثل بها في شتى المصايف

أشد ما يكون من الررم واسكنة لأن الحوف والهبع قد ديا إلى شتداد أمر
 الوباء على السكان المحاصرين في لداخر، فتجاوزت الوفاء ما حصل منها
 سعداد سس، وكان من بين اصحابها الحاكم^{١١} المحظى بمسه الذي داق جزاء
 ما صنعت يده



(١) جاء في (مختصر تاريخ مصر) بحسب طريف الأعظمي وولي بعد ادعين عبد القادر
 باشا متسماً لمصره في سنة ١٢٤٦ للهجرة، وهي سنة الطاعون، بعد عرس عرير عا
 عد وقد مات عبد القادر بشت هذه الطاعون بعد أن موسى الحنم فيها وضعه شه
 فقط



(٦)

هواشب الفاعلون السياسية - سحق الباب العالي عبر الباب - القسوجيون والفرميين - قتل
صادق أفندي بأمر من الباشا - تحوّل الباشا - تعيين علي باشا لبيداده - محاصرة المدينة -
لباشا يسلم نفسه - تسليم المدينة بطريقة الخيانة - إرسال داود إلى استانبول - لإجراءات
التي اتحد بها علي باشا قتل المحاليل الكرج - طبيعة حكومة علي باشا

لم تكن عواقب الوفاء لسياسيه أقل أهمية من تأثيراته المهلكة علي
استبداد، ومن الممكن أن يقال إنها كانت شيئاً فاصباً علي باشويه بغداد - هذه
ذكرت قل هذا أن داود باشا قد أصيب بكمراهية الباب العالي له لأن روحية
الاستقلال المحطرة ولتشامخ لندين كد يبايهما قد أعطت في اسلطان الخشية
والحسد مد أمد طويل، فحملاء علي أن يعزم انقضاء علي داود عند سرح
أول فرصة مناسبة لذلك. لكن ادب اسائر الذي أثار لسخط عليه في هذا
انوقت مالدات لم يكن سوى قتل لموظف المملكي الذي كان قد أوفد من
اسباب العالي بمهمة رسمية إلى لباشا ولا سكر أن لعرض من هذه المهمة
كان تلاميذه هو - وربما موته، لكن اعلم اندي اقترعه كد شيئاً لا يقل عن
القتل والحبانة إراده مسده السلطان. لأن الاصول الرسمية في ترك كد كد تقضي
أن يقابل ارسول، الذي يبحث له حلالة بتقديم لحيته أو ما يبر الفتل، من
الاحترام والتقدير وكان من واحبات لوظيفة كذلك أن يحيي الموظف رأسه
بنفس المقدار من الثقل في كذا لحياتين

عني ان هذا لا يتقارن لمحصوح لا يمكن أن يتم ما لم يكن الرئيس لاعني
لقدم المعنى في السبطة، ولا بد أن يقطع حسماً يكون سلطه قد مضى وقل
شأنها وهذا ما حدث مالدات لسلطتين في هذه الأيام لني حيث فيها

الأمر ، فقد أصبح من أسلوب اسلوب أن يهمل حتى أسط أوامر لسلطان وأسهلها تقبلاً وأن تعامل بمقتى واردرء على الرغم من مضاعف لاجترام التي يعان بها. ومع هذا فقد كانت العادة أن يحفظ الجميع على المطهر ، لأنه كان لا يزال هناك في أنحاء الأمور صورية كلها شعور مستديم بوقر اسم السلطان وسطته ، حينما يذكر على الملأ ، بحيث يندر أن يجزؤ أي رئيس أو نائب مهم كان قوياً على منتهاك حرمة وعنى هذا فحسباً كان يعلم أن قزجياً^(١) أو رسولاً قد توجه لأداء إحدى المهمات تتخذ لإجراءات لاستقباله سعاً لطسفة مهمته التي يحير الناس بالعرض منها قبل أن يصل لوفد مدة طويلة ، من قبل صديق أخير موجود في الباب العدلي عادة. وحسباً يكون المهمة في حاله يكون استقبال الرسول ودياً مفعماً بالتكريم ، أما إذا كان الأمر على العكس من ذلك فتتخذ التدابير عادة لتأخير وصوله حتى تسح الفرصة المناسبة لتعجبه عن مهمته - فيندر أمر وقوع حادث عرضي به في الغالب. ولا بعد هذا شيئاً صعباً في بلاد تكثر فيها لعصابات وبعشائر السلافة

وإذا يكون القزجيو أنفسهم على علم تام بحظر الذي يتعرضون به من جراء مهماتهم ، يعتمدون إلى اتحاد الاسعادات الخاصة بهم فيشأ عن ذلك كله عرض منظم للمساويرات التي تصد من الطرفين فيحاول الناس تحاشي التراو والتصادم بينما يندر القزجوي كل جهد للوصول إلى مجلس لاشا لأنه ما إن يكون هناك حتى يكون الاحترام لفره السلطان ، الذي لا يزال أحسنك به قوياً كما ذكرت من قبل ، ويستطيع تقديم أوراق عمامه إلى نائب حتى إذا كان محطاً بحرسه ، فإن الحرس أنفسهم سيساعدونه على تنفيذ ما جاء من أحله لكن هذه المحاولة تكون محفوفة بحظر لأن الفشل فيها يؤدي في الغالب إلى هلاك القزجوي الذي يعد ساءة على هذا نوعين من الغرامين عادة فإذا وجد الشا قوياً بحث يصعب تحديه ، وحظره عظيم بمقتضى ذلك.

(١) القزجوي كلمة تركية تعني «لواء» بالعرف ، أما في عرف الاصطلاح في ذلك الزمان فقد كان يراد بها حاجب السلطان أو رسوله الذي يوفده في مهمات رسمية

يصدر أمراً بالنصيب واجلعة على سبيل لحيلة حتى تسح فرصة ملائمة لتصد
إرادة سيده الأصلية

وكان داود باشا قد تمتع بالورارة مدة سبع عشرة سنة^(١)، واستحبه وقته
ذلك كله بكد واجتهاد في توطيد سطونه وبرسح أقدامه فكان عمده حش
كامل قوامه ثلاثون ألف حيا وراجل، وكان خمسة أو ستة آلاف منهم على
درجه غير يسيره من الصبط والانتظام ومجهزين بمدفعة فعلة كما دبت
وإرداته من الناشوية كثيرة جداً على ما يعرف، ومع ذلك فإنه خلال هذا الوقت
كله لم يقدم إلا اثنين منها إلى حرية السلطان وبذلك كانت حكمه
استاسول بطسعة لحال بعير أن داود باشا كان يسح خطابات محمد علي باشا في
مصر، ويستهدف جعل نفسه مستقلاً عنها. ففررت حمله، ووفات رسولاً
يسمى دانش^(٢) أهدي ليحاو لنفيد هذا لفرور، سمح صحت دسائس علي
الدي كان يشعل ناشوية حلت يومذاك في أن يخص نفسه على إترشيع
للشعر المؤمل حصوله بعداد

ومهما كانت الشكوك التي كانت تساور داود باشا، وصروب لتحوط
اسرته التي انجدها، يبدو أنه لم يكن مسعداً تمام لاسعداد المصرية المبطرة
حيما كان أوانها فقد نجح دانش أهدي في اوصوف إلى بعداد وكسب
اسرته التي أعدها لانشاء برقيات استطاعت بصله بالنسبة بطسعة ما كان
عنده من تعليمات وأوامر. غير أن الفخحي، لما كان شاعراً باخطر الذي كان
يكسب موقعه في بعداد، وبطراً أنه كان عليه شمة بأحد لما هو شأن العد بين
جميعهم، رفض أن يكون إقامه في اسراي لاعتقده بأنه سيصبح تحت رحمة
الباشا فيه ولذلك جعل إقامه في دار موظف من الموظفين الذين كانوا
سمعون ثقة الباشا النامة يسمى محمد أهدي، ويعرف و يشهر بلقب
«مصرف»

(١) ف شعر ابو. ره، أو ناشوية بعداد الكبرى، من عشرين شباط ١٢١٦م إلى
١٢٣١م، أي لمدة خمس عشرة سنة

(٢) إن معظم المصادر التاريخية تورد اسم (صادق أهدي) وليس (دانش أهدي)

ثم أحد في الوقت نفسه يفتش من حوله عن آلات مسخرة يستعين بها على تنفيذ مهمته لخطرة، فوقع خناره على مطف حرم الموططين الدين يصع فيهم الباشا حين اعتماده وهو المير حور^(١) أو «رئيس التحلية» - فكان هذا رجلاً سحلي بمواهب غير فيه فأقصى إليه دأمر السدطان، وعرض عليه في الوقت نفسه أن ينصه هو في لاشوية شرط أن يكون مبرماً بمساعده في قتل سنده الباشا، نكر المير حور، على كونه من أصحاب المواهب والمقاسيات، لم تحفل أعصاه تلك المهمة لخطرة التي كلف بها بهذه الطريقة على أن تدع بأمل كذلك أن تكون التقدير الخالص لسيد لطيف متسامح حصّة في تعسر لموقف الذي اتخذه. فأحمر السد «المصرف» بالأمر، ودها معاً إلى الباشا فأخراه بالطبيعة الأصلية للمهمة التي جاء بها القنوجي^(٢).

أم باشا الذي كانت شجاعته الأدبية على ما يبدو لا تساري فإلمهه لأحرى، فقد ادست بلخير وتبين أنه غير قادر على اتخاذ قرار ما حول السيل الذي كان يترتب عليه أن يسدكه نكر الأمر كان أخطر من أن يقدر ذلكوكو واستأطو. وما كان من مشاورته المذكورين إلا أن يقولوا له «لا بد أن نقصي على القنوجي، ولا فسيقصي» هو عيبك وعلسا. وإذا كنت تشك في مهمته فإنك مقصّي عليك لا محالة، إن هذا هو وقتك فاعسم المصلحة فيه» وإد

(١) المير حور كنهه فرسيه الأصل يعني رئيس الحلية، وكان اسم هذا لشخص سيمان أي

(٢) يقول «تكميث في كتابه» (بعد فرون) «إن داود باشا هو الذي دعاهم للاجتماع والمداكره ودها معهم إسحاق لمصرف اليهودي مشاوره خاص، بعد أن فادحه صادق أفندي بعزله أما علي طربصه الأعظمي في (مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث) فيروي الحادث كالتالي «... ثم دعا أعوانه ومعهديه، من جمعتهم صاحب أعاء كم المحاول، وسم أعاء صابط الحكرية، والشيخ حمد أفندي من بني المسيب، وسليمان أعاء (أحد معنيه)، ومصرف محمد أعاء، ولصاف دوشي إسحاق اليهودي، وشاروهم لما جاء صادق أفندي من أخيه نصر أي بجميع على دلي صادق أفندي وأرسلوا من قتلته عبلة ودهود مرأ في راية الصانوتية في العلعة المحارحة». وتقع راية الصانوتية تجاه لدار التي قتل فيها

كان الباشا مرتكباً ومنجيراً بالكيفية، وغير قادر على إيجاد طريق يسلكه، فقد حُمل على أن يصادق على إجراء الذي اقترحه عليه محمد مصرف والمير تحور بدلاً من أن يأمر به من عبده. فركب هذان لرحلان حصونه وتوجهن توتهما إلى حيث كان يقبع الفوجي بعد أن اصطفت معهما «جواروشاً» ضخم لحته. أما الرحل، الذي كان قد أدى إلى مصحعه ليدم، فقد تحرف بطبيعته لحال من لطريقة التحاللية من للمحامية التي أوقف بها من يومه، وبصوب يعبر تعبيراً كافيّاً عما كان يساوره من خوف وهرج سألتهما عما يريدانه ثم أضاف قائلاً: «به برحو أن لا يكونا ناريهما له في مثل ذلك الوقت مطوية على شيء من الأذى» فرد عليه السيد المصرف بقوله: «إن هذا ما ستعرفه في الحال، وإن اللهجة التي وجدت من المناسب أن تبدلي بها يوم أمس^(١)، سوف ترد عليك هذه الليلة». وإذا كان الدس المسكين قد استولى عليه لحوف تمام الأسبلاء، فقد التحا على ما يقدر إلى أحسن أنواع التصرع والتوسل، لكن السيد المصرف دعا إلى لدحول «الجواروش» الضخم^(٢) الذي كان يحل لشال من محرمه بهدوء فألقى نعمة من شأنه هذا حول عنق الفوجي وقضى سرعة على حياته وتوسلاته معاً^(٣).

ومما يدل على أن الدين اقربوا حريمة القتل المكراه هذه كانوا أعداء ما

(١) به بقصد الحشونة التي قابله بها صادق أمدي في طور خرماتو حسب أسرار المصرف من قبل الباشا للترحب به من هناك.

(٢) المعروف في كثير من المراجع أن هذا العرف كان يسمى «جاء» و«جاء» وقد كان معه عند ارتكاب الجريمة رمضان أغا حاجب داود باشا أيضاً.

(٣) إن رواية لوكريك للمحدث فيها اختلاف غير يسير عن هذه الرواية فهو يشير إلى أن صادق أمدي لم يصل الباشا وما قاله أنوفاً أمدي أرسل مع الهدايا للترحب به من طور خرماتو، بحشونه صريحه وكذلك قدم المستقبل على أبواب بغداد نفس نظيره وهو لم يصل الباشا الذي كان ينتظره في لسراي، وإنما حل ذلك إلى اليوم الذي وتذكر هذه الرواية كذلك أن صادق أمدي هو الذي قاض داود باشا بمرله وطلب منه تسليم الحكومة إليه.

يكون عن الارتياح من نتائج التي سترتب عليها أهم، لأجل أن يريلوا اشك
وسكوا صحة الاسم الذي أثبت بهذه المناسبة، أظفوا شخصاً أريد به أن
يمثل اقنوحى مرة أو مرتين في الشوارع بعد أن ألبس ملبسه الخاصة لكن
إشاعت اعتيائه تمادى الناس في تصديقها حتى وصلت إلى سامع المقيم
الكومونس تسور، الذي لقم بعة لخدمه على عبد اشأ نفسه وصور له
عوقها لمحتمة بألوان بارزة على ن لاش حول أن يوري ريوژ بادى
دي بيه، لكن ومحروه لعاصفه من بعد لي كانت تتجمع عيومه في متبون
سرعان ما أدت ليس إلى «عرف سموه فقط بل إلى طلب المشوّه والمساعدة
بصوره جدياً أيضاً ولاعتبارت سياسيه، وقاعة بأن اشأ كان محصراً على
اقرباء حزمة شمع قرايفها في لبلالات اشرفه أو فوجيء بفرقها من قبل
فاعيها لاصلين، فتع المقيم^(١) نر يعرض الأمر على المسؤولين في
استسور، بصوره يدفع فيها عنه وهناك قليل من الشك بأن القصية كانت، مع
شيء من البارل من جانب اشأ، سسهي في صاحبه هو - وعند ذلك كان
لمقيم سيخص على هود ممار الذي لاش ومهد حداً للماثوية نفسها - لم لا
أن تحل باللاء الككة لي أئت على وصفها من قبل مؤدي إلى حصول تدل
ساسى وطيعي في شكل لأشء اعمه كدها، وحدث ثورة كلية في مصائر
لماشونة وبديل حكامها.

بعد أفى اطاعود قوة داود اشأ اعسكية بالكية ولأجل أن يكون
نوسعا تكوين فكره عن اندمير النام الذي أصاب حشده اعتبد يحذر بها أن
يذكر أن قطعة ع كرية عده نه رحل وممره تدرماً عسكرياً على السوق
برطاني، لأن الكولونيل نيلور نفسه كان هودى في يوم من الأيام، لم يبق
مها على هذا الحياة سوى رحل واحد وقد برث اشأ بفعل لو حده في دار

(١) يلاحظ لقارئ نر هـ أن الإنكار من ديت حين كان يعرف مدخلهم في شؤون
العرى لداخله ووجهها للشكل الذي يصمم مصالحهم فقد كتب أحد الرجال
فرسيس (أوشيه يلو ي ١٢٥ م) يقول «المرم كان محتر على التسامح في أمر
لجريمة لرحته في إعلاء مقام تحكيم الذي كان موحوداً يومذاك

كان قد اضطرر للالتجاء إليها حينما تهدم قصره، ومن هناك، كما سيبتين فيما بعد، سلمه رجل يدعى صالح لك كان يمت بصله الدم لى بعض الناشوات لسابقين، وتحامره فكرة الحصول على الناشئة لصله يومذاك

وما إن حث وصاة الطاعون وأدبر شره حتى تقدم أنصار علي^(١) ناشد نحو بعداء لانتراع باشويتهما له وكان علي دث حذب، قد نصبه الباب لعدي لها وأقر على مساعدة دث الموصل قاسم أعا له كما يعتقد وكان لأنصار يتألفون من الشيخ صفوا^(٢) شيخ شمر لجرباء وسليمان عام^(٣) لرجل لمعاصر المصنف عصر القائلات، ادي استطاع أن يجمع لفقاً من ابعواء وبحلهم من أتاعه غير أن سكان لمدينة، علي م يظهر، م يكونو ميالين للترحيب به فربط اخلقاء حولاً لمدينة التي حولوا كسبها لفضل من جهة واماواصه من جهة أخرى، ودجينة كما تنس فما بعد من جهة ثالثة وقد سن كذلك أن البعض من هؤلاء المتحالفين على الأقل كان يبعث أدواراً مردوحة، يدس فيها مع داود ورما مع صالح دث أنصاً سما نطاهر بكونه يتقاضي من أجل علي وهذه الاتجاهات المتصارعة جعل لأشخاص اشلائة، الدين ذكرت أسمائهم، إلى لمدينة التي دعى قاسم دثا فيها أنه كفيه علي ناشا غير أن اسكاد وفعوا في وجههم وأحمر الشيخ صفوك وسليمان غام علي أن يودا بالفرار، وكان فرار الشيخ صفوك من در تقع على انهر الذي عبره ساحة إلى الجانب الآخر ثم فصر على لأحويين، وحسما نحلي عن قاسم دشم حرسه لحصن فاده أحمد أعا التصكجي ناشي، المعائد لود إلى شر قرية وألفاء فيها^(٤)

(١) هو الحاج محمد علي رحب ناشا الذي كتب مهادته ناشونه حب، وهو من انبار ندين يمتون للشركه بصله ويقطون في اساحل الجنوبي الشرقي من البحر الأسود وقد صدر لقوم من بعينه لباشويات بعداك وحلب ودبا بكر و لموصل في وقت واحد

(٢) سيني عريفة قما بعد

(٣) يقول ليرتكريك بهذه المناسبة : « غير أن العنف الحالي من الحكمة ادي أند » قاسم (سقط على بكر كما قبل) وسوء سلوك أخلاقه لشعير وبعمل سرعان ما =

على أن هذه الإحراءات المصنعة بالعلم كان من شأنها أن تعزز صداقة صفوك وسليمان بنام لعللي فحصر و لمدة لمدة ثلاثة أشهر، وصار مدفع اياشا الجديد الذي وصل إلى معسكره في هذه الأثناء يقصف المدينة من جميع الجهات وأخيراً، بعد صبر الأهليين وبدر شعصر من التجار كان يدعى اسحاق خليل إلى لاتصال بعللي الذي سُمح لقواته في إحدى السلي لدخول إلى المدينة عن طريق الباب الجنوبية

وفي أثناء هذه الإحراءات كتب كز داود المسكود لحظ، وهو يعاني ما يعاني من تأثيرات الطاعون الذي أصيب به فجاءه بأعجوبة، بعد أن نحل عه جميع من بقي من أهله ورحاله وحتى سائه عدا اثنتين منهن مسكناته إلى النهاية يقبع محتجماً في دار رجل بعد الذي يعرف بنف قره بزر^(١) وكان قد فرّ ملتجئاً إليها بعد أن تهدم قصره كما تمت الإشارة إليه من قبل. وقد كان قبل

= استمر هم لعدائين ولم يكن منهم شيء ثابت سوى ترددهم، فقاموا بوجه الجائرين وقد أشيع يومئذ أن قاسم باشا كان يولي الاحتيال على رقبته لحكم بغداد بنفسه... وعندما قرئ خبر عزل داود باشا على الجميع طلب قاسم تنفيذ ذلك في الحال غير أن مجلس الشورى - المؤلف من الصباط وأنصار البلد، أصرروا على تأجيل التنفيذ فدخلوا إلى الاجتماع في دار صالح بك، وجرى هناك سهم وشر وحب نحه قاسم

وفي صباح يوم الثالث عشر من حزيران ذهب قاسم إلى ديوانه وطلب إحصار دود، بعد من عثر لإحضاره حاسبين ثم سمع حلبة وخصوصاً في الحرج، فكان ذلك أن قوة من المماليك والأهالي والعص من أحاط بالسيرة وأصبح الحاكم الجديد أسيراً في حوزتها وعندما حاول أن يفر في الداخل ومريدوه في الخارج ألحقوا بهجوماً على المتجمهرين توسعت أعمال النهب وكثر إطلاق نار فصح مدافع من لعللة ومظالم المتجمهرون عبر السابل والمدحرجة وبعد ظهر اليوم استسلم قاسم أما سليمان بنام الذي بقي مسيطراً على جناح من سراي حتى بعد أشهر فقد سرق عدد حلول السلام حسم من سكن من حمله، ثم أصرم لئار في القاعة الكبرى وفر هارباً والسيف بده مر بالآفه والشوارع الخالية

(١) أي النص الأسو بالرك، وهو محمد ع من سرمي لاحتساب، وروح حسبه خادم

دلت الوقت يعيش في الدرجة الأولى على خدمات رجل يدعى سيد هدي. كان في يوم من الأيام من أصحاب الزوارق (سلام) نكه أصبح في الأيام الأخيرة من اللاندين المقيدين بالمشمسة البريطانية. إذ كان هذا الرجل يحلب يوماً إلى سمر المشاوح وحنة واحدة من امرر وبأحد لقاءه قطعة من النقود عدة. وهكذا كان سيد الثلاث ألف جدي السابق يعتاش في أيام محنته وهماله على يد رجل فقير من أصحاب الزوارق، وأصبح الآن مديناً بخدمته ولقيام بأوده خلال اعداد و لمرض لشخص متوصع من أصحاب الدكاكين.

على أن مكان حقه دارد قد أصبح معروفاً لدى صالح " ملك، الذي شاع في بغداد أنه كان يطمح بكرسي الوزارة منه، فبعث أناساً بأنون باشا المعروف إلى حضرته، غير أن صاحب السب و لساء اقترحوا على الثالث، وهم يتخوفون من عوقب سلمه أن يهر هارباً من باب في لدار تطل على شارع آخر وعرضوا عليه مساعدتهم في هذا الشأن كذلك. لكن لحياة وقد صالت مررتها عليه تأثير لمعاينة الشخصيه ولشعور بالحسرة الحسيمة وضرورة استعفي المستمر، قد أصبحت في نظر داود المسحوس الطلع عديمة القيمة بحيث لا تستحق أي مقدار آخر من الصبا والمغامرة. فرد المقترح بهوله. «كلا، إن المقارمة أو الهرب قد فات أو بهما، وسأذهب إلى أي مكان أدعى إليه وإني أي مصير يكون». فركب على حصان لأنه لم يكن يهوى على لسير، وأحد إلى دار " صالح بك لتي يشعلها الآن المقيم البريطاني وأقربه فيها أنا

(١) انجاح صالح بك هو الابن الثالث لسلطان باشا الكبير، أشهر ولاء اسمائيت في العراق. أما أخواه الآخرون فيهما صادق بك وهو الأكبر، وسعد باشا وقد دار صادق بك في أواخر ١٨٦٨م على داود باشا بعد أن التحا إلى عشيرة زيد بقصد ماصرته، لكن داود باشا صاحبه وعاد عنه فيما كان سعيد باشا وانما في حدود قبل دو وأساء لتصرف في الحكم وثار عليه داود بعنه فاستولى على بغداد بمساعدة محمود باشا بابل في السليمانية وقتل سعداً وتسلم اناشويه في مكة والمعروف أن داود كان قد تزوج ستاً من بنات سليمان باشا الكبير تحت الإحوة الثلاثة هؤلاء.

(٢) كتب هذه الدار في مكان مديرية كركك بغداد الحالية، وقد جاء في (عنون محمد) =

صعباً عليه في الوقت الحاضر وهذا استقيل باحترام وتقدير لكن مصيغه، أو بالأحرى أسرته، سرعان ما أطلعه على محادثته لكي يقصد بها الحد المناشوية إليه هو نفسه وطلب منه أن يساعده في ذلك. وبهذا يستطيع القاري أن يحصل على فكرة حسنة عن عقلية داود ومكانته في الإصح، حيث إن المؤتمر الذي بدأ بشكل يهدف مصلحة الناس السابق ويعمل صدها قد انتهى برتب يوافق فيه صائح بك عن إعداد داود إلى العودة وقيامه هو برشعال منصب الكهبة في معينه.

نكر هذه الرتب كلها قصص عليها حياة لحاح حيل فقد أصبح عني الآن سيد لمدينة إذ حثها جله لكه لم يجد من يعتمد عليه فيها ولذلك بحث بإحصاء داود باش إليه في الحان، واستغفبه بكر ما يمكن من المرحله قائلاً له بأن بأمن عني حياته، لكنه طلب إليه أن يشد لرحا إلى استاسول التي ستكون حياته مصمونه فيها كدب ثم أثير لاشا الهابط من عليائه بأنه حر في أن يأخذ ما يريد من ثروته وممتلكاته، ويقابل من يشاء ممن بقي على قيد الحياة من أسرته. وما لا شك فيه إن هذا الفرق تجاه خصمه لأخير كان متفقاً مع الأوامر التي تلقاها عني باش في استاسول، لكما عني أن لا سكر ما نه من الفصل في هذا الشأن فقد كان يوسع به يتعد هذه الأوامر شيء أهل من المجامه - وكان يوسع كذلك، حتى من دون أن يورط نفسه شيء، أن يجعل تلك الأوامر غير نافذة لمفعول، لا سيما يحتصر بحدة داود نفسه لكه أمدى

للعيدري بشأن هذه الداور. ومنها بيت السيد رحمة الله أغا البجيه جي، وهو من البيوت القديمة الربعة - ثم ينزل منهم أحد، واهم صارت لصالح بك رجل لم حرم سيمان باش ولي بغداد ثم صارت لتقصي الإنكليزي وفي رواية أخرى إن لاسم باش معمري حير دخل بغداد فر عني دص باش وذهب إلى السري طلب إحصاء داود باشا من عند صاحب بك علم بلب طمه، فركب دوراً في مساء اليوم الثالث من دخوله وذهب إلى دار صالح بك، فكانت عن الشط (وهي الد التي صارت إلى د - دله بعد ذلك وإلى يومنا هذا) وصالح تسميه إليه ولعل أن رس معاً كانت لصالح بك.

كل ما كان عنده من رفق فحمل داود معه بلا شك مقداراً غير يسير من ثروته التي كان من الممكن لعللي ان يستولي عليها لنفسه باتباع طريقة أخرى على أنها كانت شيئاً قبلاً من الدحية لسمه، وربما كانت بصحبة سمسه منه فإن البعنة التي كان عليه ان يلعبها يومذاك كانت تنطوي بالتأكيد على المصالحة والتساهل - لأن المصادر التي أحراها من بعد ذلك كانت تكفي لتعريضه مما فاتته في هذا الشأن.

ولم تنزع على دست الحكم بهذه الطريقة احدى علي نفسه أسلوب المصالحة والتوفيق كما قبل، لكن عرصه لأول كان ينطوي على نية جميع المعروفين من أنصاره الأحرار عن إخميدان فالتجأ في تلك من دون تورع إلى لطيفة لشرفية الاعسارية، وهي طريقة العسر^(١) والاعسار الناحية باستمرار على ما فيها من اختلاف وتفاوت في الشكل والتصيق، وحرصه كل الحره التي ينطوي عنها والحسد الذي يثيره الاستعانة بها وقد عدد من الكرج، الذين طموحوا على قيد الحياة وعملوا في قوة الحرم، أو كانوا صراطاً وموظفين في معية داود باشا، قد توقعوا هبوب العاصفة التي ستهدف رفاقهم بعد ذلك هزوا هارين من مدينة لكن عدداً ساهر اثمانية عشر أو عشرين منهم حل مقبلاً في مكانه ومن حميتهم صالح بك الطامع الأخير بالناشوية فدُعِيَ هؤلاء في يوم من الأيام معاً بحجته لاستماع لقراءه القرمان الصادر بإعفائهم الذي وصل مؤجراً من اساسون على ما قبل وقد حضر كنهم تقريباً إلى ديوان الباشا، ما عدا صاحب بك نفسه الذي كان مريضاً أو مرتكباً من لدعوة ومعد عن الحضور، فقبلوا بأقصى ما يمكن من المحاملة، وتناولوا

(١) أم كان حظه لقضاء على سمسلك في بعد د من بذات أفكار علي رضا، وربما كانت حظه سمسله أمره بتفقدتها المراجع شخصه في ليات العالي لأن اللدونه عثمانية كانت قد ضاقت ذرعاً بهم وأرادت أن تضع حداً لاستغلالهم صها. ويقول لوتكريك في هذا الشأن « ومن بعد ذلك قربت الأوامر الاسمه الصادر من اساسون التي تسرع هذه الاعمال لروحبة مع ما كان فيها من حكمة وصلت كل مملوء داخل المدينة وخارجها »

الهوة والجيو، ويسمى كان الفرمان على وشك أن يقرأ دُعي اساشا لتناول
 الصطور في الخارج، فكان ذلك بمثابة إشارة لبدء بالمجرره إذ قام رجل
 يدعى علي أعا ودعا ليمياً من الأرباؤوط الذين كانوا قد أُعدّوا لهذا العمل
 على أن هؤلاء ظلوا ساكنين مترددين، لأنهم كانوا حسب ما يظهر غير راعين
 في هذا العمل أو أن طبيعة هذه لخدمة قد فرغتهم فصرح بهم علي أعا
 يقول «ما بالكُم؟»، «لماذا تترددون؟ اصبروا - فإما أن تقتلوهم أو تقتلون
 أنتم»، ثم انتهى سببه هو نفسه بضرب الكرّحي الذي كان يجلس بجده
 وحينما كان المساكين يهيمون بالوقوف ويسلّون سيوفهم، بعد أن أدركوا في
 وقت متأخر صبغة الدعوة والأمر، ألقى علي أعا بنفسه على لرجل الذي كان
 قد حرقه قس أن يتمكن من سلّ سلاحه، وبادر الأرباؤوط في اللحظة نفسها
 إلى إطلاق النار من مسدساتهم وانقضوا على الذين لم تصبهم الطلقات وقد
 كان لمرأى قصير الأمد، فقلّ لكرّح كدهم، ومنهم من قتل في مكانه ومنهم
 من قتل في أثناء هروبه بعد أن أبدوا مقاومة عيفة وهكذا، تحلّص علي باشا
 من آخر علمان داود

ويكاد يبدو من العريب الذي لا يصدق تقريباً أن رجالاً في مثل مرتبتهم
 لا يستطيعون أن يتكهوا بوقوع محاولة مثل هذه، فيبادروا إلى الفرار والنجاة
 بأنفسهم كدهم لكنا يجب أن نذكر أولاً أن الهرب إلى بلاد بعيدة معادية له
 أخطاره ومخاديره، ويبدو من الوجهة الثنية أن بداير عبر عتياديه كثيرة قد
 اتحدت لتصليل الصحايا في هذا الشأن ومن الممكن أن يذكر هذا على سبيل
 الحكم على مقدار العدد والحيانه لمطربين في هذا العمل، إن أول شخص
 صرب في مشهد الدماء هذا هو رجل^(١) كان قد هرب من خدمة داود و لتحق
 بعلي باشا في حلب ثم رافقه من هناك بصفه كونه كهيّة للباشا الجديد، وقد
 حصر إبي ديوان اساشا بهذه لصفة - هذه هي أمانة العثمانيين، و حواء الخدمة
 في تركيا

(١) يقول صاحب «مرآة الزوراء» إن سمائيك المرددين الذين كانوا مصححة علي رضا
 باشا هم رسم وسعدون وأبو بكر، وقد حثوه على قتل داود

ولم يستقم هرب صاحب بك مدة طويلة من امره. فيه بطريقة مماثلة قد
حرى تصنيفه سبيل من الألفاظ ولإنعامات فكان يمشي في حدم من الأمانة
لوهمة الحداء حتى حدث ذات يوم، سما كان يمر في صريه من مكتب
لكهية إلى عرفة الباشا الذي دُعي للمشور بين يديه، أن قصص عليه فجة في
المر الضيق ومحب جانباً فأرهقت روحه خفقاً^(١)

ومن اعصاه أن أعمد هـ إلى أن آني بالتفصيل على وصف أسلحه
الملاحقة من أعمال العدر و لجملة والجشع التي أعقت هذه الحوادث، ولا
أرى أن أطالب بشرف تدوين تاريخ علي باشا لكي أود أن أقول إنه ما كادت
تنفسي الفترة التي كانت تسمح بمرورها الفظة ويحتمها لحصر حتى
صودرت^(٢) جميع مسكات لدين كان لهم أدى اتصال بالرائد السابق،

(١) إن رواية لوكريك تخلف عن هذه، فهو يقول إن صاحب بك وقع من ظهر حصاه
تقتل أمام الدار التي حكم فيه بعد - عدة أسابيع مضطربة أما سلمان فأنه بب
بيور في (تاريخ بعد الرواية قتله بشكل آخر وهو يقول "لقد كان الحاج أبو بكر
تكميخا السابق قد أرسل قبل الحادث من يسدعي الحاج صالح بك لحضور إلى
دار الحكومة من هذه التي كان قد اتجهده مسكاً له أيام لعصيان، فلما حصر أحده
إلى مكان آخر ولما أطلقت المدافع إلى أن سعي الحطة الحرسوم تقدم نحوه وطلع
حبل حياته

وبقول أحد الدير حصوه هذا المشهد لمعرب إنه كان ماراً باتحاد تمديد شاهد
جمع من الحدود المدحجين بالسلح في حلق دار الحاج أبي بكر أحد هذه القرب
من الدار أصبح الحاج صاحب بك بحرح راكباً وحده اضطراب طاهر، ولما وصل
إلى خارج الباب خشد حوله قسم من أولئك تجود وأمره فسم أوقعوا به صراً
وطعناً وقد سمعه يلفظ بكلمة أمست بالله وملائكته إلى حره ويردها باضطراب ثم
أعقبها بـ شهادتين وحر حريماً، فتقدموا منه وخرو رأسه وأحدوه وتركوا حثته في
أحد الأرقعة مكشوفة ومصروحه على الأرض ولا شيء يسر عورته" ومما يحذر
ذكره أن سلمان وثق بك صاحب هذه الرواية عصر هذه الحوادث وكان في يفاً
حيث وقع، وكان يسمى لأوساط الطبقة الحاكمة يومئذ

(٢) كتاب حوادث العديب و سبلاً لخرمات لي سمعت في مصادر الممتلكات مساً =



باب المعظم في بغداد في بداية هذا القرن

واسم وضع الد عليها حتى ~~يوصلها~~ وليست هذه سوى حوادث عتيدية لا بد أن تحدث عند تبدل الحكام، ولا تلتف اسطر إليها كثيراً إلا من جانب الفرقاء الذين يهمهم الأمر كما لم يكن هذا أسوأ ما حدث. فقد فرضت رسوم باهظة على المجارة، وبرك الفلاحون بكونوا تحت رحمته لتعسف لدي كان يمارسه خدام^(١) الباشا، ووصفت التأثيرات السيئة لسياسة إدارته العمة إلى درجة

= هي ثورة على العني جميل مفتي بغداد يومذاك عني باشا (علي رضا)، وقد أيدته في ذلك معظم محلات بغداد وخاصة محلة قنبر علي وكان السبب لمباشرة بثورة ما شمل أسرى، أهوان أغا، أحد حمايك المقتولين، من تعذيب وإهانة فقد استجارت زوجة هذا انقبيل بالمفتي على العني جميل زادة، فأجاره واصطدم بالباشا نفسه

(١) تذكر بعض المراجع من هؤلاء حمدي بك المهردار صهر الوالي نفسه، وملا علي الحصري كاتب مقاطعه الخالص، ومحمد انليالي، وعلي أها اليسرجي وعبد القادر ابن ريادة الموصلية، وعثمان سيفي يث، وحاج أنسي أي أسعد ابن الناب كهيبة عني رضا باشا

أصبحت فيها البلاد يناماً قمرًا، تعشاء القنائل لعربية في كل مكان، وتعث فيه
إلى حد أبواب المدينة نفسها أما مالهته ووارداته فقد هبطت إلى حد لعدم
نسب من حيث اعتمائها على الرزعة، بينما كان الرعب ولمفت لشخصه
وحكومته يتحللان طغقت الناس كنهه بامسئله المخلوقات التي كانت تحيط به





(٧)

مظهر المدينة من دحل الأسوار وخارجها - سياسة علي باشا - شمر جربا - محاصرتهم بعدد
دعوة قبائل حرة - حرقهم دور أصول - رقصهم لانصراف - محاصرتهم للمدينة - اشتداد
جند الناس وحلفائه من العرب مع حرة - اندحار جند الباشا ودبح شيخ الجربا - التجاه سكان
المناطق المجاورة إلى بعدد - الحمير البيض (المطايا) والميد لسود - مخادع النساء
وعاداتهن - المحوهرات أشمالهن رياتهن أصواتهن سلوكهن العام

ليس بوسعك أن تحسبي، ناسية لنظروف لي نيت على وصفها في
رساتي السابقة، أن يكون بعدد متشحة بحمل الأزدهار القشبية حينما دخلت
إليها. فقد فضحت أول دكة ركنها للتحوال فيها أحياه، التعمه التي كرس
عليها، وكشفت للأفكار الأثر العميقة التي خلفها ذلك القيص من الكوارث
التي عمرها في السنين الأخيرة. فهي ما وراء المجموعة الصغيرة من لأسية،
التي سميت قائمة بعد لعيسان والصاعون مشرعه، بمدتها الحرب المسمم،
وتقوم فجأة من وسط الأة صر ها وهالك بعض الدور الجديدة كما تقوم
الأشباح من بين السكر لمقصور. ومن لعريب أن فسحا كبيرة من لأرض
قد انحسرت بتأثير الماء المتراكم وصعته فكوب تجاريف وأوحار عميقة ما
ير لسانين التي تملأ مساحه عبر يسيره من القسم الجنوبي من المدينة
ولذلك فإني أقدر أن ما بقرب من ثلثي لمساحة التي يتكوّن منها الجانب
الشرقي من اسهر قد حرد هذا التجريد من الأسيه القابله للسكن وقد أحدث
حتى الأسيه التي طلت قائمة تظهر عيناها الآن التأثيرات لي أثر فيها الماء على
أساساتها بوجوه الكثير من لشقوق الخطرة سيما تكون لجهة المواجهة
للنهر، على مطرها الحصن لمؤثر في المصوم الذي يبدو فيه من بعيد، في
حاله شديده من التصعصع واتصاع هي الحقيقة فقد استوى لحارب بالكية

على قصر دود دشا الذي كان يشعل موقعاً فسيحاً تمتد إلى صفة النهر وقد بدأ لباشا لندى يسكن الآن في دار كان يشعلها ابن من أبناء العشوات المتأخرين، في الأيام الأخيرة. بعودة تشيد لسور العائد لقصر دود يحسن منه على ما علمت نكة^(١) لحدوده.

ويس لمنظر في الجانب الآخر من النهر مما بعث على شيء أكثر من هذه بهجة وسعشاً، هو الجزء الذي يشعه الآن الأعراب في الدوحة الأولى، بعد أن كان يحتوي في السابق على دور كثيرين من الأتراك الموسرين، لا يزال أكثر مهدماً وحراناً من الجانب الشرقي إذ لا يمر الراكب هناك إلا من بين حدران مهدامة أو مائلة للانهدام، وأتقن كان في يوم من الأيام كسنة كثيفة من المكنى أما سور لمدينة في كلاً من سبب فهو مهتم كذلك ومدمر، ولا يزال يظهر فيه لشعاب الكبيرة التي دخل منها ماء لفصان إلى المدينة على نفس الحالة التي تركها فيها الماء المتدفق يومذاك

وبعد المطر خارج الأسوار في حالة قريبة من لوحشة والاكتئاب - فهو يعد في الحقيقة مودحاً لم تكون عليه الحالة المحاصرة في أنحاء النشوية كلها فبما عد صفوف النهر التي شمر فيها سائيل لجبل^(٢) إلى امداد أمان ثلاثة من كل جهة تمتد سهول أحرد من جميع الجهات حتى تصل إلى أبواب أسوار نفسها من دون أن يجد شيء سوى الأفق البعيد ولا تذكر أن هذه المدينة تسعت فيها سجاد في الوقت لحاصر بوحود حمام لأعراب ومباركهم، وقطعان الأعنام واهشيء، رجاعات الإبل، وحركة لذهاب والإياب لكثير من الحياه والراحلين ولكن حتى مصهر الحدة الوقفي هذا واضمحج الحاصل بسجته ذلك يُعزى إلى ضغط الحصار الذي تعرضه الظروف الحارجه على المدينة

(١) قد يفهم من هذا أن قصر داود ربما كان في موقع نقشه التي تضم درارتي المائلة و بعدلة في الوقت المحاصر

(٢) جاء في النص ٤٣٢ من الجزء الرابع من رحله أوليا حسبي لندى « بعدد في ١٦٥٦م أن جانب الكرخ كان فيه في تلك السنة حوالي ألفي مستان وحده تحيل معمورة، فعلاً عن كتاب النحل لعباس المعروف

فقد كنت ذكرت عند وصولي إلى المدينة لأول مرة أنني عمت بأن قبيلة من انضائل العرصة لمعاديه كانت تحجب بالعرب منها على أبي بن أكر أعرف يومذاك كم كنا قريبين من مشاهدة موقعة تعندم بين الأعراب أنفسهم فإن فتح سبسه على باشا، نمتة مثل سياسة أسلافه وانكثيرين من الحكماء في الشرق والعرب على قاعده «فرق سده الحظرة على الدوام، قد انتهت في هذه الحانة وتركته في وضع حرج حاداً فقد كان يعمل كم أسلافه، لذين كان بعض منهم على حاسب من القوة بحيث يستطيع أن يبصر حباغياً على لبائل العربية العديدة المحصطة به، أن يردعوا بدور اشقوق سبه، ويحر كوا قبله على أخرى حينما كانت تهددهم إحداه أو تضعط شدة عليهم وهذه في رأيي سياسة حظرة ما لم نسايلها فوه تكفي في انوف الحرج لجعل الـ سي لمهمين في معزل عن الاحداث الفجائية المؤسسة ومسطراً عليها و قد سم نكن في يله قوة فإنه من المحتمل جداً أن يأخذ كل فريق بالاعتداء وانتجازه على غيره، كما هي الحانة في وضع على باشا اليوم، وبعث دور لصديق واعلوا بصورة دورية حتى يقب من كونه حادماً وحينئذ إلى سيد مسيطر

إذ كانت قبيلة الجربا^{١١} قد حياء بها إلى لقسم شمالي من الدشونة

١١) يلاحظ في هذه المرحه أن صاحبها يكرر كلمة حرباً ليعني بها عشيره شمر بصورة عامة، وبعد شمر من أمة عشائر العرب على الإخلاو، وبن موطنه لأصبي في بحد بين جبلي اح وسلمى ثم هجر قسم منها إلى العراق وهذا سكن بعضهم في الجنوب (في لواء الكوث ودنالي عالي) وهم شمر طوالة وسكن القسم الآخر وهو الأكبر في ديرة واسعة من شمالي بغداد إلى منطقة جبل سحر حيث يوجد القسم الأعظم منهم في نوب لحاصر، قد كتب ولا تزال برقائه في هذه القائل إلى كة محمد و الجرب، ولذلك عد هذا الاسم عليهم في بعض الأدوار ومنها الدور الذي وصل به صاحب هذه الرحلة إلى بغداد على ما يبدو من تسميته. وقد جاء في الجزء الأول من (عشائر العراق) أن هذه التسمية قديمة ترجع إلى أسرههم الأول الذي يدعون به ليلان (أكل محمد)، والجرباء هذه أم مالم بنت محمد نعد كور. ثم ورد فيه قول المؤلف «والجرباء من ومن إليهم من مهدي وعرب لا يراون ينسبون بأمثال هذه، يقال إنها أصابها مرض خلدي فركها أنها ورحلوا إلى

تساعد باشا الأخير على طرد عشيرة أخرى من عشائر المصوص وقطع
لطرق. وكانت الخدمات التي قدمها الشيخ صفوك علي باشا قد أهله، على
ما يرى هو، لأن يحظى بالمريد من الشمامخ والامتيازات لكن علياً كان يفكر
بفكر مختلف عما كان يفكر به رفيقه لسبق في هذا الشأن، فرفض مطالب
صفوك وهدده بالسخط عنه وعلى أثر ذلك تراجع أولاً إلى القسم الشمالي
من بلاد ما بين النهرين. وحينما قطع الطرق وبنهاه نقوافه ويسب الشيخ
والمسافرين ولأجل أن يعرض على سيده السابق مودحاً من قوته وسطوته،
حين بعد ذلك بقيته كنها وأحلق بعدد نفسها^(١).

قطب المدينة محاصره ثلاثة أشهر، وصارت القرى المحيطة نهت
متى شاء وأراد هذا النص الجند، من دون أن تدرأه معارضة به من جانب
الباشا - والحقبة أن الباشا لم يكن يملك التوصل إلى الازمة لذلك وهي نهاية
تلك المدة فوّض لأعراب حياهم على حسن عونه واحتتموا عن الأخطار. وليس
بوسع أحد أن يعلم ما إذا كان السب في ذلك تنافس لعلب وقلة السب
المتسرع، أم ظهور عوامل أخرى في الأفق وبذلك وجدت بعدد نفسها هي
صاح يوم من أيامها لجميلة مسخرة من روارها المرعحين وتراجع صفوك
إلى مشارفه في شمال العراق لكنه وعد بأن يعيد الرياره في السنة التالية،
فأخاف الباشا بهذا التهديد بحيث إنه بحث بطلب مساعدته غيره وهذه عشيره

= موطن خروجه بعدد خبرها هذا الاسم « وقبيلة أمهم على ما هو معروف محفوظه
فهي من النصوص من طي (من بي لام) وتتألف أسرة الشيوخ من خمسة عشر ابناً من
بناء فرحان رش الذي توفي في أواخر القرن الماضي (تاسع عشر) وسحصر الرئاسة
لأن في أبناء عجيل لاور وهو ابن عبد العزيز من أبناء فرحان المذكور

(١) كان المعروف يوماً ذا - على ما ذكر بعض المؤرخين أن صفوكاً شتت مع علي
صا باشا فاستغل هذه الفرصة يحيى بنت الحللي راني الموصلي وحرره صا الباشا
في بغداد. وقد ثبت ذلك حينما وجد بين الأسلاب التي تركها صفوك، بعد أن دحره
جاء باشا بالقرب من الكاظمية، كتاب خاص موجه من يحيى باشا إليه يعلوي على
لعلاقة التي كانت تربط بينهما

أخرى قوية جداً، وقد وعدنا الباشا شسيم أراضي البحر لها، إذ عملت على طردها منها. ولم يعتمد علي هذه الوسيلة وحدها بل حاول أن يحدث انقساماً في قبيلة لجرما نفسها. وباستعمال السلطة التي كان يدعي بها أسلافه، مهم كانت اسمها في حاضته هو، في خلق من دفع احتياله عليه وتصبية لمشبعة أقدم على ترشيح شاب اسمه شلاش لمصب شيخ عشيرة البحر. غير أن عدد قليل من أفراد العشيرة فقط اهتموا لهذا الترشيح، بينما تمسك القسم الأكبر والأهم منهم بشيوخهم القدامى صفوگ. يكن عمره، وقد أسال لعبها في الوقت نفسه مضمح التمتع بمراعي البحر المبرعة، جاءت عليه أساء بما لا يقل عن خمسة وثلاثين ألف محارب يصمموا الغصاة على حصرهم وما حل هذا التوقف حتى كانت مخاوف الباشا ومحمه شلاش قد رأت مرجع صفوگ لسبب أو آخر إلى صفو أنعم هارم من سموه من بخر حلفاءه لجدد بأن خدماتهم لم تنف بها حاجة ولا أظنك تعجيب إذا علمت أن عزه، التي انتعشت فيها الآمال القديمة وجاءت من مناطق بعيدة في البداية يشح بها خير ولعشت، قد أعصتها هذه المعاملة التي عوملت بها فقد رفضوا معاداة مكنهم رفضاً تاماً حتى يكون الباشا قد نفذ من جابه لالرم الذي نلزمه به الاتفاقية، لأنهم قد قاموا من جانبهم بما كان يترتب عليهم أن يفعلوه واحتلوا موقعاً في حوار المدينة يؤدي إلى أضيق مسافة من لحريرة لي بحجر من دحية والهرات تأكيداً على ما قر رأيهم عليه

وحسبما استشرت محاور الباشا هذا العمل من حشد دعي محبيه شلاشاً بمساعدته في الدفاع عن بغداد وصد عيرة عمره. يسمد دم هو من جانبه بتشديد حبشه اسؤف من صنع مئات من لحاية الأنيس، والجند الطاعين، ومداقة مع المدفعية ليسعروض أمام عيرة ثم أطلع شلاش لأوامر وحاء يفرق العشيرة لتابع له إلى ما يقرب من بغداد وباشعور الذي يتسير به العرب عداً عمده حتى لشيخ صفوگ نفسه، الشبح المعادي له، إلى بغداد مفردة تتألف من ألفي رجل لمساعدته في هذه الداسة. وكتب إلى شلاش يقول: «أما وأنت عدوان متحاصمان، ويمكن أن نسوي لراخ سنا في موسم مناسب. لكن شرف العشيرة في الوقت لحصر قد يعر من الخطر، ولا أستطيع السكوت عن ذلك

ما لم أقدم معروفي للمحافظة عليه على أن المساعدة كان يمدده عيشاً، لأن
 غيره كاتب أقوى من أن يستطيع الجربا مهاجمتها سحق حتى لو كانت لعشيرة
 كلها قد عشت يهد للعرض فقد وقعت مساوشت طميمة يادىء دي يلم من دور
 أن يكون لها تأثير مهم في كلا الفريقين، ولكن في اليوم الذي سبى وصوبى
 إلى بغداد نفسه أدب مساوشتة من هذه المساوشتة إلى وقوع اشتاك عام على
 حد التعابير التي يستعملها العرب على الأقل - فاندحر أباشا وحصونه في هذا
 لأشراك اندحراً بأمأ، وقعت فيه حتى المدافع لمدة م في أيدي عيرة بكر
 ثقل الحروب والحصارة وقع كنه على عاتق الجربا التي قُطع شلاش شيخه
 الجديد برباً بأفبها وحسرت من رحل، على ما يقال أكثر مما وقع في ية
 حرب عربة مدة عدة سنين حلت. وبدفع من بعض الاحترام لدقي لسلطة
 السطام استنقت عزه جند الاء والتفتت باستقامتها إلى أعدائها من العرب
 وقد كان مضمون لهوسات المنعنية في الموقعة «خل السطام واقتل الجربا»
 وهذا ما فعلوه في الحقيقة ورافق أم الفافع فإن ناز الدية الجهال لم
 يكتوبوا بفهمون على ما سبوا أي الاشياء كانت هي، وعلى كل حال فقد كانوا
 يجهلون كمية استعمالها وبذلك تركت في ميدان المعركة حتى استعاده جند
 الاء، الذي شجعه روى العدو به، من دون معارضة وتقهر راجعاً بسرعة إلى
 حيث صدر يحتمي بسور المدينة.

فعلى مثل هذا كاتب الحاة العامة في بغداد حبيب وصيت إليها وإن
 الحوف من عيرة قد دفع كل قروي رستاي، وجميع القائل العربية لصغيرة
 التي كانت معودة علم البرول في لربف لمحظ سعد، إلى داخل الأسوار
 وصطر جميع من كان يملك قطعاً من لاعام أو المشية أو الحمام في
 المناطق المحواة إلى أن السحى إلى داخل السور يصب فشتل الفسح الوسعة
 التي خلفها الميضان، وهذا من شأنه أن يصيب بالتأكيد إلى تكاثر الناس وتدفق
 الحاة في الداخل، لكنه أبصاً يريد بصورة مرعجة في الصوصاء والهوصى
 المستحكمة في الشوارع. وهذه القطعان من لحيوانات هي التي كنت من قبل
 قد ألمحت إلى مرودها في رواحها وعدوها من تحت شباكي في كل صباح
 وحبيبها كما يحاول في لصاح لباكر أن يمر من بعض الشوارع أو حرج من

أبواب المدينة كما تحسد أعسا على الأمر والتحمل لدي كما سديه قل ان
يستطيع المرور ألسب هذه صورة حملة لولاية كان يحب أن تكون من أعظم
الولايات، ودمراً وبتحاً في الأمر طوره التركية جميعها؟

٢٠ تشرين الثاني

لقد ركنا وتحولنا كثيراً منذ أن دوت آخر تايح يومي إليكم، فقد مررنا
بجميع المحلات لمسكونه هي بغداد وربما معظم المشهد، التي نستحق
إبراره والانتهاك وكان من بين الأعاثر التي ردها مرقد السيدة الطريفة،
سريعة الحاضر، رعدة روجة هارون الرشيد عمي نبي لمر سدي ما أعلى
به على هذا المرقد سوى أنه تألف من مرج مستأق مرقد هي شكله يشه
المسلة، وحصل على قاعده صويلة بشعة جداً، ويحتوي حجره لسفلي منها
على مكد نقر نكسي لم أدخل إلى الداحر لأرى ما يوجد فيه فإبهم ها
سبون اعتراضات كب أرعب في تحشيتها، خاصة وقد كنت رعني في
استطلاع امر قد لإسلامة قد حصل دونها في مناسبات كثيرة من قبل وسوف
لا أعود إلى تسليتك بالأكبر ودمشاعر اتني ربما تكون قد حطرت في فكري
عند زبزي لهر هذه الحساء الشهيرة، التي نقرن كلها باسمها بعض ذكريات
الشباب لمصرحه، مع أن الأيام اسي كانت تجلس فيها ريدة وتسلي نفسها
بالاستماع إلى القصص والمعارات كما كان يفعل روحها وسيدده لم أستطع
تحيلها ألسي نكر قصه الحليفة قد حصر من الوجود، وأصبح حتى موقعه

(١) كان الرحالة نيبور أول من أشار إلى أن هذا القبر هو قبر ريدة روجة هارون الرشيد
حيما زر بغداد في ١٧٦٦م وقد أورد نصر الكندل الذي يؤيد قوله هذا نكر
لا تكون مصطفى جواد يرى غير هذا الرأي في كتابه ادخل خارطة بغداد ص ٢٠،
صلى أسس أن ريدة كتاب قد كتب في معاصر قريش أي في مشهد الإمامين
الكاظمين وهو يقول إن الف المددوه هي ربه دمرد حاوون روحه بحيف
الم نصي، بالله وم الحيفة النصر بالله الله لعاسي المتودة ٢٠٢٢ = تصريح
عدد من المؤرخين

مجهولاً ورحل المجدد عن هذه الأرض، فاحتفت الروحانية التي كادت توحى
لأسائها وساتها العرب والقوة بهم في مجالات أخرى، وعلى هذا فليس ترك تربة
زبيدة وتلفتت إلى مناظر أخرى

ومن الأشياء التي لا بد أن تلفت نظر العريب في تحولاته معداد، إلى
حسب تعدد التكبير من الأعراب الذين يتوحدون له على الفطرة، كثرة الحمير
للضر (لمطاي) ولعبد السود بضعة الذين تعج بهم الشوارع والأسواق
جميعها من الناس يقولون هذا بقالاً شديداً على الحمير البيضاء ولا يستدلون
هذا بأي لون آخر ولذلك فمن النادر أن نجد شخصاً له مبرة محترمة، وحلاً
كأن أو امرأة، وهو يركب غير هذا حيوان الأبيض، هذه الطبقات العسكرية
التي تحتقر أي شيء يدل على الجواد العربي لأصين ويفضل لمثقف، ورجل
لدير هذا حيوان الذي تكثر فيه ابوداعه، وكذلك تفعل السادات كلهم.
ولذلك فإن عدد الحمير التي تسخر للركوب هذا كبير جداً، ولما كان ساء
لطعامات لرفيعة في المجتمع نادراً ما يتحرك من دون أن يصحبهم عدد كبير
من ساء لحاشية لتأتي يركب على الشكلة نفسها، فهذه حينما يقمن برعاية
اليوت المجاورة بصبح صوت الجوقة الشهيقية شيئاً غير محتمل وهذا النوع
من الحمير ينتمي إلى عرق^(١) أصل خاص، وبما أنهم عالية جداً - فلا تعد
منغ لأربعين أو الخمسين يارباً استرالياً ثمناً غير شائع بالنسبة لحيوان من هذا
النوع كبير الحجم. أصل العرق، دقيق الخطى، وتُرخت هذه الحيوانات
ترحباً بديعاً، ويشق سحر كل منها، كما يصنعون في إيران أيضاً، لأجل أن
يصبح أطول نفساً في عادة - أن يصنع هذه الحيوانات يعلم الله على جانب
كافي من الطول حسبما تأخذ لديهم!

ويشيع انولع بالعبد السود هذا بقدر لولع باقضاء لخمير البيض، وقد ما
أرد أن يحكم بالمظاهر بعد أن قيمة هؤلاء تزداد بزيادة الفصح الذي يتحلون به

(١) وهو عرق الحمير الحداوية المعروف الذي ظل يعمل للركوب كما تستعمل
الخيول إلى ما قبل سنوات في بغداد.

كما هي لحاله في كلاب اترير (Terrier) التي يطوي حسنها في قفحها الخاص المعروف «بأبي أولئك الحسان السود، الأش والدكر منهم، من مدعشقر وربجار علماً، حيث يحبرهم في لأعم الأعاب أمام» مسقط - وهو حبيب من معتبر من حلفاء يقص في يده على جميع الطرق التجارية تقرباً وكلهم دوو شفاء عبيطه، ووجوه عريضة، وعظم نارية في الوجه، وأوف قطس لمعاية، ودقون صغيرة مستدقة، وعيون بضاء محدبة، وجنود سوداء عظمائية وإني وإن كنت أعتقد أن يكون عن الدعوة إلى عسر الحسد بوجه عام عسراً مسقطاً عن لبص في الذكاء لوجود بعض الفروق لتشريحية لطيفة بين العرب، لكنني أفوه إذا كان هؤلاء مدحاهم الله بالكثير من الذكاء من العناية الإلهية به يكن سرهم مطلقاً أن يودع ملكات الذكاء في هيكلي أهل عرفة من هذا على أنك تحدهم ما مفصّل جداً على غيرهم من لحدام في الحرم والأماكن الأخرى للشوارع تعج بهم، وحنودهم الصفيّة، وأرجههم الضحمة الدماغة، وملابسهم الوهية، تعود إلى الاستتاج في لحدام بأهم يعمرون في حان مبسرة على أن هذا ما يدعو إلى الاستغراب ذ ما أخذ في صرء ما يعرف عن الأتراك ومعظم لشرقيين من فوفية تجاه عسدهم كما أن اتبحر الوجه، واللغة السليطة التي تصدر من أولئك لسفهاء السود حينما يمررون في الشوارع، لا تدع مجالاً للشك في كونهم محاسيب مدللين لبعض السادة المتطرفين في انتماء على أن اتمتع بهذا النوع من اسرف يقتصر على المسلمين فقط، لأن أي مسيحي أو كافر من أي طقة كانت لا يسمح له انعان ناملاك في نوع من العبد وليس هذا هو المصع الوحيد الذي يُعبر به المسمون على غيرهم هـ، فإن المسيحي و ليهودي يجمع قدوناً من الركوب في اشوارع ولذلك لم يحراً اليهود ولا انصارى في أيام داود دشا على اظهور وهم يركبون الحبل أو البغال أو الحمير، غير أن هذه الماعه أحدثت تكسر أحياناً في عهد علي باشا الذي سود به لرحي ولا أرمي

(١) كان لإمام في مسقط على هذا العهد السيد سعيد

بحاجه إلى أن أصيب على ذلك فأقول إن الإنكسار، والإفراج بوجه هذه،
يعمون من هذه لقيود ويستطيعون الركوب بحرية كما يشهرون.

والخصيصه الأخرى التي يتميز بها الجمهور الذي يعيش الأسواق عادةً
لأشباح، المنشحة باللون الأزرق^(١) الغامق والمقنعة بالأقنعة السوداء، لي
تمر محتذيه أحذية^(٢) صفراء صغيرة خاصة، ويقال لك إيهن ساء وهن يعنم
للّه، حين يظهر مشكرات بهذا لشكل، أشبه بأي شيء آخر علما، الجس
للطف من المخلوقات فإن هودتهن الرداء العمقة، أو القماش الأزرق
والأبيض الذي يلفهن من ارس إلى لقدم بحفي لشكل ونداس إحفاءً فعلاً،
بينم يقوم البرقع الأسود (البيجة) المصنوع من شعر احسن للمسوح سحاً
خفيفاً يحجب اوجه عن أعين المارة حجب تاماً، ولكن احرة المحجبه به
تستطيع في ابوقت نفسه أن ترى جميع ما يمر أمامها على لوحه الأكمل وقد
صحبك مرّة حسماً رفع أحد هذه المراقع انداكمة بالصدفة وان من ورتة وجه
شد سواداً من اقناع نفسه لكه قد يحدث في بعض الأحياء كذلك أن
يتواى وراء الحجاب اصبر وجه حين من أوجه لفتات انگرحات^(٣)، وقد
شعرت ذات يوم مدافع قوي يدفعني إلى مد يد دسة أحول بها لحطة من لرمس
دون انكشاف منظر من أجمل المناظر، من نادراً أن يوجد في هذه الاحداث -
منظر جمال أنثوي أحاد - ولحققة أن أحد لم يستطع في يوم من الأيام أن
يحترق قح وأنوحش من الأكفان المطيعة التي احترعها لحسد الشرقي يئتم
بها النساء فيشومن بها أنفسهن عدم بظهور في احاج، بعينه إفراع، يعيون
لمنصصة وأنحيولة دون روحيه الخلاعه واعساد فهي بظهر الشاب

(١) انظاها ان عبادة اساء، أو لإرار الذي كاسب اساء ترفع به في تلك الأدم كان
لونه أزرق بدلاً من اللون الأسود الذي يشع في الوقت الحاضر ويعنم

(٢) كان يسمى هذا النوع من الاحذية الجدوك

(٣) لا شب أن كلمه كرجه تعني امرأة من الكرج الذين كان يرمى بهم من كرجات
(جورجيا) في ففاسية، ولا تتران توصف المرأة الجميلة في لغراق بكلمة كرجيه
بالذمة اندارجه كما لا يحفى.

والشبحوحة، والحمل وانتشويه، نفس المطهر لمصل، والفكرة اسي توحها
كل مرأة ترى بهد لشكل فكرة تم عن عجور شمطا محيفة، متمرمة مداس
انصر المصعة

ومع هذا، فهو بحمي هذا المطهر لمنتر في الحقيقة الثمة المحرمة
عن العيون لشدته يا ترى؟ وأسماءه إيا قصص الحب والمكر التي لا يصب
معها، والكوارث المفعمة التي تنهي بها ماضي الحب والجريمة هذه،
تحدثنا عن قصة تحبب تمام لاختلاف عن هذه وتنب بكن تأكيد أن القوة
المنجدة والعواقب التي تطوي عليها اعوطف المكنونة في هذه البلاد وجميع
البلاد الأخرى هي شيء واحد فمن المعروف تمام المعرفة أن هذه الرفع
الوفية في الحقيقة تحبب عن الأنصار في بعض الأحيان أحمل حسوب
الحرم - ساء شديد جميلات، وسواء أكن جميلات أم لم يكن فهو يرتدين
أفخر وأندع ما يمكن أن نسمح به ثروة الوالد أو لروح. فالركي بصرف ثروته
التي بحاضر لتظاهر بها في الحارج على سائه وبنته، ويكون صرعه هذا سحاً
فقد تكون عرفه استقباله حصره، وقد يكون سحاده قديماً متهراً، ووسائده
سالية، وقد يكون الشبان الذي يلبس به رأسه أو محرمه رثاً أو من غير النوع
الكشميري الأصلي، لكن عرف الأماكن اسي يجمع لدحون ليه لا تكون مؤثته
ثائثاً مريحاً حسب بل مرفاً أيضاً ولو تسر لك لدحون وحدثها معروشة
بسجد هرة وكرم شاه، وبيات فيين وقف، ولراية - فيه المچت من لها
وكسرة، والشرف من هو كشايير وغلوسر شايير، والحداد من الصين أو
يرد و كاشان، تزين عرف سائه ويجعلها حمسة مريحة وسجد كذلك
رذوسه من مكله دلشال لكشميري أو بأعلى كده في لبون المطر، وأحسب من
تكتسي بأهلي أنواع القطيفة وتندثر بأعلى لفرء وسلاط كدلك اداهن
وحباهن وأعدهن تنق بالحواهر، وشعورهن مصفوة بالآل، وأصابعهن
مطاه بالحواس المنلثة، ومظهرهن كله مع كل شيء من حولهن يدل على
لثراء والترف

ولس هناك في الحقيقة أكثر دهاء وبهاء في اللون والمادة من سائر

اسيادات التركيات هي بعداد لكسي أحسن أأكود عاجراً عن أن أهل إيكيم
فكرة صادقة عن أباتهن من دور سوم متفة فإن لمراه لركة على ما
استطعت الوصل إليه ترتدي أولاً قميصاً يصنع من سيج حريري رقيق ذي ألوان
مختلفة، ويفتح من الأمام إلى ما يقرب من المحرم لكنه يصمم حول العنق بحلية
من الحلي عادةً ويكون هذا المصمم مصراً تطريزاً جميلاً حول العنق وعلى
صوب الصدر، كما يكون الأردان لطوبية انقصصة التي تدو معققة من حنفي
يبد لمفتوحتين في استرة معموله بالذهب والفضة (لكندون) والحرير الملون
بالوان مختلفة ويرتدي البعض مهن فوق هذا نوعاً من الصدر المزين بزينة
حميلة حداية، تمتد من العنق إلى الوسط لكسي أعتقد أن هذه القطعة من
الملابس تسعمل في لدرجة الأولى سرعب من العيوب في الملابس التي
تعصه وتسن فوق قميص صدرية ذات ذيل طويل تنلس في الجسم تنسأ تماماً
يظهر شكله إلى حد الوسط، مع أردان ضيقة تنقى مفتوحة حتى الم فوق تقريباً
ويصنع هذه من جميع دواع الأقمشة العالبة كالحرير المشعشع أو السادة،
والأقمشة لموشاة، واشاش، ونطيفة وما أشبه، وتزين بالوشى أو التطريز من
جميع الأنوع نوعاً لدوي اللباس ويرتدي بعضهم سترة قصيرة من قماش
ممثل، مغطاة بشيء من الفرو لباس، فرو السمور أو القاقم، وموشاة
بالكلدوب كذلك نكر لشناع لأن كما عصب استعمال الكورك، أو رداء الفرو
الطويل أما السراويل لطوبية واسعة التي تكاد تختفي تحت ثر اللبسة فهي
يحاط بالحرير الملون الراهي لكن السدت التركيات يبدن بدوهم بالادوة
والصوف في سس الرأس والمحجورات عادةً فلبس الرأس الذي يسمى هما
«باشك» يتكون اعتيادياً من مدبل واحد و مديين، وشاش، تلك حول العيس
(لظوش) الأحمر الذي يعتبر عطاء الرأس الوطني الذي يلبسه الأتراك جميعهم
و لعضارى ولهود، رجالاً وساء، لداخون في حكم السلطان وهو يصنع من
اللد أو المباش الأحمر، وكون له عادة أو شرامة (پسكوله) من الحوط
الردق وبطرد العيس الذي نلبسه لسيدات تطريزاً باللون بطوي على الكثير من
الدوق ويبدن في بعض لأحيان لون شرامة ولصن بحيث يلام رعة

للإسفة وبلغ الشد أو المديلة حول هذا أشكال تعوق في لونها أي شيء رأيه من هذا الحقيق في فحات أو عمامات لسيات في بلادنا نحن واعتقد أن أحسن ما يستعمل من المديدن تصنع في نوار ليون، مع أن هناك مديدن مطروء حملة جداً من صمغ استنبوب لكسي يسر توسعي أن أصف لكم أو أبلغ في وصف لدوق القيس وأرفه المظوبه في العمامات فإنها تطوي في جميع أنوار لقماش ودرجات الألوان، وتطور أكليل الأورد فوقها، نظير كنه دوق وأفاقه، تكن درجة من درجات الألوان الرقيقة التي تحتلط بكليدون ذهب وأفضه وحيثما ذهب المديدل لجميله هذه حول رأس بلاصة في ذلك تعبص هذه الرسة ولطير يسى الخارج بأحمل شكل، على أن تبقى بهبهه مدلاة شكل وشية حصر ويكون الشد المستعمل على الدوام من أضر نوع لسال لكشميري الذي يطر حواشيه بكسدون لذهب وأفضه، أو بالؤلؤ وسائر المجوهرات وحيثما يدس لدس رأس هذا يصغر مع شعر في العمامة ليكون ربه وثمه مدته، وتتدلى من ذلك صغيرة أو صغيرة إلى لحف تنهي كل مهم شربة من بقود الذهب أو المجوهرات ويعلى ملفوفاً بالشعر، من جهة واحدة تحت لفعة أو العمامة، حل من حيوط اللؤلؤ بعد بالأحجار الكريمة وكذا يعلو هذا من اللؤلؤ بأشكال مختلفة بحسه بعد لدوق أسيد وبعثها أما المجوهرات التي يشبع استعمالها وليسها، فإسي لا يري كيف أصفها من حيث شكلها المختلف ومكانها ووجهها فهذا «الحبكة» وهي حله صوبره الشكل توصع في جهة واحدة والانبية في الجهة الأخرى، وغير الكوني في أمام مدلة على الجهة، وتكون هذه الحلبي جمعها من الحس، وبقوت، والإرد وهاك بعد ذلك ألف شيء من الأشياء الأصغر كقشر شاب والسكرات واللبايس والأعلاق، مما لا يمكن بعد ذه أو وصفها والحلاصه، أن يناس رأس لسنده اسركه يكمل رسمه من المجوهرات يكون كلاً عماً مدهلاً، ويدونك هي احجار شيئاً بهياً حميلاً بمتىء بالذوق وبجدي لوصف

وتزين الأذن بالأقراط، كما يحاط بالعنق عدد من فلات النحاس والإردرد والمولود والسلاسل الذهب وشد أنواع «لارسا» على اندرع من الكف

والمرفق، وهي ذات قيمة كبيرة وكذلك تلالاً لمعاصم على الشاكلة نفسها بأساور لا يمكن أن توصف من حيث عددها وتنوعها كما يحيط المحرم بمصطفة من المصطفة شد بإبرسه من الذهب لمريم بالأحجار الكريمة، ويشت بالمصطفة نفسها عدد من قطع الماس أما العقراء فيكون بأحجار أرخص وشعل الذهب له فتيق وهي النهاية، تعطى لأصابع بعدد لا يحصى من الحوام، إحدى المصص نحاساً في أدق الحجوم وأندر البريق، وحتى أصابع لقدمين تكون بها ريشتها من الأحجار، وهكذا تصبح سببه استراحة أثناء وقوفها أو تحركها كتله من الور الباهر والروث الأحاد

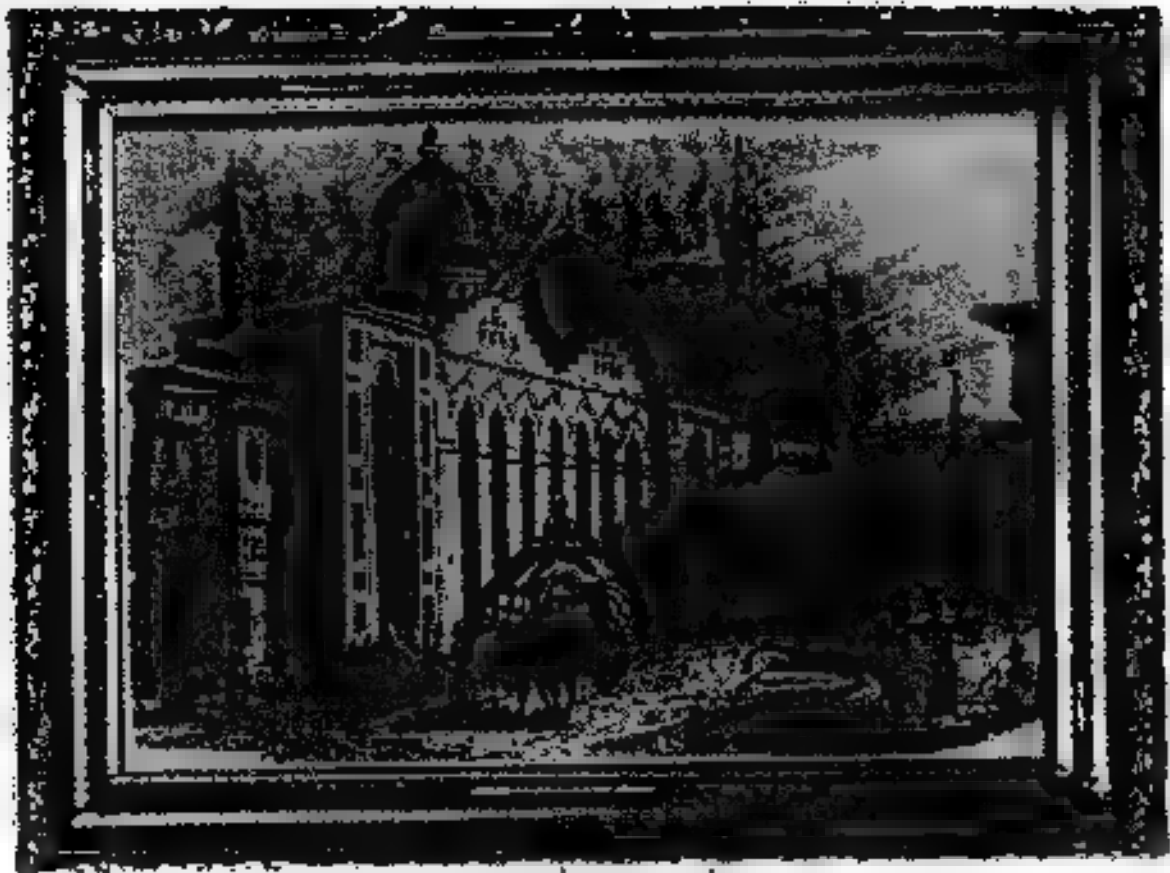
وقد سميت أن أذكر، بين الحلي التي تزين بها الأيدي والأقدام، نوعاً عربياً من الحلق يمس بالإنهام وأصبع القدم وهو أشبه نصف كشكس، يمس وجانبه العريض يتجه إلى الأعلى، ويرصع بالزينة اللامعة والمجوهرات وهما، عموماً، أسواج الحملة التي يحتمل أي نوع من الزينة للملائمة لدوره الحسنة وقاسته على اصرف وهذه لا تكاد تحفظ أقدامها الجميلة من السجاد الشمس لدي نمشي عليه، ولكنها بما كنت تستعمل في التنقل من عرفة إلى أخرى فقط فإن حفظها لا تحول دون الاستعادة منها

وستدركون من هذا بلا شك أن لباس السيدة التركية ليس راحياً جداً فحسب بل إن ثمة أيضاً يمكن أن يرداد إلى ما لا يهيه تبعاً لإيرد صاحبته، لأن طرار ريشتها يمكن أن يعبر وفقاً لدورها وقد كنت تسمى أن أقول علاوة على هذا إن عقول الملائكة الحيات تزدان بحلي الفكر والمعرفة كما تزدان أحسنهم بالأسسة، غير أنني بالنسبة لجمع ما استطعت التوصل إليه من معومات يمكن أن أقول إن هذا بعيد جداً عن الحقيقة والواقع والحقيقة أن جهل، وسخافة، وسماحة سوء الطرفة الراقية في بغداد أشياء تفت النظر بصورة مؤلمة وليس من الصعب عليه أن يدرك كيف لا يكون على عر هذه الحانه بأي فرض لنحسب يمكن أن تتوفر لها في محيطها، عن طريق التقوية أو التمرص؟ وأي نماذج تتيسر لها في مكائدها وفنلدها وبحسن من وضعها على مزلها؟ فهي وقد ذُرب على ثلاثة سبل يكون هي كثير من

الأحيان شيئاً أحسن من الوحش بقليل، وعلى أن يلسم، ويتوفن ويتسمن
ويقتل نفسهم بحث ينلاء من مع مزاج سيدهم الذي لا يستطيع، ولا يريد، أن
يقدر إبداء أي مقدار من ذلك، والشاطئ لعقبي في مملوكته احتروجه - كيف
ينتظر مهن أن لا يكن في الأعم الأعلى سوى دمي حاسة من الروح و لعقل؟

وسبب لديهم في انس، على قدر ما استطعت لتأكد منه، أشغال
تسعين سوى السس وترتيب للملاس والمجوهرات، ولتأجير، وتكون
المهوه، أو المشب وشرته مع الخدم، واسماء اليهوديات لنوابي بأسر إلى
اسبوب لسع الأقمشة واللعب والمجوهرات (الدلالات) وقد ينعم مع
أطفالهم إذا كان لديهم أحد منهم، لكنهم ليست لديهم أية فكرة عن تربيتهم
وتفهمهم الذي يرث أمره عدة إلى «الدباب» والمرباب. ومن أعظم وسائل
اللهو والسلية عندهم لراور بينهم، وتقطع ريدتهم هذه بطبع خاص بها، يد
يدر أن تذهب إحدهم في ريارو مش هذه لوحدها أو تكتفي حتى بأحد واحد
أو انس من الحاشية معه. ولذبت نحد في هذه المناسبات أن يتأ بكامه
محرك مرة واحدة كنه مستعمرة صغيرة، أو رتن صغير من أرنال الجراد،
فيحط في بيت صديق من الأصدقاء أو حاد من الجراد وقد سألني ليل
المتحرك من زوجين أو ثلاث زوجات، مع الأخوات، والعمات والحالات،
وسات اعم، وساب انيت نفسه، ولمتوكات، ولخدم والأطفال
والمرباب وعلى لمضغه أن بعد لعدة مصنف لمطبخ كنه ويس هذا
بالواحد السهل، وخاصة عندما تكون المصيبة على غير علم بقوم الصيوف
أو حينما يكون مصفة دت مروة معة. ولذلك يحصل شيء غير فيل من
انهرج والمرح والحري إلى الأسواق والجرار للحصول على وسائل
المطلوبه والموارد لقيام واحد لصافة وكثيراً ما يبيع عدد راثوث في
ريارة مثل هذه اربس إلى حميين شخصاً من أولئك الأشخاص مرحس

وفي مناسبات مثل هذه لا بد أن تتوقف جميع الأعمار مهما كان نوعها -
فعلى لمضغه أو المصنفات ومملوكاتهم أن يعطلى كل عمل ويعلمن حول عطلة
عامة في البيت. وبعد ذلك تبدأ أقمعه الأسس، وتعالى المصنفات، وينطق



من جوامع بغداد في ١٨٢٧م

ملاحظة: كاتبة هذه السطور

الثريثة فلا بد لحسدوات التركيات، وقد حرحر من سائمة يوبهن وصحرها
أو من اتقيد بحصور أزواجهن، أن يكن مرحات بمقدار كاف على لأقل
وحبسا يكن مرحاب لا يوجد أشد صحبا، ولعظاً منهم في العالم ولا أريد في
الحقيقة أن أكون غير مصعب، أو قاسياً في حكمي. ولا أن أقول غير الصدق
لكن أصوات النساء هنا كلها من وزن وحا على ما يبدو، وهو وزن الصراخ
الذي يصدر من بعض الناس هنا حسا يكتم أحدهم صديقه إحاس في طرف
آخر من سوق مردحم. فهن كهن يزغفر ويصرحن بصوت عال، وحسما
بكلمن كلهن على هذه الشكلة في وقت واحد. كما هي الحالة عادة، فإن
تأثير ذلك يكاد يتفوق على لهن الذي يصدر من مطايعهن المربوطة في
الأسفل وليس هذا القليل ولا أقول هذا السد إلى معلومات نقت إلتي، لأنني
حسما مرت داب يوم في أحد الشوارع يدار كنت قد نشرت بإقامة حفلة
سوية خاصة تسمت لأصوات لطرفين فيها. لكنهن لا يكتمن صوبهن فقط،



ساحة الميدان والقلمة قبل سنة عام

ولا بمباهج أحاديثهم وإنما ~~بشيء من~~ بالهفوف والراقصات كذلك. وحسب
تكون الحفلة في أرحها وتطلق أصوات المعيت والرفصات ثم تتصاعد
فرقعات النصف من الحاضرات كهن يصل الصبح والضوضاء إلى اقمة.
وقد كنت أسمى أن يكون تحدث الحساوات في عداد الصوب لعام
الذي أتيت على وصفه العيب الوحيد فيهن ولكنهن، وهن المعروفات
بالجهن، يقرن الأشخاص لمتفوفين عيهن من حيث التهذيب بسمحتهن،
ودنائتهن، وفصوبهن. ومن الخط أن يطلق لعيب منهن بين أشياء متقاة
عربية. لأنهن يتهاقن عليها بالمتغلب والدب فيشوشن ترتيبها بالكيب، أو
بقطعهما وبفككهها إذ ينس بها. بل ويطاس بها بخشونة بالغة أحياناً - وقد
يحصل على ما يعجز به حتى عن طريق السرقة أيضاً أم طريقة حديثهن
ومحاصهن فتشبه بكل شيء عدا السخف والفة، ولا يمكن أن يرتفع بطبيعة
الحال إلى أعلى من نطاق تعسهن المحدود ومجال عقوبهن على أنهن قد
بتحليل في بعض الأحيان سلوك السيدات المحرمات على ما يقال. وكبر

مهن يكن لطيفات لطوية حساسات الحلق ورنى أتصور أن هذه الصفات هي التي يتكوّن منها جماع فضائلهم الاحتمالية، عدا بعض الاستثناءات الفردية التي يمكن أن يوجد بصفة الحار وقد يكون حزنونة الصفات احميده الاخرى قد وجدت معهم، لكنها قد وهنت بالإهمال، أو قصى عليها تعاقم الرياء، ولاستهنر بالقيم الذي بشحه وضع المجموع الذي يحصرن فيه شقاء واكتئاب، وبذلك يربى أهمل النساء الأوراس، والإنكليزيات مهن على الأحسن لأن العلية الإلهية الرحيمة قد حفظتهن من مثل هذه ابحاة المصحطة

ولم أنظروا حتى لأن إلى ذكر شيء عن طققات النساء لدنيا لأبهر يكن يكن الكادحات لمسترفات المراتي يخلص العوز في جميع البلاد، ومارتقائهن في مسم الثروة والرفه بقدر المتعوقات عليهن فإنك تجدن نساء لعرييات يطمس في الشورع غير محجحات وسلاسل وحيصة حد، وهن تنفطين بالنعاء الأبدية، وقد وشممت حلودهن بعلامات لا عد لها من الوشم أما المتزوجات منهن فيحملن في أحد محريهن حرمة من الذهب أو انقصة كأنها در كبر من أدار التحريم، ويترين بحلاخيل وأساور من الفضة أو الحاس الأصغر نعا لا يبردهن وحالهن الملية. وأعتقد أن الأرميات والكثولكيات يلبس كالنساء اتركيات تقريباً لكن ايهودوب لهن ري محتف لا أعرف شيئاً عنه، كما أن أرمسات الأمكن الأخرى لهن زيؤهن الخاصه كذلك وقد قيل بي أن جميع الأرياء السبابة في عداد تحصلت حيلافاً غير يسير عن الأرياء في اسابول

وبعد هذه السدة الصويلة عن أرياء النساء وملابسهن فإنكم قد تعددوسي لعدم دحوي في بعضيات خاصة عن ملابس الرجال فإن لريين اساندين في هد لشأن هم بري لركي ولوي العربي إذ يربدي اتركى صدار متسعا بشد حول المحرم شار، ويلقى فوقه رداء من القماش العريض الذي يكون مطرراً في المعدة وفي الحظس البارد يربدي ستره مبطنه بدهرو، وعمامة كبيرة من المرسين الأبيض أو الشد على رأسه. أما اللبس لعربي فقد أتيت عنه من قبل، ولس عندي ما أصبهه من سوى أن أقول أن حليته لملاس ولاوان وبريق الأسفحة والياشين يتكوّن منه منظر بهيج سمن فيه الحياة لدرجة غير يسيرة.

(٨)

زيارة الباشا - مظهره وأخلاقه - وهالير لاعتبار - انكبيه وصباطه - صخب الخدم ومطالبهم بالبحشيش - شراء الباشا وثقله بقلب المعادن إلى ذهب - تجربة صاحبه الدراويش - طبقاتهم الثلاث - دراويش الشكايا - الدراويش المتوطنون - ولتسويون - قصة مأمون المصطفى - زيارة لندراويش حيلهم وادعاءاتهم - زيارة للشيخ عبد القادر الصيب النربة والجامع - كنيسة الروم الكاثوليك ورئيسها

فتبي أن أذكر لكم أسى بعد وصوبي إلى تعداد بيوم أ، نوعين ذهب برون ه لداش ، ، لدي كتب قد حلت به كتاباً من شيخ الإسلام في تزيير، وقد ستعشت، بما يكفي من المعجمله، كسي يمكن أن أهو، بالتأكيد إنه لس هناك شيء يمكن تصويره ليكون أقل عسراً عن فحامة حقد وأنبهه من مقام سموه ولا أقل اعتاراً من حلقه ومظهره.

فقد كان الدخول إلى مسكنه، الذي بصعب أن يسمى قصر، على أقل ما يمكن أن يكون، وكان الصائمون على خدمته يتناسبون مع الممكن لدي يعملون فيه سمساً باماً - إذ كان هناك عدد من الألبانيين لرؤس في مظهرهم، وبذل من الأتراك المصيريين إلى استهجين، وجمعة من حوطين سيئي لهيته ولهمام ولم يكن الشخص الذي أدخلنا لمتنول بين يديه على حال أحسن بكثير منهم فقد وجدنا هناك رجلاً بائناً بهر الحمسين من عمره، عليه رداء من الحرو، وفي رأسه طربوش، يجلس في حاح خارجي موثث بأثاثاً عبادياً، ومفروح على الساحة بكليته وكانت هناك على الأص من سجادة لا بأس بها،

(١) إنه على رضا باشا اللار كما لا يخفى

وكان الممسد : الأفرشة التي جلسا عليها معطى بمماش من الحرير القرمزي
وكان لاشاء على ما ذكرت ، رجلاً بدياً فيه شيء كثير من سحنة لنتر ،
ولكن بشكل مقبول . وقد تحدث إليّ كثيراً ، راداً على فارسي باللغة التركية
فكان حديثه على وجه العموم شيقاً بالنسبة لمقام الناشوية التي يشعده . غير أن
لمجلس كان فيه عدد كبير من الأشخاص لا يسمح لبشاش أن يفتح في قلبه
محصولهم كما كان من المؤمل أن يفعل لو كان وحده على ما روي لي عنه
فقد كانت العرفة ملأى بأناس كانوا يرتدون ملابس تركية وعربية وإيرانية
وكردية . ولم يكن يحلو المجلس من المحدثين والمتكلمين ولما كانت
المائدة من مثل هذا الحديث قديمة بهتت بأفرب ما كنت تسمح به المداقة
والعشمة . وبعد أن برحست من فخامته ذهبت لزيارة الكهية الذي كان يجلس
في غرفة مظلمة تقع في ممر يبدو على درجة كبيرة من الكآبة ، في مثل هذه
الدهاليز لمظلمة من سرايت الأمور والاشواث تقترب حوادث لغير
والاعتمال الكثيرة عادةً فإن الفضيحة المسكسة التي يراد الإحهار عليها ما إن
تمر منها وهو حلي الـ مما يهدد سلامته حتى يجد نفسه وقد لُقّ شال حول
عنقه من لحاف فل أن بصرح بكلمة « الله » ، أو يحرج إليه من باب جاسبي
ألباي جنوار فيفرع البا من فرسة سدفيه صغيرة في نطه ، أو يطل حروطه
مسند في دماغه ، فتسهي أمره وسرعان ما يشهد جدعه الحلي من لرأس
معروصاً في « ميدان » وقد حدث شيء من هذا لغير قبل مده فصبره في ها
المر بالذات ، على ما روي لي ، على أنني اخترته سالماً والحمد لله فوجدت
الكهية ، لدي كاد على رأس الحشر المكسر^١ جلس في رايته وباقره من
عقد في الجيش النظامي ، وصابط من صباط الحويلة الألبانيين ، وعدد من
أناس غير معروفين ، مسطرين في جوب العرفة الثلاثة وقد جاء ، يهشونه على

(١) المسكسر في أسبائه مع غيره في جانب الكرخ ، كما هو في لرساء لسائقه وكاد
عني رصاً ثم قد عني في مصب الكهية وكان بعد أن قصي عني المسكسر ، الحاح
يوسد ، من وجهه حب لدين رافقه في أحمله ومع ذلك غير لهذا لمصيب
أصده الحاح محمد أسعد أفندي أن سائب ، ولا حاح به هو المقصود بهذه السادة

مأثره لأخيرة على ما أحسب. لأنهم على ما يقولون قد قاموا بأعمال باهرة برغم هزيمتهم لمكرهة^(١) فقد أسسم ذلك أحد رعيه أيماناً معلطة بأنه أطلق جسمته قديمة من مدافعه، فقتلت كل قذيفة خمسة عشر رجلاً من رجال العدو. وهو لا يذكر رقماً «أكبر» من هذا، لأنه يود أن يبقى في صغر الحدود المعقولة القابلة للتصديق! ومع كل هذا فقد أجبروا على التقهقر بطريقة من الطرق، إنه يحترف بهذا على كل حال.

وقد اكتسبها بزيارة قصيره إدا سول لقهوة «دخا شط» و شخص^(٢) - هذا ما فعلوه هم على الأقل - ثم عذب من اسري محبوس بلقيف من حدام خدمته وهم يطالبون. وليس يرحسون، بالهدايا مطلقاً، بل بالحاجه وإلحاح وهذا إزعاج ممجوح للغاية تشهدها وهي اس سول، لكنه أشد إزعاجاً لها من «جميع» الحدام الذين يقومون في خدمة أي رجل كبير تروره ها ينصرون من العريب أن يطعمهم أو يقدم لهم هديه من الهدايا، وقد أصبحت هذه العادة المسقوتة جزءاً من الوضوح العام بحيث إن لحدم يعدون هذه الإكراميات فسماء من أحورهم أو روائهم، ولكن لا يمكن لأي شخص أن تتحاشى لإدعاه فكل فرد أو مزاج لا بد أن يستعيد من المراجعة يدفعهم ساعاً للمائة التي يحصل عليها إذ يدفع الموظفون والمستخدمون هذه «الرسوم» لحده الرجل الكبير من أجل تكوين أصدقاء في الديوان، بينما يدفع هم من يدرهم من يروون به أشعاه. وهكذا أصبح هذا العنصر عادة شائعة بحيث إن للمرء لا يمكنه القيام حتى بزيارة اعتيادية بسيطه دون أن يدفع شيئاً للجميع وقد أصبحت هذه في اسراي على الأخص عادة مقبولة للغاية، إذ يحدو الأتباع والخدم الذين لا حصر لهم بالمرء كالمصوم، وينتدوا الاحاد على لدفع إلى حد قيام الجود الذين يقومون بلحمة حد سادقهم لقطع الطريق عليك حتى تدفع «الرسم» المطلوب

(١) لقد أشرفت لي حاشية مقدمة أ. الشطب هو الجوق، ويعلم المرء أن الحيد كـ
 هذه السرجية (الشطب) أو السكره. وقد كان في ديوان باشا يومذاك عادة، رجل
 من كل بهذه الخدمة يسمى (جوق ياشي).

ولا أفرى به، كان لا بد لي أن أعود إلى موضوع الناس نفسه، على أن
 رسم صورة تقريبية لعدد لا يمكن أن يتم من دون تكريس عدد من حرات
 لقلم لوصف سبيلها الحاي فقد سبق لي أن أتيت على وصف عبي باشا
 ومظهره الخارجي أما عظمه فمس أكثر حداثة من لمعاه لدي محل فيه فهو
 ضعيف الرأي، واهل لعريضة، متروك في العمل، فط في قنلياته وشهوته،
 أناني جشع واحمول عنه إنه غير ديا في طبيعته، إلى الفسوة أو العظيم ولكنه
 يكره إزعاج نفسه بالإجهاد من أي نوع كان بحيث إنه يفضل تعدد الآخرين
 من دون رحمة على انحصاء مثل هذا الإزعاج ولو أدى به الأمر إلى ارتكاب
 أقطع الجرائم ولد لك استعج حذامه بقصه صغره هذه، والطمع الذي يساوره،
 في الجور على الناس لأبهم مظمتون بأنه لا يمكن أن يشاجر أحداً يأتي له
 دسالم ولا يعمل على قلاق راحته وهو على ما يقال دمث الأخلاق، مطمع
 على شيء غير يسير من لأدب التركي، وقد سمعت من مصدر ثقة أن أبيات
 لشعراني بظمتها للتركية لا بأس بها لكنه بمجموعه رجل ذو ميول حسيية،
 وغير لائق أبداً لمصائب العالي الذي يشعله بمسؤوليته لكيرة^(١)

(١) جاء في كتاب لو نكريك عن علي رضا باشا * . وقد أبدى خلال اشتغاله في هذه
 المدة شيئاً من حرية الفكر. وكان كرمه مضرباً لأمثاله كما كان قسم كبير من
 سماحته محتشماً وراء اعتدائه بضاف إلى ذلك أنه كان ذا أخلاق سامية، وله عه
 في عمل خير ريادة على ميوله الأدبية والعلمية على أنه كان حاكماً فاشلاً حفاً،
 فقد كانت خطته الوحيدة في حكمه تقتل أن يحرق قبيلة على أخرى وكان كسله
 اسمه المصروف يمنع من إجهاد نفسه في عمل ولم يكن قادراً على ضبط المدر
 ولا اند ثل، ولا قوته الخاصة غير النظامية أما في الأمور المالية فقد وجد على
 عهده العسف في تحدية وقراخ الحرية في صمد واحد وعلى هذا يمكن القول أنه
 لم يهر بالدكر لحسن إلا بسجته في جمع دور باشا، وسجته في منح الأراضي
 وقد دوح في بعدد ثم انتقل إلى سورية في ١٩١٢م. هذا وقد تروح في بعدد من
 من باب الممالكة في ملهى خاتم الحقيقة والتي بعدد لأسنو سليمان باشا الصغير
 أما زوجته الأولى التي تركها في حلب بعد كان كرمه يوسف باشا البصير الأعظم
 في أيام السلطان عبد الحميد خان

ولاشك ونح شديد بالكيمياء لقديمة (السمياء) من بين جميع الصناعات الأخرى، وهو يصرف على ما يقال مبالغ غير قليلة على المرويش والفسفورية والمعامرين لدي دعوى لمهارة بها ولو أردنا تصديق الأخبار التي ترددها الآخرون نجد أن هذا لما لا يصرف كنه عثاً، إن هك إلا رجل في هذه المدينة قد نجح بالفعل، كما يؤكد البعض، في صب الحاصل الأصفر إلى ذهب والرصاص إلى فضة وبممكنكم بأن تطمئئوا هذا الحبر كان كافياً يوقظ في حب الاستطلاع، ففكرت أن أرى إن أمكن هذا الكيميائي أو بعض الناس الذين شاهدوا بأنفسهم هذه العملية على الأقل فتبين بعد البحث أن التجربة قد أُخبرت بمحض لاشا نفسه ورجل إيطالي يدعى لمسيو دي ماركي^(١)، كان شرف في زمن لاشا، سائق (أي دود) على المسلح (دار الأسلحة ودار سك النقود) (السكة حانة) معاً، واستمر على ذلك حتى لوقت الحاضر وهو فوق هذا كله رجل باع وقد حصلت منه على قصة هذه التجربة كتبها، وهي بدى به تؤيد باتباع جميع ما أُخبرت به في هذا الشأن فإنها على الأقل تثبت أن الناس كان يتعامل مع رجل غير دجل فقد أعلن هذا الرجل، وهو عربي، في الأخير به على استعداد لتجربته بعد أن طعن عدة شهور يشعشع في مخبره في تحضير أكسيره ومركباته، وتسلم كثيراً من المال بمتابعة العمل وإذا كان لمسيو دي ماركي مشككاً في الموضوع وغير مؤمن بدخول هذا الفساد الماهر، فقد قرر أن يرقب لعملية بدقة ليكتشف الأخطاء الفارغ، ويرى بيديه هو نفسه الحاصل الأصفر، الذي جاء به هو أيضاً ليقتب إلى ذهب، ويضعه في سوده وقد أُخبرت العمل في مختبر «السكة حانة»^(٢) واستعملت جهته فيها وفي

(١) يبدو أن هذا الرجل ظل معيماً مع أسرته في لايرتس لها موجوداً فيها

(٢) بدأ الناشطات المحليون سك النقود بكميات محدودة - هي «القلعة» منذ أن استعاد السلاطون مواد معدنية من لصقويين سنة ١٦٣٨م، ثم أخذت تلك أو بصرت في حذر من محاولات بيع في سوق (السكة حانة) الكثير من جهة ذهب به بعه لحال الأورتمه أو حان مرجان، لمتحدة معهما من المتاح في أوقات الحاضر ومنه جاء في كتاب لرحله فينكس جوبر (١٨٤٦م) أن (عقد سكة حانة) من النقود =

أثناء العملية طلب الرجل شيئاً قليلاً جداً من الرزديج الأبيض والأصفر، ولأجل أن يحول المسيو ماركسي دون استخدام أية حيلة يبعث بحلب هذا المركب من مخزن كان يوسعه أن يعتمد عليه في كونه يبيع أشياء تُصدّرة عبر معشوشة وقد وضع هو نفسه حتى الرزديج في البودقة، ولم يتفرب الكيميائي المتمسك منه مطلقاً سوى لإضافة كمية قليلة جداً من مسحوق معين 'خرجه بمعلقة صغيرة من إحدى ألعاب. وسكب المسيو دي ماركسي نفسه المعدن المصنع حينئذ أصبح جاهزاً من البودقة وحفظه عنده فوجد علامة فحصره أن قسماً منه قد سحّل إلى ذهب بالفعل، وحينما وزن الكتلة كلها وجد أنها ثقل قليلاً من الحاس الذي كان قد وضعه في البودقة فاستفسر من الكيميائي العربي كيف يمكنه أن يعلل هذا الفرق في الوزن، فذكره هذا في الحال بالرزديج المضاف الذي يزيل بمجموعه نفس المقدار إذا ما أضف إليه الحاس وقد أخرى المسيو دي ماركسي بعد ذلك لتجربة نفسها فوجد النتيجة على مثل ما قال عنها رجل الكيمياء الماهر

ثم عمد المسيو دي ماركسي بعد ذلك إلى معالجة الكتلة كلها مع ماء الفضة (حامض السريك) فأذاب ما بقي من الحاس الأصفر وترك الذهب وكان لم يمسسه شيء، وحينما وزن هذا تبين أنه يقدر ثلث الكتلة كلها وعندما طلب إليه أن يبين له ما ينقلب الحاس كله إلى ذهب أحب أن لعملية كلها عبارة عن عملية تجرّبة وهي لا بد أن تكون عبر نامة من جميع السواحي، أي أنها كانت على ما اعتقد ثباتي تجرّبة أحراراً مع هذه المواد. وقد فُحص الذهب وأُحصع لثأثير ححر الحث (محك الذهب) في السوق فوجد أنه على أحسن ما يكون، وأنه ذهب يمكن تسويقه

= التابعة لخدمة الصداير وقد طلب الحكومة محوله بذلك حتى سنة (١٢٦٢هـ) ١٨٤٥م حين أسس الدولة العثمانية في استانبول اسكة حنة) حديثه نُقلت ألاتها من إنكلترة فصار في مقدورها سدّ النقود لجميع الولايات التابعة لها ومن عرف في بغداد من لمشرفين على سكّ النقود عد المسيو دي ماركسي أحمد أغا الحبيبي حياً، الذي كان يشغل منصب (سكة أمين)،

ولم يكن المسيو ماركى مسحيماً بحيث يمكن أن يتوطأ في عمليه تزييف
 يمكن أن تصدر من هذا الرجل العربي، ولذلك أحد نفسي مره ألتصديق
 قصه ومعتقداً بها صمياً وقد كان المسيو دي ماركى حذراً في إعطاء رأي
 ثالث في الموضوع، وربما أعلى فقط عن عرمة على مرقه حركات لرجل
 وحصة خلال قيامه بحراء بحره أكر من لتجربة السافه في خلال الأيام
 لقليلة الثانية فأديت رعة قوية في الحصور أثناء القيام بحرثها، غير أن
 لمحاولة صرف لطر عنها، لأنها لم يكن من الممكن إحراقها من دور
 لمحارة باستشارة حسد اششا في أمر يكون شديد الحساسية فيه على لأحص
 وقد علمت بعد ذلك أن المحاوله قد تمت فكد لإحراق حليمها، وصب
 لرجل لسماح له بالذهاب إلى جنال كرسس على ما عند ليجمع منها بعض
 ما كان بحثه من المواد لكن الثالث رفض أن يسمح به بمبادرة لمدينة حوق
 من عدم عودته بطسعة ابحار فما أعرب هذا الحبط المتكون من الإيما
 بالشيء وعدم الثقة به في الوقت نفسه، ولشأنه يؤمل ويعتقد اعتقاداً جرمياً
 سخاح محاولات هذا الرجل، ومع ذلك فهو على تعاضبه عن نفس الأشياء التي
 يجب أن تفتح له عييه وتقضي على آماله تتسلك بها مرعه ما تدل عليه قدرته
 في لتصير واحكمه على الأشياء وقد ذهبات يوم ريادة الكيمر في احد كور
 في معمره، فكان رجلاً عسدي المظهر مبالاً إلى اسدانة، من دون أن يسو عليه
 أمريت اعقرية والجرأة في الحديث، وكان عند دخولنا قد اخرج لتوه من
 القرن شتاً مسحياً إلى حد اساص، وهو حرة لأمبر الماطو الحويه دت
 رائحة كريهة وقد كان ارجل وقتذاك في حالة أشه بحالة لاعتقال لمسحل،
 وإني أرى به ما لم يعمل في لحال على عادته شيء من مل لبش بشكر
 سكت ذهب وما عليه إلا أن يصرف إلى الحث عن كشاف يجعله مبعأ صد
 اشش أو الإعدام، لأن بطاهل صير الثالث انتظروه سيؤدين به إلى الموت إرا
 امتد إلى أكثر مما امتد إليه حتى الآن.

وقد أحبر دي ماركى بأن عدة أشخاص من مثل هذا لرجل قد أضعهم
 سلامة به لبش الممروحه بانصمغ إلى محاوله هذه العملية ومن هؤلاء أسس
 وقعوا في اشرك الذي كانوا قد بصوه لمحامه، سب بحج أحرون في عشه

واشترار مايع غير مسيرة عنه، فرثى لسلامة البية الموحودة عنه، سيما كان
بشكر الضعف السؤدي إليها وكان من لراضح أنه كان يعتقد أن للمعمر
لدي كنت أمهت في انحدث عنه لا بد أن يظهر دُخْه في الهابة، وكتشف
احباله، كدلت.

أما الدراويش والفقراء والفليدية والمتسولون والمشردون من جميع
لأنواع فيسوا قلة في بغداد، إنما هي لحقيقة موطنهم املائم، ومع أنهم لا
يدعون كهم بقدرتهم على صنع الذهب فيهم يجدون لوسائل لمسه تتمتع
بعش مريح بكفة من بصدق المسمر عنهم واعتقادهم باحرافه ها فهناك
عدا الإخوان المتولين عدة تكيات لهؤلاء الناس هنا، كما في استاسول، وهي
نعم بمصدر غير يسير من الحيرات والبهات ولا يقوم أعضاء هذه الربط
بالاسجداء بصحب وعلاسة، كهم لا يردون هبات المبائس إلى انصديق من
لناس وهد يتهم ويحصلون على المال بوسائل محتمة، وخاصة وسيلة القاء
معجرات مرعومة فلا يعطون الرقي والعاويد ضد المرض والحروح
واشروع من جميع الأنواع فقط، وربما يوجد أيضاً صنف منهم يرعون أنهم لا
يؤثر فيهم الحديد ولا يمكن حرقهم بالنار ويجمع هؤلاء في أيام الجمع حول
قبر من قبور الأولياء الذين يسمون إلى صنفهم ويعرضون معجراتهم على الناس
لمدهشين الذين يتولون للشرح على حلفتهم الماسية ككسي هل أن أروي لكم
قصة رياره فمت بها لهؤلاء المتعصبين ذوي ميلاً إلى أن أسجل لعرص
تثبيكم بعض التفاصيل المختصة بدراويش بغداد، التي اقتستها من أوراق
أحد الأصدقاء حول الموضوع

فهناك على ما يبدو في بغداد ثلاث طبقات كبيرة من الدراويش
أولاً دراويش انتكاياء الموقوف لهم، وثانياً المتسولون لمتترقون الذين
يمكن أن سميهم بالمتوطنين، وثالثاً الفليدية أو الأولياء المتحولون
ويعيش دراويش انتكاياء من واردات حاصه يحترمها حتى أسوأ الحكام
والحقيقة أن بعضهم رحل مصروفون إلى المدرسة وسامر، وبعضهم لآخر
متعصب محض واعدد لاكر منهم يهتف في الشهور ونام على

المسكرات وهؤلاء مجانبين عربو الأطوار وهم يلبسون في رأسهم فعة مخروطية الشكل يصنع من اللباد أو لقطن المسروح وتزين حاشيتها 'حياناً' بالمرحاح أو شعاع الأبرة المشعول بحبوط ملونة، كما يلبسون ستره عادية اللون ويحذون نعلات خفيفة. ويحملون أحياناً صولجاناً من الحديد أو بطة خاصة، ولاء أسود مخروطياً يصنع من ثمر بعض النخيل ويعنفوه سير من أجل هي أيديهم وتعلم أحسامهم بعلامات خاصة تدل على طبقه أو حد منهم ومربته.

أعلى درويش النكديا المختلطة، يجتمع مساء كل جمعة بحلقة كبيرة بين أيديهم شجهم الحريد، في مكان مخصص للمعبد أو العبدية؛ المستطلعين من البداية هو صبح في الوسط مدق من الفحم المشعول مع اسفوف ولحاجز وحراب الحديد الطويلة لحادة لمثيته في فصات خشبية سمكية مربعة عدد كبير من حلل الحديد المسحوك الذي يحدث حنجله خاصه عند التحريك ثم يسري أح من جوان الحلقة إلى ريم بعض لأدور سعة محرمة في ذكر الله وتمجيده، وتعير إلهية بعيدة عنهم، أو إلقاء مرثاه عن وفاء شهيد من الشهداء ومعاناته، تصحبه في ذلك وسيطر على معنائه بمرات طيلة يقوم باستقر عليها شخص آخر معها وبعد أن يحس لسكور والحشوع على كل شيء مدة من الزمن يهض في الأخير أح أو أكثر من الإحواض بظاء، وإذا يأخذ بالاهزار القليل طداً وعكساً بشرع بتريديد لكلمات «حق، حق، هو، هو، هو» الحق، ويتأمل بكلمات اندات الإلهية في الوقت نفسه وفي هذه الأثناء يردد حركاته بسرعة واستمراراً فتذهب إلى دوران وتدور بالتأريخ ونصيح شمهه بفعل حركته وسرعة تزيده بالكلمات معمرير بالرب، وعناء مسدودير حاحطين، وشكل حصص شعراء الطويلة شيء أشبه باللهانة من حول رأسه، ويررق من لإجهاد، فيسقط في لهيه مبهكاً لا حراك له وهو يسبح في عرفه

وإذا يستمر هذا المظهر إخوانه الآخرين يخلون حدوده في هذا العشق الإلهي حتى يهجم المشاهدون لدسوبون، وقد سيطر عليهم الهاج لحد احدن إلى عشاق نفس والشمع سرقات شيخ لحقة ثم يأخذون

لسيوف والحدج والحرباء لبارده أو لمسحاة فوق النار وعريضة وحركات
تشبه عريضة اسكاري وحركاتهم يصرون أنفسهم بالأسحاة، و يصعدون
لحدائد المشتعلة فوق وجوههم، وهم يهدمون التصرعات و لانتهالات لوسي
من الأولياء أو شهد من لشهداء، أو يصرحون بكلمة هو وأخيراً يسقطون
على الأرض ومنهم من هو حريح مصرح بالدماء أو سالم من لأدى بكمه
يتمرع على الأرض كالمأخود، أو هامد لحنة لا حركه فيه والمعروف أن
لدي يجرح في معركة المكر والحداع هذه مع لحماسة و تنوع يكون قد أدى
حسباً من ذنوب قديمة لم يكفر عنها من قل، بينما يجرح الطاهر منها سالماً
من دون أدى تحميه بركات الشبح وألفاسه. وقد سنأ حوادث خطيرة عر مثل
هذه الاستعراضات لمؤلمة، التي تعد برعة أي سيد معرض من السادة في ي
وقت يحتره لمحربه أتبعه والوفوف على مقدار إحصاهم وورعهم، أو بشر
نفاذه وسلطته الروحية

ويذكر الاستخدام بين هذه الطبقة من الدراويش، ولكنهم جميعاً حينما
يتنزلون لالتماس لصدقه والإحسان برددون كلمه «حق» أو «هو» بعده عميقه
وصوب جهوري طرد، وقليل من الدس من يرفض مثل هذا الطلب المنصف
بالقدسية لأن المروض أن مثل هذا الرفض لا بد أن تعقبه صفة احد أفراد
الأسره بمصصة أو بكمه وهم احدهم يستطيعون الدحون إمر أي ديوان أو سب
من دون أن يحادروا من شيء ويصرف لطر عن أي عائق، ولهذا السب يكون
هؤلاء فادير على أحد ما يريدون وعلى ستحصل لمعلومات التي بدو من
قل للمعجزة في بعض الأحيان وقد شد بعض حتمير لهذه لطمة شديداً
كثيراً بدافع من حبهم البعيد، وانتحالهم لمكرر بقديم لأعمال الحارقه،
بحيث صاروا يسحلون الألوهية نفسها ويرددون على اندوم «أنا لحق» لكن
هذه القحة، على استعصاء أمرها، كتب لسلطات ارمية في لإسلام يعاقب
عنها دلموب على اندوم، وللملاحظ أن هذه النقاط شمل أنواعاً عده من
دراويش لنكاه - أي الدراويش الراقصون و لدوامون الذين يطلق عليهم أحياناً
«الدراويش المولولون» في ستبول حيث يوجد منهم عدد عبر يسير كذلك،

والدراوش الذين دعوا بعدم تأثير أسر فيهم ممن ألبعت إليهم بها

أما الصنف الثاني من الدراوش الذين أطلق عليهم اسم المتوطنين - أي المنشترين بين الناس بكثرة فيهم موجودون في معظم المدن اشقة هؤلاء يظهرون بمختلف المظاهر والألوان التي تناسب ريتهم، وأحوالهم، وصلافتهم في الكلام، وحركاتهم التي تنطبعها الأعراض المحسنة التي يحصلون على الصدقة والإحسان واسطتها ولذلك يحتف مصهرهم، والهيئة التي يظهرون بها، اختلافاً كبيراً على قدر الإمكان فقد يكون أحدهم مثلاً رجلاً أبيضاً حسن الجسم، ذا بشرة سمراء داكنة، ووجهه سوداء، وشارب مشمس ترسب ولطب، يلبس في رأسه عمة قطية بيضاء، وسرة من اوبر التي للرب، حامي قدميه، سوكا على عكا في يده، وبن عيار لا يريد للور كيه عثرة في وجه لا يزال معروفاً، يتقدم بطبعه مستصفاً ومشبه حذرة، ويصوب عذب بول قبالاً أنتم أيها المديون، لهذا أعطوني من نعمته يملك لكم ديونكم، اسم أيها المثقفون بالعلم والذكور أرحلو لسرور على عهده يحفظ الله من أحوالكم، فيحفظ مستمعوه صداقتهم بالهراء والسحرية، ويسلمها الدراوش بصر ونحوه ويعود بها إلى رونه لخاصة في المسجد التي بعد مكانه ومأواه الذي بحري فيه تأملاته وبؤدي صلواته، ويستعيد استعمال عيبه حتى تسدعي لصبره من حديد أن يستدر عطف المسلمين عليه

وقد يكون الثاني رجلاً بدياً قصير القامة مرطب الهمدم، له وجه كنه قصيرة قد تطرق الشب إليها، ووجه ممتلئ، وعين صغيرتان رماديتان رائعتان يحجبهما حاجبان كثبان، وهم بشميس صحتين، وأرب كبيرة عذرية تصلح لأكل الأشياء جميعها ويرتدي ملابس قطية بيضاء تعطيها عاءه عربيه من لصوص الأبيض، فقف على در يندو عليه أثر النعمة ولثراء فسح من رتبته للمفتين قوالاً في مدح لبي تحلظ بوصايا تأمر باسم وإحسان والصدق على لعدي والنجوع والمحتاج فلا يحطى المرمى، لا يحف لى الباب اثنان من العبيد السود، ذكر وأنثى، يعرض محللهم - وهم لظرد المتطفل وإبعاده عن الباب وثانيهما لتقديم المساعدة اللازم إليه، فحتلظ

صحب العديد من المبرعين بولوله المسوق، لكن لأشئ سرعان ما تمتلئ
فتنهان على الشحاذ القوي صدقات أهل البيت

وقد يكون مثلث شخصاً محبلاً عذماً، ذا أطراف مرتحية قليلة
المصلات أي عذرة عن هبكر كما من يد على مقدر تقرب لأحياء من
الموتى وبهذه الدارحة من انهرت ربما يكون عذبه لأسدر واشعر، كليل
العسر، بكسي مجموعة من الأسمال الدالية، ولا يحمل عكاراً تتوكلأ عليه
أطرفه المرتجفة مسح هيكله نصف حي من باب إلى أخرى وحيم
تملأ على الأرض يعرض مدبر من حسمه بسدر الرحمة واعطف عنه وبعد
أن يرق له الناس مسددون عنه بحمر في ربيد ويعث إلى مخشع ليعود في
اليوم الثاني إلى وضعه اسائق، فيستدر عطف الناس من جديد.

ويتألف النصف الثالث، أي نصف القسرية، بوجه عام من خيار
لداويش واشطهم، وأصغرهم ساً وهؤلاء هم المشتعلون بالكيماة القايمة
والمجموع والعرفون والمشقون في عالم الصعاسك ويكون توفيق هؤلاء
وحدهم في تدل مستر، لكن حضور دهم يكون مساوياً على ادوم لعدلات
لمحاشه التي يحدون أنفسهم قد نورص فيها وهم بوجه عام صوفون في
دينتهم، أصحاب عرونة في سلوكهم وتصرفهم، سريعو الإدراك، حاصرو
لديهم، شديداً اعزم، قويه آية وقد تعودوا أن يلقوا على أكتافهم جلود
لأسود أو اليهود أو اوعال غير المدبوعة، وسمحون نحصر شعده بأن سمو
حسب لإرادة، أو يصمروهم بأشكال مختلفة عربية وقبما يوحدون وهم من
دون سلاح، وير يكونون معتمدين دائماً على استعداد المسلمين المتعصبين
للاعتقاد بالأشياء الحارقة، فهم دوماً مرودون ترويدا حساً بالوسائل التي
يستجد موبها في صبح بعض الظهيرات الكمائن التي تنف اسطر، ومعاجين
لعش وشرية لمحبة والرفق ولعويده ومحسب رسال فتح لبح وعلم
يعيب لشاعد اشجانهم للبهارة هي شؤون انكهاه ولعراة

ويقدم لنا تاريخ السيد مأمون المصطفى، وهو رجل شاب ولد في واد
من أوديه اشور نموذج حساً لروحيه هذه الطغمة من الداويش فهو حبيب

كان يمر في دور لدراسه والتعلم لتبوء مكاناً مناسباً في عالم اسلافي استوت عليه لرغبة في السفر والنطوح في ارض الله الواسعة، فترك بيته وأهله برعم توسلاتهم في العدول عن ذلك وقد كان شاماً صويبر القامه قوي السمة حمل المحب. د بشره بيضاء وعيين سود ويزر. فشرع في رحلانه مؤملاً نفسه بالامال المعسونة والمستقل الممنوء بالمسرات والعجائب وبعد تحولات طريقه أجراه بين المعارة. سحرة لعالم الإسلامي المعروفين، وبسما كان في طريقه إلى بلاد الحوغي و لبرهميين في الهند، دخل بغداد فرب في مستصرية، وهناك حصر المحاصير الهندية التي كانت تنقى بوجه خاص على طلاب الهند المحلفة، على أن عمله ظل عبر مكتب وذهبه عمر مقتنع وقد شعر في قراره نفسه بأنه متقوى على من كان يحصيه من الناس، وأحير ترجع وهو قلق لا هدف به إلا الاعتكف في مسجد مجاور كان يقضي فيه أياماً عديدة متواليه من دون أن يتنوى عطفهم الأكل أو يناول شيئاً منه

فحاول إمام لمسجد، وهو متأثر بهد لتذير الصريد، أن يحثه على الخروج واسعي وراء القوات لدي يقوم به أوده نكر نتيجة المقاتلة أدب به إلى الاعتماد بأنه أمد ولي من أولياء الله، وأعدن نفسه من أسمع هذا التامك احتجب الذي عمل على ترويبه بالقبوب والطعام، واحتجاب الناس إسه

وقا دير مأمون من الحفاظ على حدع الناس بطبعة وحوه لمحاط بالمعجرات، ساول شيء فس حداً من الدخائر الوفيرة التي صارت تيسر له، فكبت شهرته تردد يوماً بعد يوم وأحد النساء العقيمات يؤمن ببركانه وتعاويده، وصار العميان يفصلونه ليرد لهم بصرهم، و نرح لبعيد إليهم قابلية استحمالهم أطرافهم. كما أخذ الكيمياء انشغل بسجدي عون في الحصون على أكسير فعال مفيد، ورحلت النساء الهجورات يقلل أقدامه ليرردهن بأشربة الحب الحداثة، وصار ابن كضوب وراء الحوايق العجينة سطور من المعجرات التي تعري في البحر عادة، كاركوب في الهواء، والقدرة على كشف الأشياء غير المرئية، ونفس اما، وقلب لاسن إلى طر أو حوا من ذرات الأربع، والرب إلى زمن من الذهب، والمحصى إلى تقود، لكن أعرب

حره من عملة المذراع كلها كان الاعتماد اندي يساور كل واحد من أصحاب المطالب هذه بأن ما كان يريد هو نفسه قد حصل بالفعل ، فصعدت شكوك القلة المرتابة في لجج الكثرة الكثيرة من المصدقين .

وسمّا كتب الأمور سر على هذه الحدة جاء أحد لتجار يطلب مساعدة مأمون في الكشف عن سرقة أموال تعود له ومعرفة اللص لماعل فكانت شيء من الحشيه المتراصة التي أذاها مأمون كافي لإفراع التاجر بقدره الروح القدس على ذلك ، وللمعهد بتقديم هدايا كبيرة لمساعدته في توسلاته الأصلية لكن للقدس ظل حياً ممعناً ، وردادت معروضات التاجر حتى انتهت بتسليم المدار وللمؤسسة والصص إلى الرحل لسي نمك مثل هذه القدسية والحكمة الأصلية . وبعد أن أقام مأمون في مسكن التاجر واستحكم فيه ، شرع بإجراء تحقيقات دقيقة في ظروف الأشخاص الذين يمكن أن تكون لهم علاقة بالسرقه ، وأشار على التاجر بأن يجمع في يوم معين جميع خدمه ليحضر معهم تأثير بعض الرقي ولتحرّمات التي حرج بعد ذلك لاستحضارها

وبعد أن عول نفسه عن الأسرة بأجمعها خلال الفترة التي أعقبت ذلك ظهر في لوقت المعين أمام لخدم الذين قرر إجراء تعريضاته عليهم ، وهو يردي ملابس من لحريز الأسود وينثر حصص شعوره الفاحم الأشعث بحيث يضحك وجهه وروءها ، ويحمل في إحدى يديه مسخرة ممثلة بالنار وفي الأخرى كيساً صغيراً أسود يحتوي على لتصائم ولعقافير ثم أخذ شيئاً فيلاً من لعقافير ورمه بصمب وهدوء فوق النار في المسخرة اني كان يتصاعد منها دخان كثيف ورائحة مديدة للعاية . وتأثير هذه الرائحة القوية وانهيج الذي كان يوحه المنظر العام في نفس الحصار ، الذين كانوا جالس في ذلك الوقت ، بهصور كلهم مرة واحدة وهم يرددون « لله ، الله » وقد انحنى إلى الأمام حتى التجر المسروق ، الذي بصور لمصير ابرهيب الذي كان من المنتظر ان يصيب اللص المجهول ، وكأنه يريد أن يوقف ، أن أمكن سير لتعريضه وتقديمه . ولكن الرهبة أخمرته وتمادى الساحر في عمله

ثم أخذ من الكيس عدة حسابات داكنة اللون وصار يعرضها للرائحة التي

كانت نصاعداً من المبحرة، وقد قرأ بسهجة غائرة الإبهال والذهاء التالي: «إلهي يا رب العالمين أجمع، يا مدر الصبغة والأكرم الذي يحترق غيره الماده ثله امحي الآن شيئاً من صافتك وقبرتك» وبهذه الكلمات تقدم نحو الأشخص المشبه بهم لدس أصحوا في هذه المرحله فرسه عاصفه حاصه وقد كانت الاعراض اسادية على كل منهم تحتف اخلافاً يياً، ككها كات بلف اسطر، فقد طل أحدهم وفقاً بانتصار تام، بكر دراعه المتيسيتين لملتصفتين تشيح إلى جبيه، وفمه اسعلو المرموم شده، وعسه اسحامدين، وحله لاشف، والدرة الررقه لمحيطه شفتيه المصغوطتين لنس لا لون لهما، كات كنها بدل على برعه العقلي المبرر وكان الآخر يلوى كالحية، وتشترك كل عصه فيه تشيح غير يسير، رسم كات ساقط قطرات العرق من جسمه وكان كل طرف وبهيه في جسم لثالث يتحرك حركه غير مسيطر عليها، فكانت شفه تحركان بحركه لا إراديه وعصلات جدده رأسه تتلوى كألها كانت تسحب بعف. ما الرابع فقد خر ساقطاً على لأرض والرمد يملأ فمه، واح ترمع بحركات محيظه، ويدل جهود غير مشرة على ما كان يندر للتكلم بوضوح

وقد كان من شأن البرع الذي أصيب به الفاعل، واشعور المسيطر على المشاهدين الآخرين، أن يندر مأثوراً بأن ينهي المشهد ويحمله، ولدت أحد لتأخر حباً وفاء، له الق حجرة محباً على لحرمة لني لت وقوعها مثل هذه الوضوح وعوقب مقروفاً بهذه اشده ودع كل رجل يرمي في منتصف البر مله حجر واحد من لترت في زاوية ناحية الدار تحت اسحم لقصي، وعند طلوع اشمس بحث هناك عن لمان المسروق منك

ومن المحتمل أن يكون ذلك لبحث عن المال قد اقرب بالحاج، لأن شهرة الولي القديس، ولاعتقاد بقسوة تعزيماته وتعاويله، قد ازدادت (زياداً) عظيم بحيث أن لرجاء المرموقين في حكومة لولابه كات في عداد أسعه المخلصين وصارت أسرار اسمياه، ولتعويده صدد المرحوح أو لمرص للكوارث والكس، أو حسارة لعطف املكي أو وصفه من الوطائف، نطلب منه بشور وحماسه مع ثقة التامة بتثيره وشدة معولها، وكانت تقدم له

مكانات سحبة من أناس آخرين بلا اشتراك في مثل هذا النوع من القدرة واستطروا ولكن ذلك لم يكن من شأن هذا الولي المكارم، فقد كان يصريح أن قدرته هذه ليست من النوع الذي يمكن التوهم بأسرارها ولا يمكن أن يبلها كل أحد إلا الذين تشملهم العناية الإلهية بعظمتها وتوفيقها على أد مثل هذا الاعتدال، المنصر لم يكن مقبلاً للجميع، وتدللت حذر بعض الناس بدافع من حساسهم وحيية أمهم يرقون أعماله عن كثب ويتسقطون حركاته وسكناته ومن سوء حظه أن يجعله بحاجة لمطرده على جانب أكبر من الجراه وتجاوز، فأدى به ذلك إلى أن يصر من خدعه وأحاييله بأقل ما يمكن من الحذر وسرعان ما اردد الشك وكثرت لريبة، وانكشفت ظروف كانت تحتها شؤماً على نفسه وشخصيته، وأدى به عطشه إلى الريح والمحصول إلى أن يعرف أعمالاً بصوي على النصب ولا حيل لا شرار لأمول بمقابس واسع، يساعده في ذلك المجال لمنع الذي هيأه له الله امتشاه التي كان يضعها فيه مريدوه والمخدوعون به. لكن سحره قد بطل وقد تأثروا، وانكشفت أعماله في انبهاه، فأعقب ذلك سرعة فائقة الحزي والعار والعقوبة والدمار

وهنا أكتفي بهذا المقدار مما كتبه صديقي في مذكرته وعود إلى ملاحظتي فقد أشرب في السابق إلى الريارة التي قمت بها مع بعض الأصدقاء في سفينة إلى مرقدة بعشاء من ویش الذين يدعون بالمساعة لخصه صد الأدنى من أي نوع كان.

بعد أن اجمع عدد من السراوش، وعدد لا بأس به من الحضر والمشاهدين حسن اندرويش شكل دائري وظنوا هادئين رداً من الرض كأنهم يعطون في أماكن عميق. وإذ ذاك قام أحدهم فتعزى من ملابسه إلى حد المسحرم، ثم ذهب إلى ما يعرف من الغر حيث كانت تحفظ السيوف والحاجر والحراش، وأخذ حفرين منها فرح يعرض نفسه ذهباً وإياباً في دخل لفسحة لصغيرة المحاطة بإخوانه وجمهور المتفرجين وقد كانت حركته بديهي دي به حركات بطيئة تكاد تدب على أنه كان معتمداً في التأمل. لكنه أحد يسرع الحطى وانحركات بعد قليل من الوقت ويلوح بأسلحته حتى

استحالت بالسريخ إلى قنارات ومطبات، وظل الحجاران يلوح بهما سرعه فائقة تكاد تصل البصر على أن استفرح كان موسمه حيم، ينظر إليهما أن يلاحظ بأيهما كان في كل حركة من الحركات يرفعان ويهزآن في حسمه هو كما لو كان يقصد بها أن تخرج رأسه وكتفيه ونطه لكن الحجارين كان معقداً من حيث . وأمسيهما لم يكون يصران الجسم مباشرة، وكان هو يحرا الحجارين بحمة ومهارة بحيث يصر جواده بهما من دون أن يبرلهما على المكان الذي يوجهن إليه مباشرة يضاف إلى ذلك أن الحجارين لم يفحصهما أحد، وهما لا بد أن يكون غير حادين على ابوحه المطلوب اعتيادياً على أن الجسم مع جميع هذه الاختصاصات لا بد أن يصاب بعصر الحروح عرصاً أو بانقص، وحسماً أمنت النظر وحدث أحد هؤلاء، لا راوش يرف دماً من ظاهر بطنه

ثم أحد سيماً، أو سيفين يند ذلك فأعاد نفس الحركات الجنوبية وهو يصنع صوب نفسه بهما في مختلف الأماكن من جسمه وعمل علامة على ذلك إلى وضع حد لسيف على بطنه ثم سمح للدرويش آخر أن يتقدم من حلقه فتمسك السيف من لفصة والرأس بكل يديه لتبين كأننا تستفاح حول محرمه، وبعد ر صغط على السيف وهو هذه الوضعية وشده عنه بقوة فعه قدلاً إلى أعنى وأخذ يدور به مرات عديدة بحيث كانت قوته المركزية كلها تضغط بطنه على مشعر لسيف نفسه ويرغم كذلك أن الدرويش في بعض الأحيان يستنهي على الأرض فيوضع حد لسيف على بطنه وهو في تلك الحالة، ثم يأتي حد آخر به فبدوس على ظهر السيف بكل قوته، ومع ذلك لا يؤدي كل هذا إلى حصول أي حرج في جسمه لكني به أن هذا يعني أنهم زعم كذلك يعررون حركات الحديد، الساحة أو الناده، في عيونهم وسائر لموضع ارفقه في أحسامهم من دور أن يصادوا بأي نوع من الأدى على ما يظهر، ولذلك لا يسعى أن أقول كيف يجري تدبير هذه العمل كما أنسى لم أر مصلحاً معجرات الجماعة هذا الأمر، مثل منك حرات حسب تكون ساحة إلى حد الاحمرار وحكها به حوهم وأحسامهم لكنني شاهدت ما يكفي ليحتمل على الاعتقاد بأن مصيبة كنها به تكن سوى مهارة سيطرة بعد لتؤثر في جمهور من المشاهدين حسن اسه سهل الانحداع وأن العبد الذي يصب من بصره بمصير

غير المعتقد لا بد أن يعمل على حماية هؤلاء لعشائير المتطعنين على القدسية من أخطار الشك بهم ولتدقيق الجريء الذي قد يتعرضون له

وقد ربما في فرصة حرة مرفد ولي مشهور من أولياء لسة، يسمى مرفد الشيخ عبد القادر الكيلاني، الذي شيد تحيداً له هنا صريح وجامع من أفخم لأضرحة وأنجوام لموجودة في هذه الجهات ويتنظر الزوار على ترته هذه من الهند وأفغانستان وبحاري وبلاد التركستان ولم يكن حصولنا على ابرحصة للارمة لذلك يحلو من صعوبة، أو اسجوب على الأقل، وخاصة حينما طلسا مشاهدة داحية هذا الصرح المقدس الذي يشرف عليه موظف ديني يسمى «النقيب» ويعتقد أنه صليل مباشر من سلاله القديس الأصلي نفسه لأن اوضع هنا كان على جانب أكثر من الأهمية قبل أن يحدث العرق الكبير وتوأتوا عني باشا مصب لشوية فقد كات هذه المحنة قبل وقوع الحوادث المشار إليها سكنها جميع لسة والمتشردير الموجودين في البلد إذ كان الناس الذين يشعرون بخطر الوقوع حتى في قصة العدالة المبرجة في بغداد، بحموم في ظل هذا الولي الكبير، وبذلك كان يمكن العثور هنا على جميع النصوص والمحتالين، وجميع القنة والبلطجية»

فكنت «أزشبه» بغداد هذه، وسكنها المحتلطون، يمارس فيها صديها النقيب بوجه عام شيئاً لا بأس به من النعوت واسيطرة، كما كان اسكن يكافئونه على حمايته بهم بمقدار بسيط من نصاعه، وحمايه تحوم ممتلكاته ضد المصوليين والمتطعنين وكان قليل من الاشواق في الحقيقة من سجرأ على التدخل في ترتيبات عش الرعايف والأولاش هذا وحاميهم الديني، أو يقدم على سوق الصايط أو الحدود صدهم حتى داود باشا نفسه لم يستطع فرض إرادته على المحلة مع أنه برهن في مرات عديدة على كونه رجلاً لا يستهان به فعزل النقيب وصرىها بالمدايع أحداً بلقصاء على روحية الشعب المسيطرة فيها. كما لم يجد من المناسب أن يشير روحية التعصب الديني إلى حد بعيد بانحداء جريء ذات صانع متطرف في لشدة والحلاصه، أنه لم

(١) Aisatta، الظاهر بها مطبخه كان يلجأ إليها الأشمر في لندن على ذلك العهد

يكن هناك من يحرق على الداحول إلى لمحله إلا أرنك اندين يستطيعون جعل
 « لأشقاء» احقيمين فيها يرحبون به أما بالنسبة لنا نحن اندين كن عماره عن
 لقيت من الكفر فقد كان لا بد ان يتقدم صدد قصيع من اشير لنهاجة لو
 أردنا أن نقوم بزيارتها هذه في ذلك العهد والزمن

ما المستر ريج^١ وحقيقته أنه لم يف بزيارة لقيت فقط من سمح له
 أيضاً بأن يدخل الحقم ويورده. لكن طريقه إلى ذلك كانت قد دألت صعوبته
 بالهدى الشبية التي كان يقدمها إلى ذلك المرحل المرموق، ولقد طمأ به
 لم يدخل إليه منذ ذلك الوقت سوى جماعة واحدة من الافرح لكن ذلك
 المشهد قد تبدل اليوم إلى حد كبير - فقد أسي الطاعون على جميع سكان
 الأوبش في هذه لمحلة، وأثر العرق في كل بيت من بيوتها تقريباً عدا
 المرق، ومحققاتها مباشرة، الذي ازدادت شهرته وفدسيته بمصاعته هذه التي
 تعزى بلا شك إلى عمق الأسس التي يسه عليها ومساها - إن لم يكن من
 لمحله سوى جدران منهمة وبضعة بيوت حديدة شيدات بعد الكفة ولم يعد
 أحد من المدافعين الأشقياء اندين كانوا يدافعون عنها، ولذلك بعدها اليوم
 مفتوحة لكل من يرغب في زيارتها.

وقد كنا احصاعة الثالثة التي أدت رعتها في مشهدة المك، فطرب
 لصب في بادئ الأمر بالهدايا التي أثبت لنا أنه قد تسلمها من المستر ريج
 على أني حيم حبرته بأنها لم تكن سوى ساح بسطين لم تكن بعينه بأنها يحب
 د يدفع مثل هذه لأجور الهطة عن لوزيرة برعم رعتها في شاع حب
 لاستطلاع الذي يساورنا، أحاسنا بحباب لصف، فذهب إليه. وقد استعصنا برفه
 لمتفصل علينا في غرفه صغيرة حقيرة كانت جدرانها مسية من الطماوق غير

(١) Claudius Rich انعيم البريطاني المشهور الذي شغل مقبته بغداد في ١٨٠٨-
 ١٨٢١م وتجنون في شمال لعرق خلال مدة وجوده ورر عالم فكيت عن ذلك رحبه
 مشهورة وقد اسهب أدبه بعدد مروع ملي شب به وبين دور بانها في
 ١٨٢٠-١٨٢١م

المصر وإذا كان هذا يُعزى إلى بظهور بمصر متوضع فاب ملأسه لشخصية لم تكن تؤيد ذلك. لأنه كان يرتدي ألبة حريرية فحرة وفرواً ثمياً، وكان يضع فوق راسه عمامة بديعة من لئال الكشميري - التي تكاد لا تنف مع لمظهر بدي يظهر به اندراوش غير د لاوياء والفديسين في هذه الأيام يتمتعون بامتيازات غير بسيرة، ويقال ب هذا لرحل المات يتمتع شراء فاحش وقد كان حديثه محفوظاً نوعاً ما، فأظهر لنا ما يعبر عن بكران للدب من لعواطف التي لم تكن بالناكيد حارحة من المص لأنه في قراءة هذه كان من لحررين المشهورين على القانون، وخاصة لمشروبات لقوية التي كان يصبر إعداداً شديداً بها. فإني أعتقد في تحقيقه أن هذه المحلة كانت في أيام عرها تستهلك مقداراً من لخمير ولعز يريد على ما كان يستهلك مهم في لمدية كلها. وكان لهب شخصاً رجلاً حسيماً، طربل الناعة، أنص لشرء، به ألف أقي وعسان رقاوان كبيرون، وشكل رفيق الشمائل

وبعد بديم اشطب لمدح وتناول القهوة، التي لا بد أن تقدم في كل زيارة تركية، توجهنا إلى سمرند والجامع لذين كانا مستحقان تحمل لإرعاع ولحشفه من أحدهما إذ يوجد لمر في انداقل تحت قبة في حاح عشن الجوب (أو مربع)، مزين كالمعبد بالاحر النقشاني، لذي كبت عليه يات من القراء الكريم، ومفروش فرشاً لا بأس به بالسجاد ويقوم من فوقه سرادق من الحجر لأحضر، كما تحط به شباك على من المضة المصلة. والعرب في الأمر أن هذه الشاييك كانت هدية من أحد اليهود لهذا المرقف وقد كان هذا لشخص "صرفاً لأحد باشوات، وفي أحد الأيام اصططحه سببه في زيارة تعدية لهذا المرقف فأحبر هناك بأمر من عده العرب أن يقدموا هدية من

(١) ربما كان هذا الصراف اليهودي إسحاق لذي كان مقرراً عند داود باش ومن مشاوره اخاصين على ما يقور بعض الروايات، حتى أنه سئاره في نصبه مصل صادق أفدي اعبرحي لمار ذكره في هذه المرحلة وقد يكون المرحلة يومه من صراف اليهودي الذي كان مقرراً عند سليمان باشا الكبير الذي حكم قبل داود بسنة طويلة، أي في أواخر القرن الثامن عشر، وعلى كل فحن لا نعلم مقدار الصحة في هذا الخبر

الهدايا في أثناء لزيارة، ومثل عن الشيء الذي كان مسعداً لتقديمه وأجاب
يقول: إن العدة إذ كانت كذلك فلا بد لي أن أتقيد بها بطبيعة الحال دعوني
أفكر قليلاً، وهذه اشدييث مصنوعة من النحاس في لوقت الحاضر نعم
إنني مستعد للصرف على استعادتها بالنقصة. فقولل سحاء اليهودي بالرحب
الكثير، وربما لم يخسر كثيراً في النهاية على كل حال.

أما الجامع فهو ساية كبيرة جداً تشعل فسمماً غير يسير منها شرفوت
ومصليات جاسية، على أنه يوجد في وسطه تحت القبة مباشرة فسحة بشعلها
جسح واسع عال جداً وهذه العرفة. المربعة التي يتراوح طول لصلح الواحد
مها بم لسمير و لسمير قدماً، نصف إصاءه حسه بشاييك موجودة في
أعلاه، ومجهره من أجل الليل بعدد من المصاييح المدلاه من السقف وقد
دين لسمير لأسفل من لجدران الحاييه ولمكتب، او مكان لقراءة، بالاجر
القاشاني وفش فرشاً بديعاً بالسجاد تحت سده الوصع لعام فيه وذبه عرفة
استقباً مريجة وليس محل عبادة عار عن كل شيء كما هي اعدة في كثير من
الأحيان، واسقول أن هذا الجامع يمكن أن تسع لثلاثه آلاف شخص في وقت
وحد في أثناء الصلاة ويحاط لجامع بمرج من الأجسحة بني نحوي على
حجر مشه حجر الحانات، وهذه يمكن أن يسكن فيها الزوار القادمون من
مختلف لبلاد ومطعمون من واردات المؤسسة التي بقل بها كتبه جداً، وقد
فتشت بين اليهود الذين كانوا هنا على أناس من جهات الهند التي أعرفها،
وحاصة من دلهي، لكسي لم نجد غير رحى واحد فقط كان قد ترك لبلاد منذ
أيام أوكتلوبي.

وقد قادنا حولة أخرى من حولتنا في المدينة إلى ارتفاع المسارة القديمة
التي ألع إليها دكنهام في رحله، فشاهدنا من فمها منظر عدا لسطوح
البوت في بغداد وبعض الأسوار القرية من، التي كان مكتظة بالأس غير
أنه لما كان مثل هذا المنظر العام في بده شرفة لا يمكن أن يكون طريقاً جداً،
عدا في الصباح الباكر جداً، فإنا لم نلق كثيراً فوق القمة فدهنا من هذه
إلى دار رحى من رحى الدبر لفرسين، وهو المبنى اعم لجميع الكاثويث

الموجودين في هذا الجزء من العالم. واحصاه أن طائفته هي صغيرة، لا تتجاوز في عددها لألف سمة في بغداد من جميع الأنواع والأعمار وليس من المحتمل على ما يظهر أن يحصى تحس في ظروف وأحوال كنيسه روما في الشرق، حيث إنه يقول إنه ليس هناك من بين لأديرة الخمسة الموجودة في أصفهان سوى دير واحد لم يتهدم، وهذا على ما اعتقد يشعبه حداث فقط. وقد كان في الكنيسة هنا، وهي ساية راهية جداً، شيء واحد فقط يستحق المشاهدة وهو صورة كان قد جيء بها قبل مدة طويلة من البصرة، وهي حميلة جداً على ما رى. فهي تمثل لعمري وطعلاً واقفاً وفي يده عصا لأرهرار طير من لطيور كما أطر. وقد علمت أن اليهوديين جاءوا بها إلى البصرة قبل مئة سنة تقريباً.

وكان صديقه لقس على د حة كافية من اللطف، لكنه كان كثير الكلام وانشغل على نفسه لأنه بقي مدة طويلة في هذه البلاد المتوحشة، التي لا يعمل فيها رئيساً لكنيسة. وما فحسب، وما يؤسى أيضاً وكالة البابا، الحكومة الفرنسية كذلك. لكن هذه الجهات كلها لا تدفع له شيئاً كفاً من المال لأنه يضطر لإعاشة نفسه بوسائل أخرى. ومن أجل هذا تراه يتشدد مع أفراد طائفته، ولا يحرج أحد من الاعتراف دون أن يدفع شيئاً غير يسير من المال لهذا الوكيل الأرضي. وهناك أسيرة من الأسر جعل مكانها حرجاً في هذا العالم لكونه يأبى السماح لرئيسها الذي مات مؤخراً بالخروج من سجن المظهر ما لم يدفعوا له مئلاً محمماً من المال - به يقول إن الرجل كان كثير التدب، وإن صغيره لا يطاوعه في إطلاق سراح وجهه المسكين من دون عويض أو برصعة فريده في يديه.

(٩)

محاصرة عمرة للمدينة - المحالة في العسات - أسببها - قحاورات إليزمار - وفاد شاه إيران -
 المراع مع عقين - ناربع القبله - توطنهم بي بعدد - طلب الباب إليهم معادرة بعدد - رفضهم
 لذلك - عصيان القبيلة وتجمعها - قطع الجسر وبداية المعركة - رفضهم لذلك - عصيان
 القبيلة وتجمعها - قطع الجسر وبداية المعركة - أسببها - استخدام رورق الحقيقية
 عبور - إيران الحند - محوم على الحسر - النهب والهرج - شائعات وأخبار - السلب - عصيان
 معادرة بعدد - خسائر الجيش - قطاعات الحند

الأربعاء ٢٨ تشرين الثاني ١٨٣٤م^{٥١}

في الدور الذي لعبه الشيخ صغوك وقيادته اجرتا من قبل تقوم بدور مثله
 الآن قبيلة عنزة فقد كانت بعد ما أر وصلنا إليها في حالة حصار فعلي يد
 - يمكن توسع أحد أن يحرج لي مسافة مهما كبرت قربة من الأسود من دور أن
 يتعرض إلى اسلب على عبد الاحتمار، ولا سيما في الجانب الغربي من
 لها وقد كتب أبوق للذهب إلى عفرهوف^(١)، موقع لحرائب الأثره

(١) جاء في الصفحة ٣ من نسخة مديونة الآثار العامة عن عفرهوف أن هذا الموقع عرف
 باسم عفرهوف منذ أزمان بعيدة وقد رآه في منتصف القرن السادس عشر
 سبع كثيرون من مختلف الأمم، وقد طعن بعضهم خطأً في «لبرج للمدرج» هو برج
 مائل المذكور في اشتهار به غير بوجه صحيح منذ منتصف القرن الماضي بأنه
 موضع المدينة الكشية (المصية) المهمة المعروفة باسم «دوركم ريكالرو»، هذا وقد
 أيدت التقنيات التي قدمت بها مديونة الآثار العامة حديثاً هذا التحسين، وإن دمر
 بأسر لمدينة يعود إلى عهد الملك كوكيكازو الأول في بداية القرن السادس عشر
 من الميلاد وأنه ظل مأهولاً إلى «مصور» محاصرة مثل العهد السابق أخيراً =

المعروف، المعاصر خزانة نابل وديي بعهد الكومون زيور أنه موقع أكد
 الوارد ذكره في الكتاب المقدس. لكن أصدفان رجال عرة قد جمعوه مركزاً
 لتجمعهم، فلم نجراً على الخروج إلى هـ. لا وفي متورواي سيطرتهم لا عبر
 الجزيرة لوفعه ما بين دحله ولهرت، واستولوا على طريق لحنة بحث لا
 بمكر لأي أحد أن يذهب في ذلك لأجده ولحققة ان كل شيء غير امن هـ،
 لأنهم ليسوا وحدهم، بل كل وعد من الناس وكل نصر في عدا أو فيما حولها
 قد حرج لسلب باسمهم أيضاً. فعد لكثيرون من المساكين وقد سلبت حتى
 ملابسهم، ولم يعد توسع ابن قافلة لبس معها قوة كبيرة أن تسير في ذلك
 الاتجاه. ونقل إن البابا يقوم سموصة فينة عره، ويحول حرباً على خطته
 السابقة أن يروع بذر الحلاف بين عدد من أحرار لعشيرته وقد دعي كالمعتاد
 عشيره أخرى مساعدته كذلك، وهي عشيره ريد ولا شتت أن هذا يعود بالوان
 عليه وعلى لبلاد بوجه عدم، ولكن هذه هي مسسته لسفينة على ان رجال
 عرة، أو الذين يتحنون منهم، لا يعاؤون لا قبلأ على ما يسهو بهذه
 المعصوب. فقد سلب عدد من رجال لپاشا نفسه في مكر فريته من أبواب
 المدينة، وكان من بينهم يوسف بك الذي يحمل لقب «باب العرب» أي
 الموظف لرسمي الذي توسط بين البابا وسهم، بعد أن كان من مصدحي
 البابا نفسه فأعاط هذا سمود بحيث صدر نغول إلا أنه سوف لا يعامل معهم
 مطلقاً وقبل يومين فقط سُمع كذلك صوب إطلاق النار في لجانا لعربي من
 الهر، ولهرت من برة وسده. فسر أن نبعأ سلاباً من عده هـ حـ المصطفة لى
 حد الاسور نفسه واستولى على جميع ما فيها من بن و عمام وما أشبه

= (١١٠٠-٥٣٨ ق م) والمهد فارسي الإحمبي (٥٣٨-٣٣١ ق م) ووجدت آثار
 سكنى مهمة من اليهود العربية الإسلامية والمعروف من الكتابات الموحدة في باب
 جان مرخان ان عقروفت كان من جملة الأوصاف التي أوفقت على جامع مرخان
 وجران مرخان

١) هو الموصف العربي في ديوان سلب الذي يرجعه الفاضل العربي في مؤلفه مع
 الحاكم. وقد شغل هذه الوظيفة المصن من أبناء أسرة الشاوي المعروفة

وبصعب هذا كله على لسبح من مثي الدين بعد التأخير لاسه لهم شيئاً متعباً وخطراً. هو خطر على الأخص بالنسبة لعدد الكثير من لرواد الإيرانيين كذلك، الذين يأتون من بلاد بعيدة لزيارة المقدسة في كربلاء والحج الأشرف، فقد عدد أركث الذين دفعتهم حه سنهه منهم إلى الجاسر على سطه الأعراب وقد سبوا إلى حد العربي، ومن دور أد يرد العتات بأعهم ومن لحنائو التي تدل على ضعف لحكمة الحكمة لنام في هذه الولاية أن جميع لعتات التي لها قدسية خاصة تقريباً قد جمعت ملاداً لشر أسس في المجتمع وأكثرهم تفاهه، ولا تزل في وضعها هذا حتى لآر ومن المحتمل أن يكون هذا قد نشأ عن طسعة الحماية التي يقدمها هذه الأم كن لاس من دور تفريق بينهم، ولأن هذه الحماية يستعها في الدرجة الأولى أسوا الخارجين على القانون من أساس بطبيعة الحال لكنه على كن اعتبار لا يسمح «المؤلي»، ورجال الدين أو حدم بحصره، لسلطات الرمسه ب تعرض له وهكذا يجمع أصحاب السوء - وقد يدفعون الكثير من لمار من أحر الحصول على الحماية حتى يكون في مفدوهم لهيئة عليها كما هي الحال في محله^(١) الشيخ عبد القادر بعدد نفسه وقد حصل مثل هذا لوضع كذلك في لحج وكربلاء معاً، ولكن بمقياس أوسع وحالة أسوأ بكثير د ارداد عدد المتمردين المتجسعين هناك بحيث لم يعد من الممكن لحكم امطقه ولا لسلطه «باشا» أن تسيطر عليهم وهؤلاء لا يفعلون ما يريدون فحسب، بل كانوا أيضاً يطلبون من لرواد الدين يأتون لزيارة العتات المقدسه الإذعان لأوحش اضطبات وأبعده عن المألوف والمحقول، وفي حالة عدم الاضباع كانوا يهبون أمعتهم ويحرقونهم حتى من ألسنتهم. كما يسلوهم روحانهم وسابهم في بعض لأحياء وقد استفتح هذا لشر بدرجة اضطرها دود باشا نفسه إلى تجريد قرة صا هؤلاء في الحج، فصح في إحصاعهم للطاعة.

ولا يزال كربلاء في حالة ثورة^(١). فلم استطع البرمار والقننة والسفهاء انذين يكتوبون عدداً كبيراً فيها، من صد الجيش الذي جرده لباشا عليهم فقط بل أصبحوا أيضاً يهيمون هيمنة زمة على البلدة كلها بحيث لم يكن توسع أحد أن يعصي لهم أمراً أو يتحداهم من دون أن يدل حراة فقد استدعوا ضريبة سرية بالانصال ولقد هم فيما سهم لا يحيط بها غير لداخمين في (مرتهم، وبواسطتها يستدعون أن يجمعوا في أي مكان كان قوة غير بسيرة بأسرع ما يمكن وبذلك كان اساس المحترمون يحشونهم بحيث لا يجرأون على بد، أي مجهود أو اتحاد أي حراء من الإحراء لمعارضهم وحتى لحماية أنفسهم منهم فقد حدث قبل مدة غير طويلة أن غضب هؤلاء على نواب^(٢) هندي كان

(١) جاء في إحدى المخطوطات التاريخية (مجهولة المؤلف) التي ينقل نصها كتاب (دريج انوار بين ختلاين ح ٧) ذكر مفصل لحالة كربلاء في هذا الدور، وبنوده المنشور فيها فيقول صاحب المخطوطة «بلدة كربلاء كانت عاصمة علي ورء بعدد غير محبب باش إليها وحاصرها وكان بها سيد برصعري ترأس على أوباشها وسفهااتها، وأطاعه أراذل البلد وعددها من أيام - ود كان اعاصين - لا أنهم يؤدون شيئاً قليلاً عوض حرجهم، وكل من يعمل مقسدة من العراق أو يأكل من الناس يدفع إلى كربلاء ويحارب هؤلاء لأرادن حتى اجتمع عندهم مقدار عشرة آلاف مقاتل من خلاف الناس وعصمت أيام داود باشا وروى علي باشا أيضاً في كربلاء حتى أنهم امسكوا مره أحد معتهديهم اسد إبراهيم القروي بيلاع ولم يطفروه حتى أدى لهم أربعة آلاف فدان من سكة محمد شاه وكانو معسدين ذوي جرعة على أعراض اساس، وأهل اسد بهاونهم، ويحافون على أنفسهم، لأنهم متى أرادو هجمو على مت أحدهم ويهوه والحاكم هو من أهل البلد صرع أبديهم وفي أيام علي باش حاصرها وخرج إليه سادات البلد، وعلماؤهم، وتكلموا له بزيادة لإيراد فارجل عنهم وكان لا بدني بعضهم ومرواه الدارهم فقط، وقد أدوا به سبعين ألف فدان المثل اثنين عند يؤدونه إلى داود باشا فرصي وتركهم»

(٢) لا يزال أسير النواب في سجون كربلاء، وعددها بعد هجرها من الهند موجوده في المدينتين حتى الآن

قد أقم في كربلاء مدة عدة سنوات، فهاجمو بيته ونهبوه ثم أخذوا البيت منه ودمروا ممتلكاته من دون أن يكون توسع أي حد معهم أو التصدي لهم شيء، فاضطر لهرب المسكين إلى الهريمة والنجاة بنفسه إلى بغداد التي لم يزل يقيم فيها على ما أعلم وهم يذهبون في فسادهم وحلاعتهم حتى إلى حد أنهم، حينما يعلمون أن أحد بروار بصطحب معه روحه حميلة أو أحياناً حساء، يبعثون ليأتون بها إليهم وحينما يرفض ذلك يعمدون إلى سرقتها منه بحيلة من التحل أو إلى اعتصابها بالقوة. وكثيراً ما كان يحدث ذلك أن تفقد روحات بعض الناس على هذه الشاكلة لمدة أسبوع أو أكثر، فيحدث إلى أهله بعد ذلك بحالة يرثى لها، فقد سمعت أحد الإيرانيين أن بنفسه يتدبر من معاملة زوجته بهذه الطريقة. وبعد، لسبب هذه الحالة ودعوى بصراحة إلى الاقتصاد والإصلاح؟ إنها واحدة من ألف حالة من حالات سوء الحكم والموصوية التي بلغت بطن أولئك الذين يملكون بالبلاد، وتلب على تعاسة سكانها وشعائهم

أول كانون الثاني

لا يزال لأعراب مرابطين في عقربوف وعلى الطريق الموصل إلى الحلة بحيث نستحيل السفر إلى تلك الجهات الآن. غير أنه قد تأكد لدى الناس أنهم أخذوا يتنازعون فيهم بينهم، ولا أدري إذا كان ذلك يعزى إلى تأثيرات سياسة انقسامهم أو إلى قلة ما يبسر من العنف والسلب. ومع كل هذا فإنهم ما زالوا يسيطرون على لريف من دون معارضة إلى حد أبواب المدينة نفسها. لقد وردت رموش من ششتر يدل على أن إيران تعاني أشد حالات الموصى والاضطراب في الوقت الحاضر، وأن عدده قوه قد بلغت حتى استحالة خروج أحد في الطريق وتفق الرويات الواردة من همدان وكرمشاه مع هذه الأحكام أيضاً. ولم يمد غير ذلك سوى وفاة الشاه^(١) في أصفهان.

(١) المعروف في التاريخ الإيراني أن فتح علي شاه القاجاري توفي سنة ١٢٤٤ م في ثمانه و ستين من عمره بعد أن ظل مريضاً على دست الحكم في إيران سبعاً وثلاثين سنة فأعقب ذلك مروج عائلي على الحكم بين لاباء بدأه فرمان فرما حكم فارس



من مقامي الشاه في بغداد ١٨٢٧م

٣ كانون الأول

مرآتية كاتر سراج

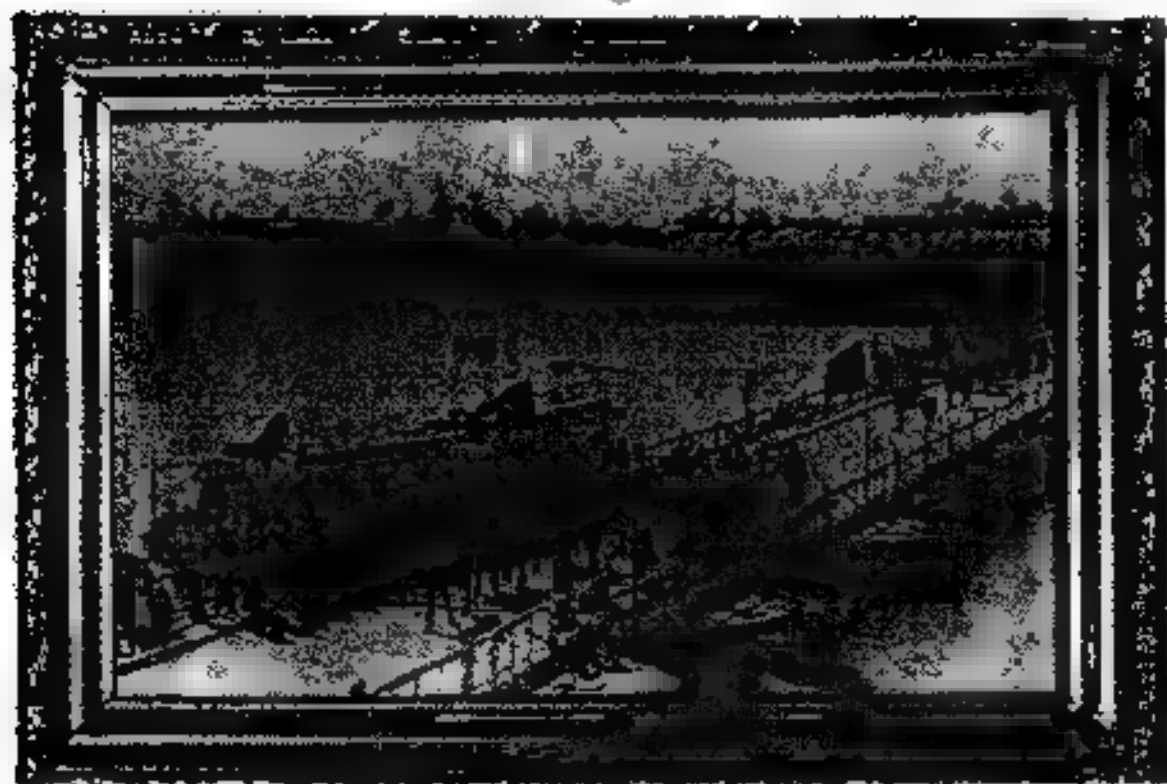
يبدو من أخبار إيران الواردة إلى هنا كلها أنه تؤيد خبر توحه حسين علي ميرز علي طهران وإعلان نفسه ملكاً فيها، ونشير إلى أن أخاه حسن مرزا قد انضم إليه وسل سيفه بعد ذلك فقطع رزوس عدد من الأمراء الذين كانوا قد رفضوا الاعتراف بأخيه أو كان يشك بأن بهم آراء خاصة به، وأن أمين الدولة قد انضم إليه أيضاً مع بعض النبلاء الأقوياء، واستوى علي لقصر في طهران مع الحزينة، وأنه لم يسمع شيئاً عن ولي العهد محمد علي مرزا، وأن الحالة

وطل السطان حاكم طهران، اللذان أعلن مطالبتهما بالعرش غير أن تدخل الإنكليز والروس في الأمر أدى في النهاية إلى أن يسير ولي العهد على رأس قوة غير يسيرة، بقيادة السرحري لندري بشون، فيحتل طهران وينصب ملكاً فيها باسم محمد شاه وقد كان بصحب الحملة أيضاً الوزير لعمروسي في إيران (عن تاريخ إيران ج ٢ لسر بيرسي سايكس).

في كرمشاه لا تزال هادئة، لكن لقباثل قد خرجت عن الطوق وأخذت تنهب
 نمياً وشمالاً بحث لم بعد المسافرون يأمنون على أنفسهم. وكان أحد الرسل
 الذين جاءوا بهذا الخبر قد استقى بانقرب من بغداد بقافلة كانت فيها سب من
 نبات الشاه اساق، وهي عاثاة من الزيادة في كربلاء فأمرت بجذع أنه
 وقطع أصع من أصابعه للأحار لسنة التي كان يحملها، فوصل إلى بغداد
 بهذه الحالة.

٤ كانون الأول

لقد انقطع ونير السام والاطراد في هذا اليوم بحدوث حادث سم نكي
 من المنتظر أن يحدث وهو حصول قتال بين لأعراب في داخل أسور
 بغداد ولكن قبل أن آتي على وجه المعركة يجب أن أشرح الأسباب التي
 أدت إلى وقوعها.



جسر بغداد قبل مثل عام

فقد كانت لأحوال بين الياشا و قبيلة عمرة تردد سوءاً على سوء في كل مدة منذ مدة غير يسيرة، وطل إقلاق البلاد وانعث بها يرداد شدة واتساع بحيث إن أشخاصاً محترمين قد سلبو في أبواب المدينة نفسها وانقسمت لعشيرة على نفسها إلى عدة جماعات، حتى صار من الممكن أن مشترك لفائل العربية الأخرى في البراع أيضاً فتشتعل عند ذلك بلاد ما بين النهرين كلها. وقد حدث في الأخير أن سلب عدد من صباط الياشا نفسه بالعرب من المدينة، ودلت التحريات على أن هذا الانتهاك قد أقدمت عليه جماعة من قبيلة عقيل، التي كانت تعيش في القسم العربي^(١) من المدينة، فقرر الياشا وقد ثارت ثورته لهذه الإهانة الصادرة منهم أن ينقم انتقاماً عاجلاً من القاطنين.

وهؤلاء الأعراب هم جزء من عشيرة كبيرة قوية تقيم في نجد، وتتخذ اتفاقاً مع فلب ستين منه مع سليمان باشا حثكروا حراسة القوافل ودلائنها ما بين هذا المكان وحلب ودمشق ولأجل أن يتسنى لهذه العشيرة أن ترود لقوافل بلعدد الكامي من لادلاء المطلوبين اعتدت أن تقي على اندوم عدداً معاً من أفرادهم في بغداد برعاية شح منهم، لكنهم لم يسمح بهم إلا مؤخرأ بالإقامة في دخل الأسوار. على أن براعاً قد نشب في هذين السنين أو الثلاث، سبب حصومه قديمة كانت موجودة بينهم وبين جماعة أخرى وبذلك كان العقيل غير مكتمل بطرد خصومهم بصدوا لقافلة عبة كان حصومهم هؤلاء يشرفون على حراستها من حب إلى ما يقرب من بغداد، وأعلنوا أنهم ما لم تلب مصالحهم جمعاً فإنهم سيهتدون لقافلة ويتركوب أسلاد ولم كان لباش أصعب من أن يستطيع حماية القافلة، التي كان ينظر وصولها إلى بغداد بصر دود لأنه كان يعلم بأن الرسوم التي سوف تجي منها فتذهب إلى حيه تؤلف مبلغاً لا يتهاون به. فقد دعى لطساتهم جميعاً. وقد كان من بين الأشياء الكثيره التي ساهل بها معهم لسماح لقريق من القبيلة بالإقامة في بغداد بشرط أن يطلوا بالكبة مقيمين في الجانب الغربي من النهر.

(١) أي في جانب الكرخ بطبيعة الحال

وهكذا شرع العقيل يقيمون في امداحل، وأصبحوا منذ ذلك لوقت سادة لا يسدعهم أحد في ذلك النصف من تعداد فكانوا، كاليرمار^(١) في كربلاء ومحبة اشبح عند القادر لكتلاني في تعداد نفسها، يتحدون انوار فيحمون جميع المشردين والأشرار المسودين لذين ينتحون إليهم، ولم يكر توسع أحد أن يقيم في ذلك الجانب من لهر، لا بعد المحصور على السماح الملازم منهم^(٢) ولحلاصة، أنهم كانوا هم حكام محلتهم ومطقتهم وليس اباشاً بانداب وقد ظل اباشاً رديحاً من امر من برماً بنوهم ونحرمهم وعاماً على بادسهم وإفسادهم عند حدهم ولكن من دون أن يجرؤ على تنفيذ ما كان يريد في هذا الشأن، حتى حصل الحادث الأخير فأثار حميظته عليهم كما ذكرت من قبل وأقدم على استعمال سلطته بهاج وحقو إذ نعت من يحبرهم بمعادرة اجدسه في الحال، وإلا فيضطروا إلى طردهم عنوة غير أنه لم يكن من المعداد في ياشوية تعداد أن نطاع وأمر اباشاً ونعد مطالبه ولذلك رفض لعقيل أن يتحركوا من مكبهم لا شروط لم ير اباشاً من الماسب سفيدها وقد حدث هذا في صباح يوم من مذهب شيخ القبيلة الذي ربما أحرقه هذا الإطهار غير المعتاد للقوة في لسراي نفسه بمعاقبه سموره والاعتراض على أوامره وأحدث القبيلة في الوقت نفسه تتجمع معاً، وتستعد لحدوث الأسوء، وحينما اجتمع في احميميه اليوم لسون اعطور لاحظنا من شبايكها درحة غير معدة من الاضطراب والهباج في الجانب المقابل من لهر، كان الناس يركضون هه وهده ويتجمعون معاً على شكل جماعات صغيرة وكبيرة، وقد لاحظت سواطرباً إليهم كانوا مسدحين

١) لا يحصى أن كمنه برمار كمنه بركة يعني بالعربية، الذين لا يفعلون شيء، ويقصد بهم هنا الأشرار من طبقات المجتمع.

٢) كان الناس ومن برنوب في تعداد يطعنون على جانب الكرخ سم اصوب عكيل، ولم يوز قسم غير يسير من سكان محلات القديمه في الكرخ يتسبون لهذه القبيلة، التي مشتهر بها بعض البيوتات المعروفة اليوم مثل بيت الحبي وبيت الكحيمي وبيت سيدان لصاحب وسب للاحد، ولا ترون هناك «قهاوي عكيل» وجامع نجيني وجامع عنام وما أشبه

ومما ينهيا من تناول لفطور حتى رأيت لجسر يصبح مردحاً دليلاً، وكانت القفص تعبر لهر بسرعة ذهاباً ورجاً فقد كان هناك على ما يصح كثير من الهرج والمرج، واستند أب بعض الأشخاص كانوا يحاولون قطع الجسر من جانب العربي فتوقع الكوويين تيلور ولذا كتور روصي أن تحصل معركة في لقوس العاجل. «ستراهم بدأوا هناك، على الجسر في أغلب الاحتمال»، هذا ما قاله لكونويل، ثم أردف بقول «نقد فعلوا» مثل هذا تماماً في السنة الماضية حينما هجم الشيخ صفوك المكار. ومما كان ينطق بكلماته حتى، يقطع الجسر وير إطلاق رصاصه من الجانب المقابل على المعركة قد بدأ فأعقبت ذلك ست إطلاقاً أخرى، وسرعان ما حلا الجسر من الناس عندما أجنب على النار في الجدل من الجانب الذي عيم فيه. وبعد ذلك حقت ثله من المشاة لطاميين عبر القسم الباقي من الجسر، وبعد أن أخذت مرفعها في روافقه لكبيرة لحماية وجهت وبلاً من ناره إلى مهي في الجهة المقابلة كان الأعراب يطلقون النار منه. وقد استمر إطلاق النار لمدة ساعتين تقريباً، لم ينع حلالها سوى صحبه واحدة أخيراً بها وهي امرأة عجوز مسكية أصابها رصاصة طائشة حينما كانت تمر راصة فوق الجسر بأقصى ما يستطيع من السرعة.

وقد حسمت الروايات التي صدرت تنديها الأقوى فقال بعضهم إن أبشاً قصص على شبح العقيل ومعه «لكمركجي» التابع له، وهو وعد معروف، فأمر بإعدامهم وأدعى أحرون أن الشيخ ما راو ساءاً في سنة لواقع هي الجانب الآخر، وقد لأعراب هناك ينتظرون أن يتم تجمعهم ليهاجموا حد الحكومة بقوة كبيرة. وقد تنامي إلنا قبل اظهاره أن الباب عاد الشخ إلى منصبه، ومرف لا يحدث شيء أكثر من هذا سوى السلم والصفاء. وقد توقفت إطلاق النار تقريباً، بعد أن كانت محمد وعود بين آونة وأخرى. ولكن بينما كان أعما مينس^(١)، أحد موظفي المقيمية، يخبرنا بهذه الأنباء اسارة سمعت

(١) مترجم الأول في المقيمية، ومن نسله ميناس لأرميني الذي كان معروفاً بقتاده حتى توفي سنة ١٩٤٨ م.

إطلاقات المدافع وهي تدوي في الجو فصاح الدكتور روص وثلاً «أه بعد أطلقت المدافع، إنها تعلن الانتهاء السار لمساوشاب» لكن انقصة السريعة المنطلقة من السادق واستمرار النار المطلقة من المدافع هي، ثم ذلك كانت تقص لنا قصة أخرى، فاندفعنا كلها إلى سطح لدار لوقوف على لبحر اليعين عبي أن أشجار الحبل كانت تحفي المتحاربين عن أنصاره مع أن دحر المدافع وإطلاق الرصاص السريع قد أفعد بأن قتلاً جدياً كان يقوم على قدم وساق.

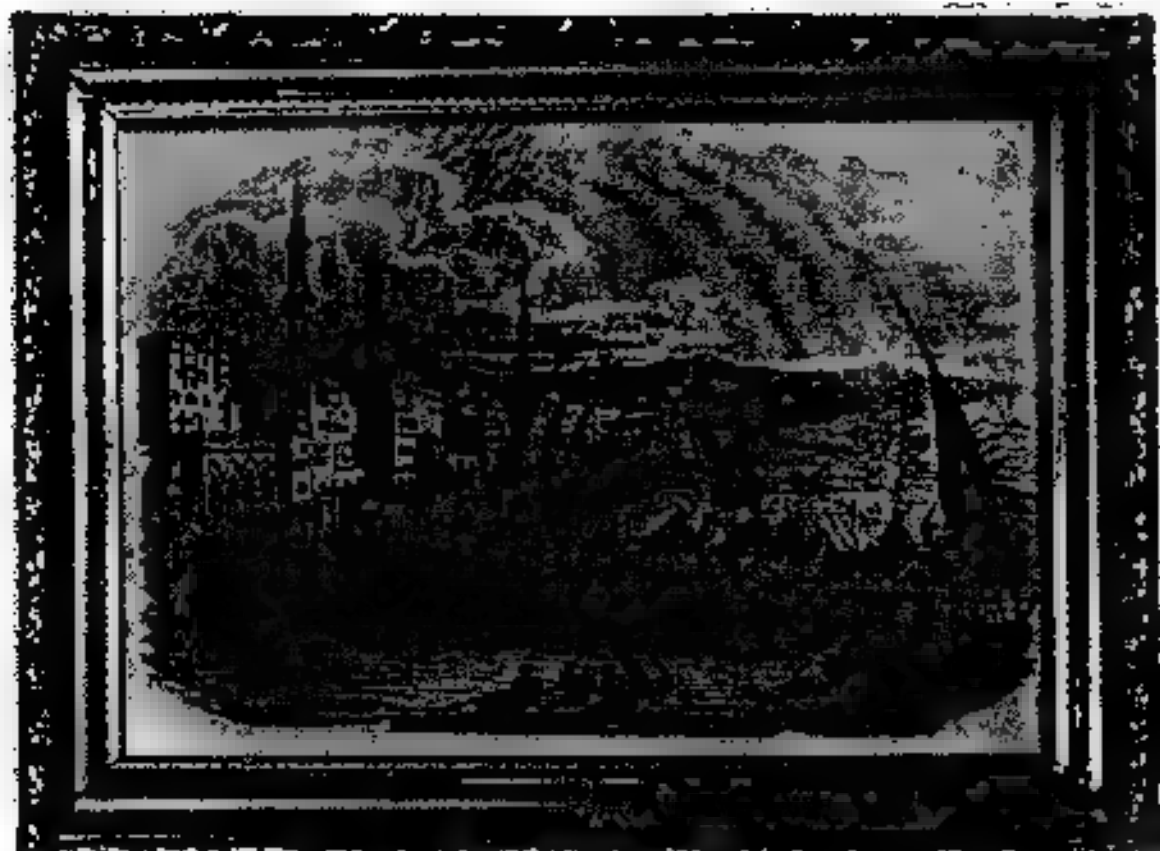
وقد علمت بعد ذلك أن القتال كان قد بدأ أولاً عبي ثم حمر تنهي إلى أسمع عقيل بأن شجعهم قد 'عدم' بأمير من أباشا فقسموا أنفسهم إلى حماعتين جاءت إحدهما لتقطع الحسر وتطلق النار على البدة، بينما بدعت لأخرى من الباب لشماليه تتهاجم الحيد الدين كانوا يراطلون هذه وتفاحيء مدفعيتهم وفي الوقت نفسه عمد أباشا، مهما كنت يبه بأسء دي بدء، بعد أر أحافه الانحجار إلى الإعدام على الشيخ بخلع الشرف وإعدته لنهاة أتعد، يسم بحث سرُّ لى قائد جيشه بوجود في الحجاب العربي بأمره بأن يهاجم لأعرب من الحلف وقد رأينا في الحقيقة مرور الزوارق وهي تحمل الضباط لى المعسكر هناك لكن الأعرب قد دفعوا حدوث هذا بحيث رد لرسول حتما جاء بالأمر من وحد الحيد مششكين لي قتال معهم فقد كان اندفاعهم معاضدٌ بحيث استطاعوا الاستيلاء على أحد المدافع من أن يعرف الجد وقائدهم ما إذا كان المتقدمون يحومهم تلك السرعة من الأصدقاء أم من الأعداء وبعد ذلك قرر الحيد إلى سلاحهم فردوا الأعرب على أعقابهم بفعل السر لسريعة لمطقة من المدافع الأخرى، ومن سادق الجيش لظهي ودارت بعد ذلك معركة مستقلة حول الأسرار عبي مقررة من باب الحلة وكان هذا هو السبب في تجديد إطلاق النار الذي سمعناه

(١) المعروف بـ جانب الكرخ ظم من دون سور يحمله هذه من امر من حتى جاء سلفه
باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٧م) في له السور العشار له

وفي الساعة اثنا عشر، وبعد انصراف الشمس، كانت هذه المعركة واضحة على قدم وساق، وصوت المدافع يتردى في الجو بانتظام بالقرب من باب الحنة في الجانب الغربي، ومن مدفعين كانا منصوبين في الجانب الشرقي لإطلاق النار على الطرف المقابل من الحرس والمهربي للملأى بالأعراب، إذ حصر إلى المقيمة صبط مرسل من الباشا يطلب من المقيم أن يعبره بحته لكسر المصروع في إنكلتر، لنقل قوه بعاميه منحدة ومقداراً من الدخيرة لرحاله اندين كانوا مشتتكن في حرب مع الأعراب في الجانب الآخر. فلم يكن هذا مطلباً مستحسباً على لإطلاق لانه إذ ما تمت تليته فيه قد يعبر تدخل في باعد البلد الدخلة. غير أنه لما كانت عهين في حوله ثوره عسية صا لباشا فقد استشار من الأصوب، بصمصا أصدقاء، أن يساعد السلطات اشرعه على قدر الإمكان وبذلك أعد الوروق ليكون جاهزاً للعمل.

والأمرات محلولة بطيئة فقد استعرفو وقتاً طويلاً في إرجال رجائهم إلى الوروق، وحيثما سم ذلك وحد أنه مرتطم بالأرض ولا يمكن تحريكه، غير أنه لما كان مرسى الوروق يقع تحت شايك المقيمة مباشرة، ولما كان الأعراب قد لاحظوا تجمع الجند هناك من لجانب المقابل، فقد أمطروا الساحل ولسايات لمطلة عمية بوابل شديد من درهم وطلوا يطلقون النار من الجانب المقابل على الوروق وكل شيء من حوله ولا يكر أن عرض لهره كان يبلغ مائتين وخمسين ردة على الأقل، غير أن لقذائف كانت تأتي بحمه عبر الماء، وتفجر أحياناً، وتصيب المقيمة أحياناً أخرى والحقيقة أن وحدة منها قد أصاب جداراً كان يعد عدة بوصات فقط عن رأس الكولوبيل تبلور حيثما كان يقف وراء الحاجر يثهد المعركة بمنظاره وكذلك قبل عدة حدود أو حرجوا في الوروق ولهذا فرحوا جداً حيثما تسي لنا أن نحتمي وراء الأحرار الزرة من حذر لسطح وقد كنا على كل حال غير معرضين كثيراً للخطر. لاسا كان يومهم ملاحظه وميض القايفة قبل أن يسحب لتقي خطرهم

وقد استمر هذا الشيء من التسلية أكثر من ساعتين، إذ تمكن في الأخير

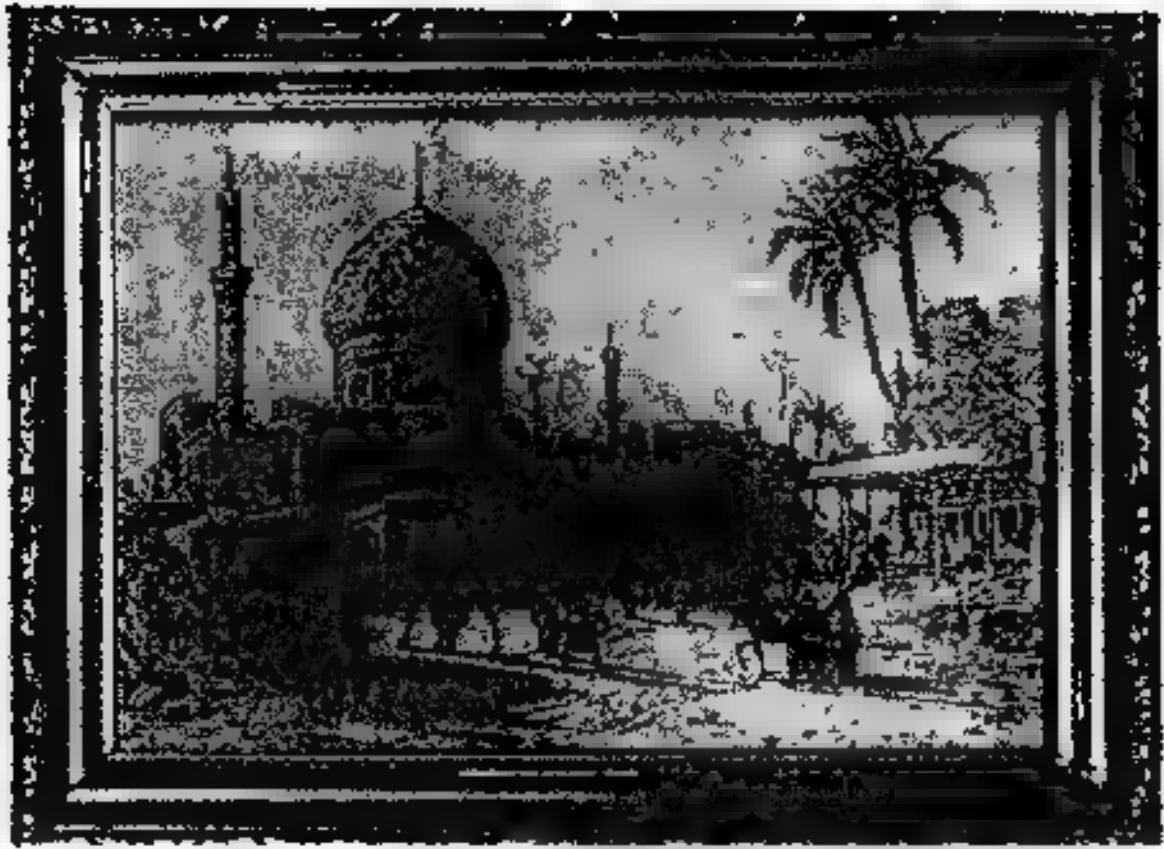


جسر الموصل في ١٨٢٧م
التي كانت في عهد الدولة العثمانية

تطويق أو تعويم البخت وحده مع التبار فأقعدا بذلك من القصف الذي كان يصبه عليهما أصدقاؤنا من الحاسب المقلد ولا بد أن أشير هنا إلى أن الحدود الأتراك، على ما بهم من حرق وعظلة بالسة بلرورق، لم يدعيهم أي إحفال أو بحوف حتى حيسا كنت بنها، عليهم المدايف بكثرة فنصيب عدداً منهم، ويمكنني أن أقول الشيء نفسه بالنسبة لما حدث فوق الجسر، فقد جرت محاولات عدة لنصب الجسر من جديد وربط أحراره لعرض اعور بينما كان الجند يطلق أسار على الأعراب خلال النهار كله، من الزوارق التي لم تكن تحميهم حميه كفيه.

وأخيراً استطاع البحت العبور إلى الجانب المقابل، بعد أن ارتطم بالأرض عدة مرات وانحد إلى مسافة غير يسيرة ومن العريب أنه لم يجد أية مفارمة هناك، فزل الجند البالغ عددهم حوالي مئة وخمسين إلى البر وحفظوا في سدين النجيل الكثرة في ذلك لجانب بأسرع ما يمكن. غير أن صلاى

لدار من المدافع والبنادق، لذي كاد فندماً على قدم وساق في الجانب لعربي
من المدينة ومن اجانب الشرقي عبر النهر، قد بدأ يخف لاد ومن المحصل
أن يكون الأعراب قد صرخوا كثيراً من مدافع كبير في القلعة، كان قد حياء به
لنكون أكثر سيطراً على موقعهم فأصبحوا أكثر حذراً في بعض أنفسهم
وكانت الشمس كذلك قد ماليت إلى المعبى قبل أن يبرن الجود من ليحت
لى لبر، وحصلت فترة توقف كانت بعكر سكوبها فقط بعض الإطلاقات
لمنطلقة هه وهناك وطوب لحد النظمي وأتوا، على أن قرقعة إطلاق
لسادق العالية وهدير المدافع قد بدأت من حياء بصورة مفاجئة - وسمع
صوت عال بعض الحاق لجده التي عبرت بالحش المجارب، ووصل
لصوب كذلك إلى النهر، وحيم تطلع إلى الجسر وحدن لحدن محشدين
فوفه أيضاً وبعد دقيقتين بدفعوا إلى أمام وهم يطلقون النار بسرعة، ففروا
من الجانب الآخر نار حامية استمرت عدة دقائق فقط ثم خمدت أوارها، ولكن
ناظر لأن أعمدة الجسر لم تكن على مسافة عشرين ياردة عن بعضها فإن ربطه
كان لا بد أن ينطبت عملاً كثيراً، وقد شاهدت قفص صغيره عبر النهره الحصف
في الجسر وأعد بصبه كنه بعد ذلك بقليل ولا بد أن يكون لنفسه لأكر من
لرحان قد عبروا على ما تصح، لكن لظلام في ذلك الوقت كان قد حتم
بحيث لم يستطع أن يشاهد أكثر مما رايا، وقد حلب كذلك فرة من الوقف
لعميق للأصوب على أن هذه لم تدم طويلاً فقد توقف إطلاق النار، لكن
صراً وحشياً قد بعلى بدلاً منه صاح الروح المحلظ بصراح النساء،
وجميع أصوات العرب والموصى وليأس وفي حلال دينفه أخرى تعطى وحه
لماء بعدد كسر عن الحصف التي كانت قد التحأت إلى الساحل في بديه
لمركة فكان من الواضح أن الجند قد استولوا على لندة في اجانب الثاني
وأخذوا يهولون ويسبون في جميع اجهات وقد مستمر إطلاق النار، لكن ١٥
لم يكن سوى إطلاق عات كان يطلقه لحدن المعر بدور لصح باب مقصدة، أو
قتل يأس كان يقاوم مقاومة غير محدة ثم اقرب الصحيح شيئاً فشيئاً نحو
النهر محسباً في الحال أكثر من ثلاثين دقيقة، هي عبر محمله بالاحش لهاربير
في كل مرة وسرعان ما ارداد تكاثف الاعلام، لكن الصبح حل مستمراً ثلاث



ساحة الميدان وجامع الشريعة في منتصف القرن التاسع عشر

ساعات من دون أن يتقطع محتضناً بالقضبان ^{من تحتها} وبعد ذلك خيم انصمت على كل شيء وأصبح لمدينة هادئة، وكان الموقعة التي شهدناها لم تحدث فتعكر عليها سكرتها وهدوءها

وقد سمعنا أن «التفكجي باشي»^(١) هو الذي حث رجلاه لمقدم بالحركة الهجومية فوق الحسر التي كانت حرية بالجند المتظم وحيما وجد الأعراب عزمهم هذا تحلوا عن مكانهم فغير الجيش. فنهب السوق النكائن بالمرب من الحسر في الحال، وبدأت أعمال السلب وجمع العنائم والمقول إن الشيخ يعث شروطاً لبلات يعرض فيها أنه سيعاد لمديته في اليوم الثاني على أن تتم حماية البعض من العرب، موافق على ذلك كما قالو . ويقول آخرون أنه تصل

(١) التفكجي اسم تركي لمجندي من حملة لبلاد الدبيلين لأتواج الجيش الغلامي المحلي، «التفكجي باشي» هو وزير أولئك الجند أو قائدهم.

بقيدة عمرة لتساعده على الاحتفاظ بمكانه في البلده، وما أشبه هذه الحركة سياسة المصاطبة لعرية التي اتعها نكنا سري ما يأتي به بعد

٥ كانون الأول

كانت الشوارع في ساعة مبكرة من هذا الصباح مكتظة بللاجئين، الذين كان الكثيرون منهم عرافة تقريباً وكان الآخرون وهم أسعد حظاً من هؤلاء يحملون معهم ما استطاعوا حمله من لوازمهم عند أول وقوع الحادث وكان النسوة يصرن بأيديهن ويوولن، كما كان الرجال وهم بين عيس مكتش، أو أصحاب سباب، يحملون نذوقهم وسائر أسلحتهم. وازداد عدد الحيوانات والعاشية في المدينة حتى اردحها كل رفاق ودرج. وقد اختلف الروايات حول مصر عقيل، لكنه من المحتمل جداً أنهم حيف وقع الهجوم فوق الجسر وجندو أنفسهم بين نارين ففروا هاربين إلى جميع الجهات، عادوا وسادهم بأيديهم إلى سوتهم لخدمة ممتلكاتهم وحيف اكتشف لحدود ذلك، وهم على علم بأنه لا يعد هناك ما يمكن أن يحشوا منه، نحلوا عن تعقيب لعدو وور وخوهم شطر الأسراق وبيوت لأعياء التي تطموها من كل ما كان فيها وأشلعوا النار في الأسواق وهكذا وقع ثلث لصره على سكان البلدة، ولم يكن ذلك نتجاً عن سلامة بينه كما يقال لأنهم جميعهم كما هو معروف تمام المعرفة قد اشتركوا مع العقيل في أعمالهم وأطلقوا النار على أحد باشا

الساعة التاسعة صباحاً

لا يزال لجماعات من ناسا وهي عارية تماماً، ومعظمها يعول ويولون وقد اردحت لشوارع بالعرب لللاجئين من الجانب الآخر، رجالاً وساء، لكننا لم يتأكد لنا ما حصل بعقل يقول لبعض إهم ما زالوا في بيوتهم ولسادق بأيديهم، يوم يستمر الجود على نهج بيوت سكان البلدة الأصليين - ويعتقد الآخرون أنهم فررا جميعهم ويقال كذلك إن الباشا أصدر أوامره للجود بالامساع عن النهب. وأنه هو نفسه وقف في نقطة ما على باب الجسر

ليسمعهم من نقر عثمهم إلى الجانب الآخر لكنه كان يحارب المستعجلين
بذلك - إنهم يصحكون عليه، فهو لا حول له ولا قوة

الساعة الثانية بعد الظهر

سمعا أن العقيل قد فروا بالتأكيد بدركوا البدة مع أسرهم
وممتلكاتهم. وبهذا علاوة على ذلك إنهم ففسوا عرة في خروجهم هذا لكن
شجعهم تحلف عنهم والحقاً للأحماء باب حرم الباب، وهو ملحقاً حصص لا
تنتهك حرمة، فسمح به لإقامة في معداد كرجل عادي بشرط أن يحافظ على
لهدوء وللسكينة وقد كنا نرى خلال فترة الصباح والنهار كلاء أن الناس كانوا
يعبرون حاملين أسلحتهم فكان أحدهم يسحب حروف وراءه، وآخر يحمل
شاة من الخناجر المشدود إلى معصه بالأرجل، وثالث يحمل كثيراً من القنود
والأواني والفرائض أو السجاد، وكذلك الرابع قد وجد طريقه إلى مخدع النساء
في ليوت المبهوة وجاء بمسك بيده حرمة من لوازم النساء وملابسهن. وجاء
أحد جنود النظام بفرس للبيع وهو يقول إنه عندها في لمعركة فعجب
لأسماعنا عن شراء مثل هذه البضعة وكان الآخر يسوق أمامه حمدين أو ثلاثة
محملة بأكياس كبيرة تحوي عني حيط من كل شيء ولا يرل لهم مكطاً
بالقفص.

والظاهر أن الباب قد جعل مقراً في المعهى الكائن في الطرف الآخر من
الحضر، لذي كان لأعرب يظفرون لئلا منه في أثناء المعركة، تعرض إيفاف
انسلت وذهب عدد حدهما عني لأقل عني ما قيل لنا في الصباح لكن هذا
بعد خطأ منه عني ما يقال، لأنه لمعوم الآن أنه كان يشجع الجنود عني
لتصادي في تجارراتهم بتصرفاته هذه وقوله مثلاً للسكان المبهوة بيوتهم عني
سبل التعرّيع وهو يهر كتفيه «هن تروا ما فعلتم أنفسكم» إنها غنطكم
ويست غلطتي»

ومررت أحياناً الحساثر مشوشة حيث لا يمكن الاعتماد عليها لكن
المعركة لا بد أن تكون قد أحدث ما حدها من «النظام» و«اللبائين»، لأن أحد

موضحني الحقيقة كان في ديوان أبيهنا يوم أمس أثناء احتدام المعركة، فحاء رجل من الجانب الآخر يطالب بفتح ش فطني شكفين أربع وعشرين حشة، وهو عدد أصلي العند مفرده و حده فقط. وقد ساهى إلى أن قائد الهجوم الحريء على الحصر قد أصيب برأسه فقتل، كما قتل و حرج حروح بليعه عدد من رجائه ولا بد أن تكون الحصار في لجنود يعطيه ناسه لما وقع في باب الحلة، لأنهم وقفوا هناك معرضين لسهل الأعراب الذين كانوا يقاتلون من وراء أسوار حجرية فلم يحاول أحد تقدير حسائهم هذه، على أن أشد الضرر قد وقع في سنده نفسه فإن قطاعات الحدود، على كونه لا يمكن أن تكون أعظم مما يفتقره الجنود الأورسون حسما يستولون على بلدة من بلدان بهجوم صدق، كانت مفعمة بمقدار غير يسير فقد أميئت معاملة النساء شكن مرعب، وحيء في هذا اليوم حنة امرأة أدم على قتلها وحش أسدي سما كانت تقاوم تجوره عليها بشدة وقد أقيت على عنة مرقد الشيخ، فأمر اسقب بأن تدفن كما تدفن الشهداء وسما كان شرب آخر من هؤلاء الأشرار يهب حرم أحد بيوت العرب أرعجه صراح من من لأطفال فيه فحمله من مكانه ونفى به في انت على ما كان يعتقد ورح سحج بفعله الشبعة هذه في الحارج فوصل الحصار إلى سماع مه المسكية ونحرات على العودة إلى ليت عليها نعت على حنة طفلها فخرجوا الشر من أجل ذلك ولكن من دون جدوى، وسما كان بهمون بالحروج بعد أن يشو من العثور على شيء سمعوا صراخاً حافتاً يعبو نره في كل مكان، فعثروا على طفل ملقى في لنور والظاهر أن الوغد اللثيم قد نوهم ناسو فحسبه شرراً وألقاه فيه فأخرج الطفل من دون أن يكون قد تصرف شيء يذكر وهو معكم أن تتصوروا مقدار المرح الذي استولى على الأم المسكية!

وجسر توسع المرء ن نضو مقدار اسفوس التي كانت تحشد في احباب العربي خلال الأيام الاعتيادية من الأسواق يكاد يسحين السرور فيها من حياء العول والحمير لكثرة ابي نمر مع ساقبه محميه بالآث، مع أن مدكاكين ما زالت معيقة من اربع و نمرع استولي على أصحابها أما الحصر فيكون من أوله إلى آخره مصراً مع الوع، ذ نراه مكتظ بالناس من

جميع الأنوع والأشكال وهم يستعجبون في رواحهم وعدوهم. وقد كان ساحل الصفة الشرقية بأجمعه معطى بجمادات أساس النذين كانوا يصلون إليه من اجاب امة بل وبعد الهابة موافقاً مساحين للبعال والحمير لني نساق لتعبر اهر ساحه عند الضرورة، ولانك دراهم الآن وهم لا يرالون يسوقون هذه الحيتونات إلى صفافه في اجاب الآخر واضطر في لساحل على حالي لهر حيط عجيب عريب، إنه مطر يمكن أن يكون مصححاً إلى آخر حد لولا السماء والنفس الحفريين به يد يرى الرئي هنا. حلاً ينقص على حروف فيأخذه بينما يكون صاحب الحروف لمسكين قد هرب مع لتحمل إلى اجاب الآخر وقد سمع امرأة في زاوية من الزايات وهي ترقى الهواء بصراحها وعوينها من أحسن طعنها وروحها الذي قل أو أعرف في لهر لأن كثير أهر القصف قد عرفت فانتدما لهر بأحماها وقد تحدد كذلك امرأة أخرى وهي تدب حطها بلهجه لا تعل بلاماً عن صاحبها لأولى وتحنس على صبيح ممتكتها وأثث سنها علم يد وعد شمس سرق بسها على منظر منها، وربما يكون وفقاً على مفرقة منها والحلاصة، أن السب والانتهاك هم لئان يستولاء على المدينة بأجمعها لأر، ولا يغايي من ذلك إلا الصعيف في كل مكان



(١٠)

وصول الشيخ وادي وسليم عناء زيارة لحوية المعركة المنظر هناك محبب شيخ ربيع
المس صلاح الأعراب سرقة الخيول ووقاها معسكر الهائلة رحيل عزة
مربيات الناض - شرطة بغداد وعدلتها - شيخ وادي - الكاظمة

٦ كانون الأول

وصل في صباح هذا اليوم إلى صوحي لمدينة وادي شيخ ربيع، مع
لحيه من رجال قبيلته، وسليمان عمامة على استعانتها بمسألة لحوادث
الأخيرة وسلمت عدم، الذي كتب قد أشرب من قبل إلى كونه حلقاً من
حلماء علي باشا، وعد عربي يرجع إلى قبيلة الجربا في أصله وكان قل مدة
عبر بسره قد استلهم لحراسه لقواش وبوصيلها عبر اليديه إلى دمشق في أثناء
شعار حصل مع عقيل لكن هؤلاء الذين كانوا قد دافوا حلاوة هذا لأحسار

١) هو وادي ابن الشيخ شملج شلال شيخ رسد المعروف وقد ذكر عنه صاحب
عمر المحمد به كان أميراً كريماً جوداً به من مكارم الأخلاق والأفعال
والأقوال ما لا يسعه المقام وكانت عطايه كعطايا البرامكة، وهو من حسنات
الزمان « فذكر هذا بما يقوله صاحب هذه الرحلة عن وادي نفسه في رسالة ١٧
كتاب الأول ثم بقور صاحب (عنوان المحب) عن أخيره أيضاً « وهم سر من
بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك، وهو مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن
عريب بن زيد بن كهلان من النحطية وبنو زيد بن زيد الأكبر من سعد
لعشيرة المذكورة . وعشيرة زيد التي في نواحي بغداد من زيد الأصغر، أما
تعبه والجور ولعليهم فهم من رسد الأكبر كنهم من حمير من نقحطية» وقد
كتب هذا لكتاب في ١٢٨٦ للهجرة

وقوائده اتحدوا الإجراء الذي ذكرته في رسالة لسيفه، وهو التصدي لفاوله
 كان مسؤولاً عن توصيتها هو والاشترح على إيثار بيعة إثرفهم عبي
 نوصيل الله من وحراستها حراً على المعاهدة القديحة، على ما أحسب، وهي
 «كلف النص بالتقبض على اللص» أما رسد فهم عشيرة عربية بميث قسم من
 البلاد اكنانه في اسفل الطريق المأهت إلى الحلة وقد كانوا في يوم من الأيام
 أقوياء لشكيمة لكنهم أخذوا بالاحتياط والتأخر في الوقت الحاضر لمختلف
 الأسباب ولما كان كلا هذين الشيخين من حصوم العفيل فقد من عن طيب
 حاصر بدء الپاشا لدي صدر إيهما جرباً على السياسة التي سبها في مثل هذه
 لطروف عادة والان بعد أن نعت الحاجة إلى خدماتهم لأن الجمع بانو
 ينتظرون تسعة التدبير الذي سينتجده في هذا الشأن

وقد سرت لهر قل الظهر نساها، حظوظ لدي حلقه لزج لأحير.
 فكانت التأثيرات لأول وهلة أقل لغاتاً لسطر مما كنت أنوجه، لأن القسم
 لعربي من المدسة (لكرج) كان في الحقيقة قدراً حراً بحيث يندر أن يوجد
 شيء يمكن أن يجمعه على أسوأ مما هو عليه، لكنك حينما تأتي إلى الأسواق
 والأدقة - الماطى لمأهولة - تجد فيها العث والضرر الذي حصل في
 الحقيقة، فقد كسرت كل باب من الأبواب وفتح، وجمع بصورة عامة عن
 مصر يبعه وكان بحسب عبي لكثير من هذه الأبواب قليل من المعائن اللواتي
 كن يصرس على صدورهن وهم سطور إلى سويهن المصهويه - لتي كان مطرها
 لمظلم الحاوي، يعلم أنه، ناعناً على ما يكفي من الانقاص في الفرس كما
 كان ارحل لدي طلوا يحومود حول بيوتهم يجلسون على جانبي لطرين من
 دون حركة وهم يحدقون فيها بفتور وهمة خائرة، كان بعض المعاهي، لتي
 أفرغت من كان فيها، يشعلها ناس تمكت من احكم عبيهم من مظهرهم
 بأنهم تجار وأصحاب ذكك من حسروا جمع ما كانوا يملكون، وكنت البعا،
 واحمير لمحملة لا تزال تمر في الشوارع، يسوقها الهيئة في الحال، كما
 كانت الشوارع والأدقة نفسها ملأى بالأناث المتكسرة، وريش المحاد والوسائد
 التي انتزعت أروعها المطررة، وقطن وصوف الحشاي التي يصعب حملها،
 ومقادير غير سيرة من الحبوب والمؤونة التي رميت في عرص الطريق

وكانت الأسواق تنم على أكثر أمرات العصف إبلاماً وثرة لمجرد فقد سقطت اسفوف المحروقة واحتضرت رمدهم بالحيوة ولتمور ولعطاريات والرقي ولقرع وسائر الحصاراوت - أي جمع الأنساء عن اسمها التي لا يستحق الأحد ردس حطيم ما أنلف حلال الذهب بالأقدم أو ترك مع قطع وكسر الأواني والأوعية التي كان يحفظ فيها فأصبح ذلك كله كتلة كريمة واحدة من الوساحة والقدارة التي كان يشرب فيها ويسكع سبها عشرا من الأطفال الحرون بهرباً، ليعثور على شيء يأكلونه بلا شك أم لمجرد والدكاكين بعد كاس كلها مضموجة حاوية، وقد خلعت أبوابها وشبابيكها - ومن حسن حظ المدينة أن انقسم الأعظم من هذه مبي رطبين والأحر، ولو لم يكن الأمر كذلك لأنت الدار التي أصرمها الجنود لطاش على كل شيء

ثم ربما لمشاهدة الأماكن المهمة التي وقعت فيها المعركة فكان الحريق لحاصل في رأس الحضر أقل مما كنت أتوقعه لأن مدافع كانا يصفان نراهم على ملت لحظة طوال النهار وقد كان باب الحلة يمكن أن تشاهد فيه آثار القتال جميعها، لأن انقلب معظمه كان قد حصل هب، وهذا كذلك احتفظ لحبل بالبال ودخل الحور في قتال مرير مع الأعراوات المتقهقرين إذ توحد هنا مساحة مكشوفة في داخل لسور، فاتحد المجد مواقعهم فيها مع المدافع يسم حرب الأعراوات إلى المصارل واسناتير المحسطة بها، ومن وراء حصارها كانوا مطرود لحود سيرتهم الحامية وهو عمل يجيدونه تمام الإحادة هذا في الوقت الذي كان لحود قد أصلقوا فيه على ما حصل من مدفعيتهم خمسمئة فدفعه على عدوهم غير المطور وبذلك تجد لاسور والبيوت ملأى نثار هذه لفدائف، كما امتلأ الباب آثار الرصاص الذي كانت مطرته عليها اسادى لكن الحود هم الذين كانوا اوليات المعركة في الحارب، وكانوا على وشك أن يتقهقروا بعد أن استنفاد ادحيرهم بولا أن يصلهم في الوقت المناسب الا حيرة التي نفلها عن النهر رورق السقيمية مع المحنة من الرحل فزودهم بوسائل جديدة وشجاعه متحدده

ومن معبر الحراوات هذا ذهب لريرة محم ريد، الذي كان مطرته شتاً

يستحق المشاهدة بالتأكيد فهي حلال خمرني كلها مع تركماب والأكراد أو
العشائر اجتنافه معظمها لم أحد أدياً متوحشاً يبدو عليهم مثل هذه الهبة
الهمجية. إذ يتدلى شعرهم السط الأسود متشراً من حول أوجهم الدكة،
وانقاط الوحيدة لي يمكن أن يرتاح لها امرء في تقاسمهم الوحشية التي
تتحهم غابسة من تحت لبس أسهم اعرب هي اعين اسود النفاذة ولأسنان
ليضر. وقد كان هناك في المحبة ألف من لحباد على الأقل ومثل هذا العدد
من الرجال لدين يحتلظون كلهم معاً لتتكون منهم كتبه هائلة، من ذوات
لأربع وذو ب ارجس، مرور من سها غابة كثة من الداح. أما لباس هم لاء
لأعراب، إذا كان من الممكن أن يسمى لباساً، فقد كان لبس البدو الاعتيادي
لأبوف في البدية - أي العترة الحمراء أو الصفراء المشدودة حول قمة الرأس
بحبل سميك من اوبو والشدشدة لمصوغة من اشعر الحش أو الحيش
(الشت) وابعاء ابي تكون عادة من كل حس وبرعيه وقد كان معظمهم
قدراً، ثاً وسم يكن لبعض منهم برندي «اللباس» وبعضهم لأحر لم يكن
بملك ما يغطي به نفسه على ما يظهر سوى ابعاء لخصفة المشدودة حول
لمحزم يقطعه من حب الشعر وكان شعر البعض منهم سبباً مشوراً على
طبيعته، وشعر البعض الآخر مصفراً بصفائر طويلة، كما كانت سبياء الحمص
حدة تم عن كثير من الشموح وكذا كانهم عجباً طوالاً، يدون وكأهم جرع
للمرسة. لكنه لم يسمح لأي شيء يشم منه نحة هذا الاسعد بالظهور
أدماً، مع أنهم في لحظة واحدة تجمعوا حولنا باحاث حالم طهرنا بينهم
ومع أنهم أدو كثيراً من حب الاستطلاع، فإن ذلك لم يكن مشرباً بحشونة
لا من كان الأمر بالعكس، فحسباً كان بعضهم يقترب مما اقترباً رائد كان
لأحرون يعتدرون عنه فيتراجع الجميع يفسحوا لنا المجال بمشاهدة الشيء
لدي كما نطاعم دليظر إيه. وها كان يظهر اعرق بين عربي البدو أو اعلاح
وعربي ابادية أو البدوي

فالأول نصف قط والثاني «جتلن» واحصيه، انهم على جميع ما في
مظهرهم من وحشية وشراسة كان في عملهم وتصرفهم نوع من الأرب

لمضري. ولا شك أن أمر ما في هذه المقبرة يشأ عن روحية لاستغلال
لجموحه لتي تولد نفس التأثير في ليهود الحمر ادين يعطونون أميريك
الشمانية.

وقد تحدثنا حديثاً ودياً بلعابه ما بس بوقت ماء، وسألناهم عن اعمامه
اسي قد نعاموس بها إذا ما شئت لصلة أن يعثروا علينا في طريقهم، وهن
يعملون إلى سلسا أم لا. فأظهروا أنهم قد صدمو بمجرد الفكرة نفسها،
وصرحو وهم يصعدون أيديهم على رؤوسهم وأعيينهم بأنا أعراء عليهم بقدر
أهمية هذه الأعضاء بلاسان.

ربح أن لجر كان بارداً، ولا سيما في الليل، فقد كان هولاء لرجل
مخمين كلهم على الأرض لجرداء من دون عطاء سوى العناية التي كانوا
يرتدونها. ولم تكن هناك أية خدمة سوى حبة الشيخ، وهذه كانت صغيرة
حداً. ولذلك كان كل منهم ينام، أينما تنق، فيبدون وكأنهم حرم من لحرق
لفكرة سودب وحده الأرض. وقد كان معظمهم مسحاً بسيوف من نوع
لسيوف لعربية الحذاء والحاجر المعقوفة لمعلقة من المحرم. وكان عند
بعضهم صوايح حديد ثقيلة، كما كانت عند الكثيرين منهم حارب يبيع طولها
خمس أوسنة صدام للرمي. وهناك لجرود، أو احزاب الأصغر منه، المصنوع
من الحديد والمعلق بالكثير من السروح بمقدار يصل أحياناً إلى ستة في كل
جانب، وهذه يرمونه عند الحاجة بحته وفوه عظيمه. وقد كان بعضهم يحمل
مطارق صغيرة، كما كان لبعض منهم أعواد يبلغ طول الواحد منها يزيد
واحدة، وتجهز بكلاليت من الحديد، يستطيعون أن يتقطر بواسطتها أي شيء
يفع على الأرض أو أن يشرعوا رحلاً من سرجه حسم يعبرون بسرعة تامه. وقد
كان هناك أيضاً عدد من لنادق النايه لكن سلاحهم الأعظم على كل
حال هو الرمح الذي قلت من قبل إنه كان يوجد عادة كتيبه منه يعطي
الأرض، والذي لا يشعر أي أعرابي أنه رجل كمن بدوره. إذ كان كل منهم
يعرّز رمحاً بالقرب من جواده بوجه عام.

أما خيولهم فقد حسنت أنلي كثير، فإسي لم أر. لا أي النادر حواداً دا

منظر أصيل بين جميعها ولا شك أن أحسنها كان قد ركبها أناس اصطحبهم الشيخ معه حينما ذهب في خدمة إيلياشا، لكنني كنت توقع أن أرى مريداً من الخيول التي تستحق أن ينظر إليها

للم تكن هريفة وصغيرة فحسب، بل كانت قبيحة الشكل وتنقصها جميع الصفات المهمة التي يتميز بها الحواد العربي ولحقيقة أن قبيلة ربيب لم تكن على ما يبدو مشهورة بالخيول الأصيلة وإذا سألتهم عن سبب ذلك يودون عني بقولهم «ما إداردن أن نحصل على الأحداث من لحيون سبب إلى عرة فبها ما نريد» وقد فعلوا هذا في الحقيقة ذات يوم، لكنه كان يكلمهم وحوادثهم كقسلة محترمة بين القائل.

فقد أرادوا في يوم من الأيام على ما يبدو أن يحصلوا على عطف مير آخور إيلياشا، أو نفس الحيلة لتأخر ليليت، بأن يقدموا له هدية محترمة لكنهم وقد كانوا لا يسكنون أصلاً الحيات الأصيلة للاتفقة، عمدوا إلى سرقة دربه من أحسن حول عره التي كانوا على اتفاق دم معها في ذلك الوقت على أن هؤلاء سرعان ما اكتشفوا السرقة، ولم يفتهم أن يعينوا السارق أنفسهم فعدوا إلى ريد يحميها ورر لجريمه، وهم يقولون «لقد كان إخواناً لكم وهكذا نرى أن نكون وقد سرق خيولنا وأنتم سراقها نحن نعلم ذلك ولا يجديكم إنكار شيئاً، بل أرحموا لتكونوا إخواناً لنا كما كنتم من قبل، وإلا نحن أعداء لكم من الآن» فحسبت ربيب بكل ما هو مقدس بأنهم واهمون فيما ذهبوا إليه وأنها لا تعد شيئاً عن الموضوع، ودعت عنة أن تأتي فتمتحن عن خيولهم عندهم ولا شك أن العرب لا يحاربهم أحد في إحصاء الحمل المسروقة، وقد نجحوا نجاحاً غير يسير في هذا الحادث بحيث لم يستطع عنة تمييز خيولها من بين الحيون الأخرى لكن رجال عنة ظفروا بغير مقتنعين بالنتيجة، وقال «إن هذا لا يدل على شيء في الحقيقة» ثم السراق وليس غيركم ولما كنتم قد حترتم أن تؤدبوا ونهسوا ولا تلتفتون إلى، فليكن الأمر كذلك، ونحن أعداؤكم».

وقد برت عنة برعدها هذا، ولما كانت على جانب أكبر من القوة

والسعة بين القائل فقد درت في الحال أن نصابو ربيداً وتؤديها حتى أصبحرتها
 وعصت عليها عيشها، فقررت أن تحسم لمشكور مع عمة بقدر الإمكان
 وبذلك بعثت ربيداً إلى المير أحو، ترجوه أن يعيدها لحيوب بأي شرط كان
 فتم لها ما ردت وأجبت إلى عمة خولها المسروقة مع اعتراف متوضع
 بالحق، ورجع بعادة صداقة إلى ما كانت عليه من قبل بين العشيرتين.
 فابت عمة ذلك قتلاً «كلاً»، لقد أنسم أنسكم بأنكم أناس لا عقيدة لهم - أيها
 الأوغاد والمسكين الذين يمدون لحيوي ولعار الاتصال بهم. لقد وحدثتم من
 المناسبات أن يعدوا ما يهتموه، لكنكم هيئات أن تسعيروا تصديروا لكم
 سقى على عدائنا لكم». والحق أن هذا البرع مع عمة قد عجل باقصاء على
 مكانة ربيد بين العشائر

ومن محرم ريد العادي ذهبا إلى معسكر الهامة^(١) الكاس على بعد عبر
 يسير منه، فكان هذا منظر طريف آخر، فقد كان ممثلاً بالمهوبات التي كان
 تاهوه يرمونها ويؤمرون عيشها بقدر ما يمكن إذ كانت كل حيمة ممثلة
 بكميات من الحاجات والأشياء غير المجاسة، فالأسرة المصنوعة من جريد
 الحل والأفرشة ولقدور وأواني لطخ وانصوت ولأدريق، وألثة اساء

(١) يقول المرحوم الأب استانس الكرمي في بعض تعليقاته على كتاب بشرى في
 ١٩٣٦ يعنوان (شعراء بغداد وكندي في أيام و. رة المرحوم داود باشا وادي بغداد)
 «... مشهور على لآلس الهامة بإسكان أبناء وهم بمصرلة انضطية في المنة
 الناسة عشرة للميلاد وكانوا من انصاكر لمرس يجرحون تحصيل الصرت أو
 (الويركو) من سكان القرى، وكان من فناء لقلوب يسخرحون الأموال بعف
 وشدة فرق المطلوب من الأهالي وكان لا يردعهم رادع وبها جاء في الكلام
 اصابت الدنيا هامة أي أصبح الناس بلا رادع يردعها وانقرضت الهامة في
 عداء في أيام مدحت ناس ويقال إن الهامة مرقب الهبطه انتدشه ومعناه انحارج
 على الحكومة ولاطع الصريق وإذا قال قائل إن الهامة تصحبه العرسه (لهيئة)
 بمعنى اجتماعه المحلطة من الناس لمؤلفه من عناصر سر بلا يكون من
 المحطس ويقال في الهيئة لهسمه أيضاً شين مثثة بعد لباء امدة لمحبه»

والرحال وغير ذلك، كنت كلها مكدسة في كل زاوية ومكان ومجموعه
 بأكوام في أماكن اسراحة لرجال يسيما كانت قطع الأشياء المكسورة يعطي
 لأرض وكذلك كان عدد كبير من الحيوانات لمسروقة سمرع في أكدهس
 ليس المهبوب، الذي كنت نصف إلى حاسبه أكياس كبيرة من الحبوب. فلم
 نضعهم تلك الحيوانات بمثل ما أخذت نضعهم به الآن وقد كان أحد الهايته
 يسوق عدداً من حمير الحمل الحمره، التي كنت على ما يبدو غير مربوطة
 مظلمة تبدل الأصحاب. وكان آخر قد استحوذ على بعض كبيرين، وكان عدد
 آخر غيرهما يسحبون خيولاً يركض وراءها أصحابها المدكين وهم يستعطفون
 سرفها بإعادتها إليهم ولكن من دون جدوى، غير أنهم كانوا محظوظين لأن
 الرد على توسلاتهم لم يكن مصحوباً بعصبيتهم بإيظقان

ولم نلاحظ في هذا المعسكر شيئاً يدل على الضغط أو النظام العسكري
 إلا في البدر فقد كان كل فرد مخصصاً إلى شؤنه الخاصة، وكان الضباط
 على ما يبدو لا يمارسون أية سلطة على جنودهم فالحقيقة ان نصفهم كانوا
 لا يزالون خارج المعسكر يقتشون عن لمريد من السه، أو يقومون بسبع ما
 كانوا قد حصلوا عليه من قبل وقد كان توسع أي جماعة قوية فعلة من
 الأعراب ان تغاضي هذا المعسكر فتفصي عليه كله، إذ لم يكن هناك ولا
 حارس واحد لا هنا ولا في باب المدينة نفسها وحتى في معسكر قواب
 «النظام» الذي كان يجري تشييده، كان هناك شيء مماثل من عدم وجود أي
 نوع من الحراسة والتيقظ

وفي حمة قائد الهندسة بول ليهو، ودحبت الشطوب وقد كان على ما
 يروي هو نفسه بطل المعركة كلها، لكن الحقيقة أن كل من نحدث إليه ذلك هو
 البطل الصرعام أيضاً، والصاهر أن صديهما هذا لم يسمع أثناء الذي أشينا به
 علم قواب «النظام». ولم يكن يعترف حتى بالسائل لتي أوداه أصلاً فإنه هو في
 الهجوم على هو الجسر فقد أكد لنا أن دخول «المدسة» انماعه له هم الذين
 صطلعوا بالعص جميعه، وبذلك أصاع منهم ستة عشر أو ثمانية عشر رجلاً
 خلال المعركة على أنه اعترف كما اعترف كل فرد آخر، بأن لأحوال كانت

مسوؤه حذو بولا لنجدة من ارجال و لدحيرة لتي عثرها روري المقيمة إلى لجانب الثاني ووصوها في ابوقت اصحاب وقال لنا : ما يقرب من مئتي شخص قد قتلوا وحرروا من الصرغين، ولما كان هذا الرقم مع الزمانات لتي سمعناها من مختلف المصادر فإنه قد يكون قريباً من الحقيقة والواقع

١١ كانون الأول

لقد تأيدت هذا اليوم الأحبار لتي تذهب إلنا من قبل حواء المسم عرة على نفسها وفي جناح الجبرية ويقال بصورة حارمة إليهم قد رحلوا من هنا، وبعد يوم قلائل يؤمل أن يفتح مصرق لمحيطه بالعاصمة وتحلو من قطاع الطرق والسلايين. وقد رتب البابا أموره مع قبله عقبى سبب سليمان عدم ارجح المعمر الذي أشير إلى تنصيه في المشيخة من قبل نقادة اليهود وحراسها سيما مع شبح عقل الأصلي ارحضة الازمة بالإفقه ها بشره أن يوافق على المعيشة كشخص اعتيادي لا غير. وهذا ترتيب يتفق تمام الاتفاق مع الداسر لتي يتخذها البابا عادة. لأن سليمان عدم هذا لما كان سلباً غير شرعي لرجل من عرب شمر" وأه عبدة رجحة فلس هناك عربي حصي يود من كل قلبه أن يصرح لطاعته أو ينضم إليه أصف لي ذلك أنه كما قلت مر

(١) يقول المؤرخ سيمان فائق بك في (تاريخ بغداد) بن عشرين عقيل لتي كذب ترون في جاب الكرخ في هذه بقرة تسم إلى حريقين هما فرق لفصحات أو العقل الأصليين، والشهادة أصبحت من شمر لحرية ونداعاد، ولادة في تلك الأيام أن يعنو لكل فريق من هذين الفريقين شيئاً خاصاً. فكان ذلك من حسنة الأسباب حي دت إلى دوم الخلاف بينهم وكثيراً ما كان سبب غلام (لملفد بالعقيل) يحي برادة اشتمارة الدين كانوا ميالين إلى القتال والتزاع بصوره خاصة ولديك بعد دوا فعلاً في حصار بغداد واقتحمها من قبل عبي رحب باشا، وبسقوط دور باشا على أثر ذلك فقد كان ومريو لسماره مع عبي دشا سم الحار لفصحات من العقيل إلى داود باشا تطوعوا لإخراجه من بغداد ومهريه إلى سمك في أنه الحصار غير أنه أبى ذلك واستسلم لبقصر.

قد، كان قد أحقق في مناسبة سابقة حينما أُعطيت له نفس الصلاحيه
ولمنصبه وقد كان هؤلاء لعقيل أنفسهم هم الذين طردوه حينما كانت بعهدته
قافلة كبيرة مهمة على مقربة من بغداد نفسها، لكن هذا كله قد لمة السبان،
وصرف النظر عن المواقف ولحظه احديه وحدها هي التي تلاحظ وتزجج
نظر الاعتبار

لقد قرر المستر هيلي، الذي كان يريدا المؤسس ورفيقي في جميع
جولاني وركوبي، أن يعد فكره القيام برحلته عن طريق البحر بعد أن مل
الاستعداد إلى حين فلاح الطريق وبعد أن أجرى المحصرات اللازمة استقل
مركباً كان متوجهاً إلى بصره لكن لمسته الأول لرحلة كان شيئاً غير
مشجع، لأن المركب لم يقطع حمسه أميال حتى أوقف بحجة وجود خيول فيه
لم تدفع عنها لرسوم الحكومية المطلوبة وقد حصل بهذه المناسبة منظر
تختص به هذه الجهات، حيث تبين أن الرسوم لمطالبة كانت قد دفعت ولكن
ليس إلى الشخص المختص نظراً لحصول بعض التعيرات والتدلات
الرسمية وعلى هذا حصر اثنان من لهائنة يمثلان الموصف المختص، ومن
دون سؤال أو حمه نهالا على بخاره المركب، الركاب بالصر و لإهانة
وأمرهم بإخراج جميع الخيول الموجودة فوق ظهر المركب فتدخل الدكتور
روص، الذي كان قد رفق المستر هيلي لصدفه في المركب، في فضيه جواد
المستر هيلي نفسه وأرجع ذلك لرحلين إلى صوبهم وعلى أثر شعار أرسل
إلى لمقيم أوحد رسوم في الحال إلى محل الحادث، وبكل برودة وهدوء
صرف لرحلين الحيشين من دون أي سؤال آخر، وبولا أن بهيء لصدفه وجود
رجل إنكليزي في المركب ليهب المركب على وجه التأكيد، وأصاع أصحاب
الخيول بملكوها، أو أخرجوه على دفع مباح غير يسيره لاستعدادها هذه هي
شرطة بغداد، وهذا عدلها!!

١٧ كانون الأول

وصلت من بكسرة هذا اليوم ررم ورسائل وأخبار إلى حد يوم التاسع

عشر من تشرين^(١) - لأول - لكن لم يكن فيها شيء لي بطيعة الحال، فمن هو الذي يستطيع أن يمسك قصرة رثنق مثلي ويعرف عباده؟ وأن اليوم هو وعداً في مكان آخر، ومضطر إلى التأخر الآن لسوء الحظ ومع ذلك لم أستطع أن أكبح ابتأثر لدي شعوب به، والحسد الذي ساورني، لأنني وجدت لآخرين يهراون رسائل من صدقاتهم بما حرمت أنا منها على أنني بصحبت بشرة قوائم الوفيات فحمدت له على عدم وجود شخص آخر فيه

لقد عاد المسر فلي أدراجه لأد لمركب لم يستطيع السير نظراً لهبوط مستوى الماء في النهر، الذي يندب مسو به على الدوم في مثل هذا الوقت من السنة تبعاً للأضمار التي تهطل في الحما وهو قد يراقني أنا ولدكتور روص في سمرت التي نعزم أن نرود فيها سوق الشيوخ ووسط

وفي هذا اليوم ربما شبح رند، الذي كنت أمل أن أحصل منه على دليل لتعاقله بأحد في مستهل رحل على الأس إلى المناطق لعربية فقد تأكدت أنني عرة واستحائهم لي بعد كآب لا يجعل منهم مصدر خطر عاجل على الأقل ولما كانت هناك قافلة تستعد بلو حة إلى الحلة، فقد كنا نأمل أن نحرث إلى الحريرة سيم وأمان وقد وجدنا الشيخ في بيت محمد أعا حاكم الحلة، فكان رجلاً وسيم لطيفة خفيف الروح، أشد سمة من المظهر الذي كان يظهر به العرب، وأثر بهما كالألمعية الطيبة مما يكونون عليه في العدة و الخفية أن السب الوحيد الذي كان يحول دون لقائنا بهذا الشيخ من قبل هو عدم تمكنه من مواجهتنا نظراً لاهماكه بالمشروب فهو في كل ليلة غسق على أحد الناس في بغداد، وهناك نعب من الحمرة ما يشاء حتى يصل إلى قصي درحات السكر، ولذلك كان يشرش يرفع رأسه ويرى أساس قل عصر اليوم التالي

(١) أي أن كان يستمرق في العشرين بين المدن ومعدار على ما يظهر حوالي شهرين من الوقت في ذلك الزمان لكن الرحلة الفرسية دويره الذي كان في بغداد في بداية القرن التاسع عشر ذكر أن الرسائل كانت تصل من إنكلترا عن طريق بيروت والشام وهيئة في مدة تتراوح بين أسبوعين والأيام الخمسين يوماً

ولم تصح رديلة السكر شيئاً اعيادياً في بغداد قط بل أصبحت شيئاً عاماً مريباً. وقد كانت على أيام داود باشا شيئاً عفوياً ينكتم به الناس على الأفل، غير أن الباشا الآن يقور طفة السكرى نفسه، ويرى عادة وهو لا يكاد يقدر على السير حفا يعود مساءً من حفلاته الدعرة في السابن وسدو أن تسبح ريدود يعود على هذا النوع من العيش، وهم يكن حديثه معي على ما تدل عليه لرحمة بيته رقيماً حتى ولا محتشماً على وجه التأكيد على أنه وعدنا بالمساعدة والأمن التام في دحل ديرنه هو، وباللأدلاء والحراس إذا ما احتجنا إليهم في المسطق الأخرى

وقد ركب في لمساء لى الكاظمة، وهي قرية تقع على بعد ثلاثة أميال تقرباً من شمالي بغداد، حيث يوجد ضريح الإمام موسى الكاظم، مام لشيعته الذي قطع هارون الرشيد رأسه على ما أعتقد وكان قد حُسن في حب لا يزل يرى إلى يومنا هذا، وهرب منه بمعجرة على ما يقل. ويرهم آخرون أن رأسه قد قطع بأمر من الحبيبة ومع هذا يمكن أن يرى في بعض الأحيان حتى في هذه الأيام جالساً في مكانه القديم في الحب (١) والظاهر أن هذا السرار واسع

(١) لا شك أن هذه الأقاويل لا أساس لها من الصحة مطلقاً فالمعروف أن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) قد توفي يوم الجمعة لحسن بقر من رجب ١٨٣ هـ، وكان عمره يوم وفاته ثماناً وخمسين سنة أو خمساً وخمسين. وقد توفي مسموماً بيمار من الخليفة العباسي هارون الرشيد في خمس السدي بن شاعته، ولم يقطع رأسه بشرب. وقد جاء في (حياة الإمام موسى بن جعفر) مؤلفه السيد بدر شريف الطريفي: «... أن يحيى بن خالد دس إلى الإمام سمّاً في رجب وعصب فضبه، ومما يؤيد ذلك ما روه عبد الله بن طاووس، قال سالت الإمام الرضا (عليه السلام) هل أن يحيى بن خالد سمم أباه موسى بن جعفر؟ هذا الإمام نعم سممه في ثلاثين رطباً مسمومة ودكم أبو الفرج، لأصفهاني في (مقائل الطائفة) أن الرشيد لما عصب على لفصل بن يحيى لرفيقه على الإمام حينما كان في سجنه وأمر بحدده حرق يحيى من عند الرشيد وقد ماج الناس واضطرب أمرهم فجاء إلى بغداد ودعا لسدي بن شاعته وأمره بقتل الإمام فاستدعى السدي الشاشين وكانوا من البصري فامرهم بلفق الإمام في بساط فلفق وهو حي، فجلس عليه امرأشون حتى توفي». لكن رويه «سم أصبح على ما يعتمد

حذاء، وله فستان مطيئ بالذهب وأربع سارت رشيقة وقد صلبت انفسان بالذهب من قبل مدير^(١) شاه، الذي يبدو به قد التجأ إلى هذا الأسلوب في تزيين فيور الأئمة والأولياء تكفيراً عن شفاعته لأخرى. وهذا مزور عظيم مقصده إرؤد الإيروانيون بكثرة - أي أن جميع المدين يزورون كربلاء لا بد أن يأتوا لزيارة هذا المكان أيضاً وهو مثل سائر الأماكن شبيهة به يردهر ما ينفع هؤلاء الروار فيه، ويحتسبوا بالمشتردين والمسودين الذين يلودون بحمايته ولم أحاول الدخول فيه لاني قد رأيت الكفاية من هذه الأشياء وأريد أن أتخشى لخط الذي يشار حيسا يحاول لعرباء رياره نبصاً

١٩ كانون الأول

علمنا في هذا اليوم أن محمود شاه قد زحف بالسكند من سرير عبي طهران بأثني عشر آل مرياز وعشرين ألف جندي غير نظامي - هذه مبالغة بالأرقام دون شك - وحيسا علم أمير فارس بهذا انزحف هرب من أصفهان إلى بلاده، لكنه لم سمع شيئاً حتى لآد عن لادر التي لعبها الإنكبير^(٢) والروس في هذا اسراع ومع هذا كم في كل هذا من صرافة يلبسه لنا!

(١) الثالث هو ن شاه اسماعيل عسوي هو الذي أحاط الفد بالذهب وليس بادر شاه، إلا أن الأخير ربما كان قد أسهم في إجراء مربيان أخرى في وضع الإمامين انكاظمين الطي.

(٢) ذكرنا في حاشية سابقة (معلقاً على رساله ٣٠ كانون الأول من هذه الرسائل). نقلاً عن مروج إيران لمر يوسي سابقكم أن الزحف قد تم بتدحرج من الإنكبير ومساعدتهم، وبمساعدة لروس أيضاً، حتى أن لحش لرسحه على طهران كان يعود قائد كليري هو السر هنري لندري ييشون.



(١١)

مبائل العرب في ما بين النهرين - أخلاق الأعراب وأوقافهم
صعائن الدم والأخذ بالثأر - قصتان من قصص الثأر عند العرب

٢٢ كانون الأول ١٨٣٤م

وأخيراً، فقد أكملنا استعداداتنا للرحلة التي نعزم لقيام بها إلى
الجزيرة، أو ما بين النهرين السفلى. ونظراً لأني سوف نصاحبها الآن خلال
سجوالها في أراضيها عشائر عرسه بالكلية، فما يسرني أن تكبرني على مرير
من الإطلاع على طبيعة هؤلاء أسس وأخلاقهم قبل أن أقدمهم لك

فأنت تعلمين على ما أعتقد أن بلاد ما بين النهرين، أي البلاد الكائنة ما
بين دجلة و الفرات، شغلها الآن عشائر عرسه على كونها لا تعتبر جزءاً من جزيرة
العرب ولا شك أن حصص هذه البلاد هو الذي أعزى هذه العشائر بأن لا تكسح
انقسم الأعظم منها فقط بل بالأسيلاء أيضاً على معظم الأراضي المحيطة التي
تقع في الجانب الأيسر من دجلة ويمتد من سواحل الخليج حتى الموصل
وهكذا فإن القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين، أو الجزيرة كما يسمونها
العرب، امتد من نهر الحبور إلى ما يقرب من بعد تقطع الآن عشيرة العرب
التي أسس على دكرها مرات عدة من قبل وتنتشر عشيرة لدلييه في الأماكن التي
تحتل المدينة مباشرة أما بلاد التي تمتد من هذه لمطقة إلى شط الحلي،
الذي يحترق الجزيرة ويوصل ما بين النهرين العظيمين، فتملكها عدة قبائل
مختلف فيما بينها من حيث اللغة والأعراق، وأبرزها وأكثرها انتشاراً قبيلة زبد
وعلى شكله نفسها، تشغل البلاد الممتدة من هذا الشط إلى ليرة، حيث

يلتقي الهيران، عشائر عديدة أهمها ربيعة، من أقارب المنتهك والحقيقة أن جميع القبائل الأخرى هي من متعصبات العشيرة من العربيين لأحدهم

وفي حساب لايمس من المرات تقوم عشيرة عذرة، وهي العشيرة العظيمة التي أصبحت تعرفين أشياء الكثير عنها بلا شك، بحكم البلاد وحماية عدد من القبائل الصغيرة التي تنتشر على طول النهر من الير إلى عذرة، أو تقوم باصطهادها تماماً لما تقتضيه الأحوال والظروف. وفيما بين لحيه واسماوة يستولي على منطقة الأهوار المنكوبة من فيضان الفرب، وفي صومها ما تسمى بأهوار لصوم، عشيرة الحرار التي تستمد قوتها من صبة البلاد التي تقطعها. وهؤلاء أناس يمتثلون الزراعة والرعى، ويعشون لدرجة كبيرة على ما تنتجهم قطعان الجاموس التي تربى على أعدل الأهوار الكثية، فضلاً عن كونهم متوحشين خاصين وقطاع صرق عاديين ومن اسماءة إلى البحر تعود للبلاد كلها من دون مدرع إلى عشيرة المنتهك^(١) عظيمة التي تمتد أحياناً إلى هيت وعذرة في الشمال مسحة إلى عذرة، وتحمي عدداً من القبائل الصغيرة التي تعتمد عليها. وجميع هذه العشائر، عذرة، من رعايا باشويه بغداد بالاسم على الأقل.

وفي الجانب الأيسر من دجلة، إلى شمال بغداد، تستوي على البلاد عدة قبائل صغيرة عربية وكردية، كل أفرادها لصوص يهوب المسافرين ويفترقون كل نوع من أنواع السلب والإغارة وفي جنوب بغداد، توجد قبيلة سي لاد القوية التي تصل في بحولها من أقسام سوسس الجنوبية إلى الكرخة^(٢). وقد استولى عرب سي كعب^(٣) على جميع المنطقة لكثرة ما وراء

(١) ليست المنتهك عشيرة واحدة وإنما هي مجموعة عشائرية تنتمي لها عدة قبائل كبيرة أهمها الأجرود وسو مالك والقرى

(٢) وهي منطقة عربستان (خوزستان) التابعة لإيران في طرف الحاضر، والكرخة هو نهر المعروف هناك الذي يصب في بحر كرون

(٣) سمى لقبه الأعظم من هذه العشيرة لابل إلى إيران، وقد كانت من أعاب إمارة عربستان العربية التي كان يرأسها المشيخ سحر علي.

نهر لكرجة إلى البحر. ولا شك أن نظره بنفسه على لحدوطة جعلت ودرّة
على فهم مواقع هذه القبائل المختلفة

و جمع أفراد هذه القبائل الصغيرة، وهي تتحدر من نفس الأومة التي
يتحدر منها إخوانهم في الجزيرة العربية، أو أي مكان آخر يوجدون فيه،
يشبهون هؤلاء في جميع النواحي الأخلاقية الأساسية فهم جميعهم يدعون
بمعصية اسحاء، إكرام نصيف، وعدالة، وطيها لدمه، والوفاء بالعهود،
وبالصداقة الحميدة المعروفة كالشجاعة والاستقلال ويعشون بحرية وهم إذ
يعترفون بكونهم قطع طرق ولصوصاً لا يجدون صيراً في الاستلاء على
ممتلكات العرب الذين ربما يكونون غير متقنين معهم على ضمان سلامتهم
وأموالهم والحقيقة أنهم يقومون صد أي فرد من الأفراد حين يطلب مساعدتهم
أو يشتري تسامحهم أو رفقهم وهم يحسون التجوّل والحياة لرعية التي
يستقلون فيها من مكان إلى آخر ضمن حدود معينة انتحاضاً للكلا الذي تحتاجه
قطيعهم وحيواناتهم. على أنهم في الأيام الأخيرة أخذوا يجدون صعوبة في
الحصول على لكفاية من المحبوب بطريقة المعايضة، ولذلك صار قسم من كل
هبة يصرف إلى الرعاة وحرثة قسم من أراضي العشيرة لمصلحة الدفن على
أن هؤلاء الملاحين أو العرب المزرعين يحترقون محطّين في نظر إخوانهم
أندو لتحويلين المدير يستحقون بمثل هذه الأعمال الحفيرة، ويعتبرونها مهينة
لنفسهم الحرّ النليل

ومهما كان مقدار الفصائل التي كان من الممكن أن يتصرف بها العرب
الأقدمون فإن قليلاً منها فقط قد تحدر إلى ذريتهم لموجود هذه الأنام، في
الجهت سي يمكن الأوروبيون أن يصنوا إليها على الأقل فكما أن
المعلومات المكتسبة بالإثم ولجور قد فحبت عبور أسلافنا الأولين إلى عربهم
وحرمانهم، كذلك أيفظ الشعور بالفقر السبي في محيلة الأعراي الاشتناء
للثروة ولحس وهو شعور يهدم تعاطي الصبغة أو الكرم بهديماً مباشراً، لأن
أسهل طريقه تمكك من الحصول سلبها، أو بطريقة الوحيدة في الحقيقة بالنسبة
برحل في مثل عاداته وأخوانه هي طريقة النهو، لاعصاب، أي أحد

الممتلكات التي تعود لغيري ولذلك يصح وجود هذه لتفاصيل شيئاً بداراً
 سبباً وبممكن أن يقد الشيء نفسه عن الصدق وطهارة الدمة. فإن الرجل
 الذي لا يهتم نوع الوسيلة التي يحصل بها على لعمري لا يعاب إلا قليلاً بالوعود
 و موثوق وعلى هذا يس هناك أكثر شيوعاً بين الأعراب من الحياة ونكت
 لعهود وبذلك يصح دأطه «الحر» لملح» المقدسة شكلاً أجوف يمكن
 تحاشيه بسهولة فالعهد الذي يعطيه شيخ من شيوخ يصرب به عرص الحائط
 حسماً ينفق ذلك مع مصلحته هو، في شخص أخيه أو عمه الذي يعين استقلاله
 عن العبر وحقه في سلب ولهب حتى أنه كثير ما سمع أن لمصيف منهم
 يقوم بواجب اصفاء نجاه المسافرين بعشرتهم من ضيوفه، ويوصلهم سالمين
 إلى نقطة متفق عليها، ثم يتصدى لهم بنفسه فيمسحهم ويجردهم من كل ما
 يملكون^(١)

(١) يلاحظ القارئ أن وجهة صاحب الرحلة هذه فيه تعامل غير قليل على العرب
 وخاصة في هذه الرسالة التي يعني بها أعراب لباديه فهو يسرع في أحكامه
 ويصممهم بالحانه ونكت لعهود والحر، وسلب واللهب ولو خشيته وغير ذلك
 إن هذا ما يح عن لعمري، ولما قال الي كد يلاقيها هو وأمثه اساح في اللاه
 الوقت أثناء تمتعهم من دور يويه أحياناً، وخاصة من المصوص وقطاع لطرف اندين
 كد من الممكن ان يصددهم المسافر في طريقه في أنحاء كثيرة من العاء، وحتى
 هي أوريا بومذك والذي يؤ حد عله في هذا سبب أنه يصدر أحكاماً عامة معبولة
 من دون أن يمسد فيها إلا على حوادث فردية وظروف خاصة لا يمكن أن يها من
 سموحه ملوك قوم أر أمه بأجمعهم يضاف إلى ذلك أنه يبيي أحياناً هذه على
 قصص يسمونها من بعض اناس أو تروى له من أناس مفرضين لا يمكن إلا حد
 بكلامهم. فإنه منلاً يحكم على جن لعرب حينما تفر شردمة من العسائر غير
 مسجحه إلا بالأسلحه ابدانيه أمام السلاح الحادث الذي تصدهم به قوة نظامه
 يستصحبها منه المعيم البريطاني في روقه الذي كان يسافر فيه عن طريق دجلة
 ويحكم عليهم بالحل حسب ينصدي له فقطع طرق في ابدية لأخذ لحوّة لني
 كانت تعتبر شيئاً متعارفاً تعرف به حتى الحكومات في تلك الأيام، ويوسعا أن
 مبرهن به على واء العرب وكرمهم وشجاعتهم وعرة أنفسهم وكرمهم لنصب =

ولشجاعه، مثل كثير من اصناف الأخرى، هي ست الظروف والأحوال
الآتية ولا نمو وترعيع لا سعالما يقتضيه تلك الظروف، فإذ المقاومة
العنيفة التي أدتها قبيلة بني بو عبي نحاه القوة البريطانية في رأس الحيمة،
والشجاعة الفائقة التي أظهرها العرب من الحمود المرتفة في الهذ في
مساسات كثيرة، ووقوفات الوهاديس الحربية يمكن أن تتحد كلها، مع كثير من
بحكم أن يستشها به من عبر هذا، أدلة واضحة على شجاعه العرب وسابهم
ومع ذلك فإن لحال يعكس في البلاد التي تكلم عنها بحيث يصح حق
لأعربى الحاد، على عموه، شيئاً معروفاً. وهناك هذه حوادث يمكن أن تروى
من هذا القبيل فقد حدث في مدينة معنة، حتما كان الكولونيل باللو
مسافراً بأمر من النصارى إلى بغداد، أن جماعته من العرب في إحدى لقرى
القائمة على صعيد دجلة أزعجها تصدق أحد الرجال الذين كانوا يعملون في
الرواق نفسه واجتمعوا بأعداد كبيرة وأخذوا يقومون بحركات عدائية من دون
أن يكون من الممكن تفريقهم بمختلف الوسائل، ولذلك ارتئي من الضروري
أن تطبق بعض الإطلاقات فوق رؤوسهم، وأن يصلهم الحرس السباهيون من
فوق البراق بصلية واحدة في الهواء فكان لذلك تأثير سيء، إذ وقع قسم
من الرجال على الأرض ولاد الأحرار بالفرار أما ساء الصرية، أو المحجيم
فقد فوجئ الحيام في الحال وتراجع إلى هور صغير بالقرب من الموقع
وحجم أسمر وقوع الحركات العدائية، وعاد الناس إلى التجمع بعد أن زدد
عادهم، بل إلى لمر فوق من الحرس السباهي فداع الأعراب لهذه
الخصومات المنجدة لمقدماتهم، رغم تفوقهم الكبير في العدد، وأخذوا
يلوحون بأسلحتهم بمفوضة وعلى هذا الأساس حرب بعض التفسيرات
ولنوصيحات وأعد الصفه إلى صباحه وقد عرفوا بعد ذلك بأنهم كانوا
تصويرون بأن رؤوق المسمم هو من لرواق الأهلية التي كانوا معتادين على

= مثاب المنصص التي ربما كان قد تجاهلها حسب كتب بعض رجال التي أورده في
هذه الرحلة، لذلك سبه القدرى، لا ذلك ولا الحال أو شيئاً من هذا القبيل
يمكن أن ينطلي عليه

بأنفسهم والمحرش بها. وقد حدث الشيء نفسه حينما هاجم بعض الأعراب في
النهر صديقاً لنا كان مسافراً إلى الحبوب، وطعنوا فيه أن يدفع لهم رسوم
عتاطيه، لكن إطلاق أسلحة فوق رؤوسهم وبداء الحرم ولقوة تجاههم كما
كوفين لدفع الشر عنه

ولا عرو، فإن إبداء شيء من الحزم لا بد أن يرجع أعراب ما بين النهرين
إلى صوبهم في جميع لحالات تقرباً. لكن هذا الحزم يجب أن يصدر عن
حكمة وتعقل، وإلا فإنه قد يؤدي إلى ما لا نحمد عقاه. فإذا ما سمك أي
مقدار من الدهن، وكان الحصى متقوقاً في العدد، لا بد أن يكون لعروب
وحيمه والشفقة منهكة. وقد لم يحصل مقاومة في مثل هذه الحالات فيندر أن
يعمد لأعراب إلى القتل وقد دلت على ذلك ما وقع ثلاثة من الإنكسار من
سنرات قبله، حينما كانوا مسافرين في واحة خرجت من بغداد إلى استسول،
ففي موقع بالقرب من مريدين أجبست القافلة بعريق من الأعراب المسلحين
الذين طلبوا لفافله بجمع من المال بصفة رسم كمركي وقد كان من الممكن
أن سوى لمشكل بسونة سريعة تدفع قسم من لمسع المطلوب، غير أن
أحارب الثلاثة، الذين كانوا يعدون عن اتفاقية بمسافة قصيرة حينما وقع
المهجوم، استهجو فكرة ابصوح بالأعراب وسلمهم من قسهم فراحوا إلى
مرتفع من الأرض، وسرعان ما أحاطت بهم هناك ثمة من الأعراب المدحجين
بالسلاح الكامل فأعفت ذلك تهديدات وحركات بمعالیه كثيرة، وفي خلال
احتدام العصب من الطرفين، وتقدر مؤسف انطلق إطلاقه من مدس
أحدهم فأصابت اس لشيخ أو قريه وكانت نتيجة ذلك أن ش هجروم عاجل
عندهم فقطع المسافرون لمكودو الحظ إرناً إرناً في لحظة واحدة

وقد سبق أن عرفت من روايات سابقة أن هذا المعارك لا يكاد يسمك فيها
دم فكثيراً ما يتم انصر ويحصل انصر من دون حسمان ولا رحل وحدث بكنه
يجب أن يلاحظ أنه. بالإضافة إلى إحصاء الشخص من العرص إلى المحاصر،
هناك تقدير عام لموقف سمك اندم وأحد ثار الذي يعتبر كاجاً قوياً ضد أي
نزاع طائش إلى العنف على أن المعركة التي حارب مع عقيل م يطق فيها

هذه القاعدة، ومع ذلك فقد رأيت صالة الحسارة التي حلت باوشك الاعراب في هذه المناسبة، وقد تعرضوا أنفسهم للخطر.

وحوادث لثأر للدم هذه، على ما تصوي عليه من لطاعات والشعاع، لا تختلف لا قليلاً في صيغتها عما هو موجود منها لدى الأمم الأخرى، بما فيها حتى سكان بلادنا نحن في الأزمنة القديمة ومن الممكن أن نكتب مجلدات في تفصيلات هذه الموضوع، لكنني أستطيع أن أقول إننا سنشعر بحادثة واحدة أو اثنين، على سبيل تقديم الحاد، وهذه حادثة واحدة رأيت مدفوعاً إلى سردها لأنها حدثت بمعرفة رجل من أهالي بلادنا شهد بأمره دوراً من أدوارها

فقد كان فرع من فروع بني لام على حصار مع قبيلة أخرى من العرب، لا أتذكر اسمها، وفي حلال هذه الحصار سمعت كثير من الدم بين لطفين لاشع، لثأر لشخصي والانتقام لشرف السابقين من الأقارب فصادف في يوم من الأيام أن رجلاً بكسرياً كان يسبح في عريستين (خوستان) استضيف في حيمة شيخ القبيلة الأخيرة، فكانت مضيفة فيها سة الشيخ نفسه التي كانت تقوم مقام أبيها في هذا الشأن نظراً لعدم وجود أحد غيره من الأسرة في ذلك الوقت، وحينما حل الليل لجأ كل فرد إلى دأشه، بما فيها الصنف لعرب، لكنه اتيه قبل الصبح على صوت صراخ عرف منه أنه صوت مضيفة الشاة وهي تسغيث وتقول إنها قد ماتت فقام الجميع إلى محل الحادث، حيث وجدوا الميت المسكنة تعاني من كرات الموت، لأنها كانت قد طعنت في صدرها ثلاث طعاب عميقة بالحجر، وحينما كان الجميع ينصرون إلى الضحية لمحتصرة وبقدمون الإسعافات الممكنة لها سمع صوت من مكان مرتفع، عمو معرفة من محل الحادث، يادي قائلاً «يا أتي فعت ذلك، الحمد لله، قد فتلته» فاستدارت الأنظار كلها إلى ذلك الاتجاه الذي شوهدهم واقفة فيه مرأه عجمي تأتي بحركات المعاليه شديدة وحبيب هجم لجميع حيوها ركعت إلى حيث كانت الحيام قد نصب على حافة النهر، وهناك صوبت فسقت فيه واحصت عن الأنظار

وقد تبين بعد الاستفسار والتحقيق أن الشيخ الذي جمع مائة دينار له دت يوم امر فيه في معركة سابقة «بهنوان» يسمي إلى القصة الأخرى. فكاتب هذه حادثة تستوجب كل ما تقتضيه الصعوبة والثأر من خلاف وبعد مدة قصيرة دحل رجل غريب إلى المحيم فقولنا ما حسب لاعتقادي الذي يقتضيه وحدث الضيفة عند الحرب وكان من سوء الحظ أن يتعرف أحد رجال القيلة عليه ويكتشف أنه نفس «بهنوان» الذي كان قد قتل من الشيخ فما لدي كان يحب أن يصنع؟ فقد كان الرجل ضيقاً على نفسه، وكاتب جمع قواعد الصيفة تقصي بأسسة لعرب أن لا يمس سوء وكان الشيخ نفسه عثاً في مكر آخر، وبما كان حسن البه، الرأفة يسودان المحميين حدثت است الشاة موضوعاً اسحت وزحت تعف الرجل وتغيرهم بالحسن ولناظر في ثأر شيخهم ثم قالت افهم نريدود أن يكون قتل ابن شيخكم بين أيديكم فبعت منها؟ إن هذا يجب أن لا يقد مطلقاً، فلو في الحان أو تحدا عن اسم الرجل، على أن الإحجام مع كل لك بقي مستحوداً على أن ي الرجل وأسلحهم فمعهما عن السخاور على قواعد الصفة والمصنف مثل هذه الصراحة، برعم الحق الذي كان علي في صدورهم وبعد ذلك أمسكت الست، وهي مفعلة وحوار قبل أحبا بين طهراني الصفة وبصور فلانة منها، سيف في يدها وندرت إلى صرته فكان مصر الدم شيئاً لم يستطع الرجل مقاومتها، فسالت السيوف كلها في حقه واحده، وأعمدت في جسم صبيهم مكود الحظ الذي قطع إرباً إرباً

وقد عاد الشيخ فتمير عيصاً وعصاً لما فتره الماعلون من تنهاك وصح لواجبات لصفه لكنه فوص أمره أنه بعد أن لم يكن توسعه أن يفعل شيئاً لنلافي ما وقع فنصرمت الأيم واقصى ابر من وسيف لفيلة حادثة لقتل هذه كما تسمى غيرها من الحوادث غير أن أم لقتيل لم تنس ذلك مطلقاً ورد كاتب عزيمة غير لانقام لاسه طيب تعف المحيم للمعادي من عزيمة وتجنس لفرص مصر وناة، فلم تؤاها المصلحة إلا في تلك اللله المشؤومة التي كان فيها الرجل الإنكليزي، الذي يقص القصة هذه، صفاً بطر به الصدفة في حيمه لشيخ، وشهد سها تنقامها الوحشي

أما القصة التالية من قصص الثأر العربية، فهي عن جناب أكبر من الهول ولعظافة، وهي مستفادة من بعض يوميات لكونرديل نابلور عن القاتل العربية وتحتصر بفترة أبعث في القدم قبل عشرة لمستعش، لتي شرت إلى قوتها وسنوتها من قبل، تستمد قوتها الرئيسية في الأساس من قبيلتين رئيسيتين هما سيل سي مالت والأجود وهاتان القبيلتان، وإن كانت متحدتين في الوقت الحاضر، كان بينهما خصام عتف من قبل وقد كان مسبب الصراع اختلافهما على حق المرمى في مناطق معينة، وكان هو مالت هم المسيطرين بما محقت الأجود. وبسبب هذه كانت القبيلة وشجعهم، أحد كل رجل من رجال الأجود يسلح نفسه للمعركة ويقترحم الموت في لذب عن لقعة التي كان آدؤه يرفعون فيها قطعهم غير أن هذ لظفر ادمي على ه كان فيه من شدة وسادة لم يكن كافياً تحاه ما كان يسار سلیمان، رئيس سي مالت، من نسو مقعم بالحذر. فقد كان يتخوف مما قد يصيب قبيلته من اختصاص محف في لمسكيل، فيما لو بقي حتى ولو شخص واحد وخاصة من الرجال على قب لحة من القبيلة المخاصمة وذلك اتحد ترتبب نظمة بعدم فيها إلى قبل ساء لك القبيلة كنهن، وبذلك يضمن القضاء على نسلها بمثل هذه الوسيلة لشعة بعد هذ لعمل الشطائي، ولم يسلم من لسوء إلا واحدة ألفت نفسها على قدمي رئيس من رؤساء سي مالت فأقدها بعطف منه بعد أن جارف بحبه من أحدها، لأنه حرج وكاد ينقطع جسمه بأسيرف دوعاً عن محمته ومن هذه المرأة الشابة، التي كانت حاملاً في يوم المجردة، وبذ عبد الله الذي أصبح فيما بعد مؤسساً لقبيلة سميت نسلها من مش رؤسها الحاضر سميت «قبيلة اسامو»^(١) وقد وقعت المجردة في واد من اوديان الحملة التي يمكن أن توجد بين احيال حتى هي تجربة الحرية العربية المحيرة العقيمة، حيث يمكن الحصول على الماء من قوم سطح التربة في كل مكان وتعطي الأرض في الربيع وأوائل الصيف بعشب غرير يكون مرضى ممتازاً

(١) سم معشر على قبيلة به، لاسم، لكن المعروف أن، بحرة الأجود «شم» بالتصغير وربما يكون بهذه الكلمة علاقة بالقصة

وبقعة مثل هذه هي التي يود العربي أن ينصب محيماً فيها فهي جملة
 ممرعه إذا ما فورت بالبادية المحيطة بها، وليس من لعجب واسحالة هذه أن
 يستأجر العربي وكافح من أحد الحفظ على حقه في لتمتع بمنزل هذا الملحاً
 والملاذ ويقع هذا الوادي على بعد خمسة عشر ميلاً حربي لمصرة الحديثة،
 وهو يحتفظ حتى يومنا هذه بالاسم الذي أطلق عليه في تلك الواقعة
 لمشؤوم، حيث إنه يسمى اليوم «وادي الساء».



فهرس الأعلام

- أ
أحمد أم (مكجي ناشي) ١٢٢
أحمد أغا الحية جي ١٥٦
الحاج أحمد أغا (متولي المنيب) ٢٠
أحمد بك (آخر محمد باشا) ٢٠ ، ٢٣
أحمد سوسة ٨٣
إسحاق انصراف ١٢٠ ، ١٧٠
أسعد باشا (سعيد باشا) ٩٥
أسعد اسائب، الحاج ١٣٠ ، ١٥٢
الإسكدر البغدوني ٦٦
إسماعيل أغا ٧٠
إسماعيل باشا ٢٧
إسماعيل الصمري، الساه ٢٠٥
- أ
أمن الدولة ١٧٨
أمناس الكرمل، الأب ١٠١ ، ١٩٩
أوسيه أيلوي (الرحالة الفرنسي) ١٢٢
أوعوز بك ٢٠
أوكترنوي ١٧١
أولنا چلي ١٣٤
- ب
بم شمس الفريشي ٢٠٤
بيريد بك ١٧ ، ١٨ ، ٢١
بيدليسي ٥٣
بكر أفندي ١٠٢
بكهام ٧٥ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤
٨٧ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ١٧١
بير حصر شاهو ٤٦
بيرسي سايكس ١٧٨
بلي فريز ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٨٠ ، ٨٢
- ت
تالور، الكولونيل ١٧ ، ٧٣ ، ٩٦ ، ٩٨

۹۹، ۱۰۳، ۱۰۶، ۱۰۹، ۱۲۲، ۱۷۵، ۱۷۶، ۱۹۹، ۲۰۱، ۲۰۴

۱۷۴، ۱۸۲، ۱۸۴، ۲۱۱، ۲۱۵

نصور جان ۲۰

درويش پشا (لفریق) ۴۱

دربريه ۲۰۳

دوعاما ۵

دبار ۵

دي ماركي ۱۵۵، ۱۵۶، ۱۵۷

ر

رحمة الله اعد الجيه جي ۱۲۶

رستم (الملوك) ۱۲۸

رستم آغا (صايط المكرية) ۱۲۰

رستم آغا ۳۱، ۵۳، ۵۴، ۵۵، ۵۷

۵۸، ۶۳

رسول بک ۲۰، ۲۱، ۲۴، ۲۷

رسول حاري الكركوكي ۱۳

رشد پشا الكورلگلي ۲۸

الرصاء الإمام ۲۰۴

رضا علي مرزا ۱۱۱

رصوان آغا ۱۳۰

رمضان آغا ۱۲۱

روص (الطبيب) ۱۶، ۱۷، ۱۸، ۱۹

۲۰، ۲۱، ۲۲، ۲۴، ۲۵، ۲۶، ۲۷

۱۸۲، ۱۸۳، ۲۰۲، ۲۰۳

ريج، كلودنوس ۸۵، ۱۶۹

ز

زنده ۶۳، ۱۳۹، ۱۴۰

زراشت ۱۳

الزعفراني المسند ۱۷۶

ج

جعفر البرمكي ۶۳

جميل روز يدي ۵۳

جهنگير آغا ۶۳، ۶۶، ۶۷

ح

حبة حاتم ۱۲۴

حسن الحمود، الشيخ ۲۳

حسن پاشا (كوچو) ۱۹

الحاج حسن پاشا، الكبير ۱۱۰

حسن علي مرزا ۱۷۸

حسين علي مرزا ۱۷۸

حمدي بک المهردار ۱۳۰

خ

خالد آغا ۱۲۱

الشيخ خردعل ۲۰۸

الحاج خيل ۱۲۴، ۱۲۶

د

دانش آهسي ۱۱۹

داود پاشا ۹، ۳۲، ۷۵، ۷۹، ۸۱، ۸۸

۹۵، ۹۶، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۱۲، ۱۱۷

۱۱۹، ۱۲۱، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲۵

۱۲۶، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۳۴، ۱۴۱

۱۵۴، ۱۵۵، ۱۶۸، ۱۶۹، ۱۷۰

زمرہ خاتون ۱۲۹

س

ساردا نا پولس ۴۸

سعدون (المملوک) ۱۲۸

السید سعید (إمام مسقط) ۱۴۱

سعد پاشا (ابن سلیمان الکبیر) ۱۲۵

سلیمان بك ۲۳

سلمیٰ حاتم ۱۵۴

سلوقس ۷۶

سلیم آغا ۳۱، ۵۱، ۵۳، ۶۳، ۶۴

سیم پاشا ۲۴، ۴۱، ۵۲

سیمان (نو مانك) ۲۱۵

سیمان آغا (المیر آخور) ۱۲۰

سیمان بان ۳۱، ۳۲، ۵۴

سیمان پاشا الصغیر ۱۵۴

سیمان پاشا الکبیر ۸۳، ۱۱۱، ۱۲۵

۱۶۰، ۱۸۰، ۱۸۳

سیمان بك ۲۰، ۱۴۶

سیمان غلام ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۹۳، ۲۰۱

سیمان عاتق ۱۲۴، ۲۰۱

سمیرامس ۱۹، ۴۸، ۵۵

سندی بن شاهك ۲۰۴

سی عصمتی ۸۹

سید پاشا ۲۴، ۲۷

سید هندی ۲۵

ش

شعلہ اشلا، الشیخ ۱۹۳

شلاش (شیخ الجریا) ۱۲۷، ۱۲۸

ص

صادق افندی ۱۱۷، ۱۱۹، ۱۲۰

۱۲۱، ۱۷۰

صادق بك (بن سلیمان الکبیر) ۱۲۵

صاحب آغا (حاكم المحاریل) ۱۲۰

صاحب بك (ابن سلیمان الکبیر) ۱۲۳

۱۲۴، ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۲۷، ۱۲۹

صفوك (شیخ شمر) ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۳۶

۱۳۷، ۱۷۳، ۱۸۲

صمد خان ۴۴

ظ

ظاهر بك ۴۶

ظن السلطان ۱۷۷

ع

عاس العزوي ۱۳۴

عبدالحمید حن، السلطان ۱۵۴

عبدالرحمن پاشا بان ۳۱، ۵۴

عبدلعزیز (شمر) ۱۳۱

عبدالمی جمیل ۱۳۰

عبدالقادر پاشا ۱۱۵

عبدالقادر الخطیب الشہرانی ۱۰۱

عبدالقادر ریادة الموصلي ۱۳۰

عبدالقادر اگیلاسی، الشیخ ۱۵۱

۱۶۸، ۱۶۵، ۸۱

عبدالکریم آغا ۵۴

عبدالله (الأجود) ۲۱۵

عبد الله خان ٤٤

عبد الله بن طروس ٢٠٤

عثمان سبي بك ١٣٠

عجيل الماور ١٣٦

عزيز أعا ١١٥

عشتر ٤٨

علي أعا ٦٤، ١٢٨

علي أعا اليسرچي ١٣٠

علي پشا ١٤، ١٨، ٢٧، ٢٨، ٢٩

١١١، ١١٧، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤

١٤١، ١٦٨

علي حوجة ٦٣

ملا علي الحصي ١٣٠

علي رضا پشا ٩، ٤١، ١٢٦، ١٢٧

١٢٨، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦

١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٧٦، ١٩٣

٢٠١

علي طريف الأعظمي ١١٥، ١٢٠

عمر پشا (من المماليك) ١١٠

عمر پشا سردار أكرم ٤٧

عول حصر أعا ٤٤، ٤٦، ٤٩، ٥٢، ٥٣

غ

امستور عروفر ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠١

١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦

١٠٨، ١٠٩، ١١٣

ف

فتح علي ش. ٣٢، ٧٧

مرحان پشا (شمر) ١٣٦

فرمان فرما ١٧٧

لفصل بن يحيى (الرمكي) ٢٠٤

فليكس جور، الكرماتلر ٨٠، ١٥٥

فلي، المستر ٢٠٢، ٢٠٣

ق

قاسم أعا، قسم پاشا لعمرى ١٢٣،

١٢٤، ١٢٦

قرة سر ١٢٤

ك

كورنكالي، لأور ١٧٣

كيجيمسرو بك ٤٧

ل

لويجي بك ٥، ٧، ٨، ٢٤، ٢٧، ١٢٠،

١٢١، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٩، ١٥٤

م

ماكسل ٣٨

مأمون المصطفى (درويش) ١٥١،

١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥

محمد (أبي) ٣٤

محمد أعا (حاكم الحدة) ٢٠٣

محمد أعا (مترجم الاحتساب) ١٢٤

محمد أفندي مصرف ١١٩، ١٢٠، ١٢١

محمد پاشا الأعور (كور) ٩، ١٤، ٢٠،

٣٢، ٤١

محمد خن (أعا) ٦٦

محمد خزان (مترتيب) ٤١، ٤٢

محمد شاه ١٧٦، ١٧٨

محمد عني پاشا (مصر) ٢٣، ١١٩

محمد عني مرزا ٣٢، ١٧٨

محمد التيلاني ١٣٠

محمود البهائي ٣١، ٣٢، ٥٤، ١٢٥

محمود پاشا (بيرقدار) ٢٨

محمود شاه ٢٠٥

مدحت پاشا ١٩٩

مراد، السلطان ١٥٥

المستضي بالله (الحديقة العباسي) ١٣٩

مسرور (خدم الرشيد) ٦٣

مصطفى جواد، الدكتور ٨٣، ١٣٩

المير مصطفى (والد مير داودلوز) ١٣٣

١٨، ٢٠

المكتفي بالله (لملحة العباسي) ٨٣

مورير ٤٢

موسى پاشا ٢٤

موسى لكظم، الامام ٢٠٤، ٢٠٥

ن

نابليون ٧

نادر شاه ١٦، ٢٠٥

ناصر لدين الله (الحديقة العباسي) ١٣٩

نصرت قلي ميرزا ١١

نصير پاشا ١٧٦

نور (الرحمة) ٦٩، ١٣٩

و

وادي النصيح الثلث، شمع ١٩٣

وودهاوسلي، الفورد ١١



هارون الرشيد (الحديقة) ٢٣، ١٣٩،

٢٠٤

هري لندي ييئون، السر ١٧٨، ٢٠٥

ي

يحيى پاشا الحبيبي ١٣٦

يحيى بن خالد (المير مكّي) ٢٠٤

يعقوب الصراف ١٧٠

الحاج يوسف أعا ١٥١

يوسف پاشا (الصنار الأعظم) ١٥٤

يوسف بك (باب العرب) ١٦٤

فهرس الأمكنة والبقاع

الأعظمية ١١١	آ
أعدسان ١٦٨	اسية ٢٩، ٧١
الراشة ١٦٨	أشور ١٠، ١٧، ٤٨، ٥٥، ١٦٣
أمريكا ٣٣، ١٩٧	الون كوري ١٨، ٢٢، ٢٧
أمريس ١	أ
أميرة ١، ٢٥، ٣٨، ٥٦، ١٤٣	إبراهيم حاجي ٣٩، ٥٠، ٥٤، ٥٥
٢٠٣، ٢٠٢، ١٨٤، ١٥٦	أدين كوي ٦٣، ٦٦
الأموار ٢٠٨	أدريجان ١٣، ٤٥
أورقة ٣٣، ١٠٩	أربيل ١٤، ١٥، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٣
أوشو ٢٩	٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٣
إيران ٨، ٩، ١٠، ١٤، ١٧، ٢٥	أردلان ٩، ٤٠
٣١، ٣٢، ٣٣، ٤١، ٤٦، ٥٣، ٦١	أرضروم ٣٢
٧٦، ٧٧، ٨٤، ٩٦، ١٠٧، ١٤٠	أرومية ١٣، ١٤
١٧٧، ١٧٨، ٢٠٥، ٢٠٨	استبول ٧، ٨، ٩، ١١، ٢٩، ٩٠
ب	٩١، ١١٢، ١١٧، ١١٩، ١٢٢
باب انحلة ١٨٣، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٥	١٢٦، ١٢٧، ١٤٥، ١٥٠، ٥٣
باب السلطاني ٨٠	١٥٦، ١٥٨، ١٦١، ٢١٢
باب الشبح، محله ١٧٥	استرabad ١١٢
باب المعظم ٨٠	إسكوتلاند ١١
باب الموصل ٨٠	أشتو ١٤
باب الوسطي ٧٢	أصفهان ١٧٢، ١٧٧، ٢٠٥

١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٦٤، ١٧٥،	١٦٩، ٩٣، ٨١، ٧٦، ١٠، ١٧٤، ١٧٣
١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٩،	١٧٤، ١٧٣
١٩٣، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤،	١٧٤، ١٧٣
٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٢،	١٧٤، ١٧٣
السدة ٥	١٧٤، ١٧٣
نوشهر ١١١	١٧٤، ١٧٣
نومبي ٧٠، ٨٠	١٧٤، ١٧٣
البيرو (بيرو جت) ٢٠٨	١٧٤، ١٧٣
بيروت ٢٠٣	١٧٤، ١٧٣
بيكانديلي ٩٣	١٧٤، ١٧٣
ت	١٧٤، ١٧٣
نيرير ٨، ٩، ٢٨، ٤٠، ٤١، ٨٧،	١٧٤، ١٧٣
١٥١، ٢٠٥	١٧٤، ١٧٣
نيره ريبيد ١٦٤	١٧٤، ١٧٣
نيرك... ١٦٨	١٧٤، ١٧٣
نيرك ٣١، ٨٣، ٨٧	١٧٤، ١٧٣
نيرمير كروس ٩٣	١٧٤، ١٧٣
نيرك ١٤٣	١٧٤، ١٧٣
نيرك ٨٧	١٧٤، ١٧٣
نيرك امولويه ٧٩	١٧٤، ١٧٣
نيرك...ام ١١٢	١٧٤، ١٧٣
ح	١٧٤، ١٧٣
جامع لأصعة ٧٩	١٧٤، ١٧٣
جامع حصر ياشا ١٩	١٧٤، ١٧٣
جامع بحبي ١٨١	١٧٤، ١٧٣
جامع سوق العزل ٨٣	١٧٤، ١٧٣
جامع عدم ١٨١	١٧٤، ١٧٣
١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٦٤، ١٧٥،	١٦٩، ٩٣، ٨١، ٧٦، ١٠، ١٧٤، ١٧٣
١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٩،	١٧٤، ١٧٣
١٩٣، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤،	١٧٤، ١٧٣
٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٢،	١٧٤، ١٧٣
السدة ٥	١٧٤، ١٧٣
نوشهر ١١١	١٧٤، ١٧٣
نومبي ٧٠، ٨٠	١٧٤، ١٧٣
البيرو (بيرو جت) ٢٠٨	١٧٤، ١٧٣
بيروت ٢٠٣	١٧٤، ١٧٣
بيكانديلي ٩٣	١٧٤، ١٧٣
ت	١٧٤، ١٧٣
نيرير ٨، ٩، ٢٨، ٤٠، ٤١، ٨٧،	١٧٤، ١٧٣
١٥١، ٢٠٥	١٧٤، ١٧٣
نيره ريبيد ١٦٤	١٧٤، ١٧٣
نيرك... ١٦٨	١٧٤، ١٧٣
نيرك ٣١، ٨٣، ٨٧	١٧٤، ١٧٣
نيرمير كروس ٩٣	١٧٤، ١٧٣
نيرك ١٤٣	١٧٤، ١٧٣
نيرك ٨٧	١٧٤، ١٧٣
نيرك امولويه ٧٩	١٧٤، ١٧٣
نيرك...ام ١١٢	١٧٤، ١٧٣
ح	١٧٤، ١٧٣
جامع لأصعة ٧٩	١٧٤، ١٧٣
جامع حصر ياشا ١٩	١٧٤، ١٧٣
جامع بحبي ١٨١	١٧٤، ١٧٣
جامع سوق العزل ٨٣	١٧٤، ١٧٣
جامع عدم ١٨١	١٧٤، ١٧٣

الحاصل ٦٨ ، ٦٩ ، ١١١ ، ١٣٠
 خان الأورم ١٥٥
 خان مرجان ١٥٥ ، ١٧٤
 خاتقن ٤٢ ، ٥١
 حراة ٤٠
 خليج النصرة ٦٥
 خليج العربي ٥ ، ٦ ، ٢٠٧
 خورستان ٢٠٨ ، ٢١٣

د

دجلة ١٥ ، ٢٣ ، ٥١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
 ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٩٨ ، ١٣٧ ،
 ١٧٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١١

دكند ٤١ ، ٤٨

ديو ٣ ، ٥

دهي ١٧١

دني عبس ٦٦ ، ٦٩

دمدم ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١

دمشق ٨٧ ، ١٠٦ ، ١٨٠ ، ١٩٣

دهوك ٢٧

درر كوريكالرو ١٧٣

ديار بكر ٢٨ ، ١٢٣

ديالى ١٠ ، ٦٦ ، ١٣٥

الديون خاة ٥٥

ر

رأس الحيمة ٢١١

رية ٢٧

رشت ١١٢

جامع القصر ٨٣

جامع صرخان ١٧٤

جامع الوزير ٧٩

خان دير ٥١

خيل حمير ٦٣ ، ٦٥

خيل مسجار ٣٥

خلا أحا وسلمي ١٣٥

خريزة ابن عمر ٢٧

خريزة العرب ٢٠٧ ، ٢٠٩

جسر الشهداء ٧٨

الجسر القديم ٧٨

جعفر ٤٧

جمع جمال ٤٦ ، ٤٧

حوة ٥

خو برو ٤٦

جورجيا ١٤٢

الجوعى ١٦٣

ح

خريز ٢٧

حسكف ٢٧

حلب ٨٧ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٥١ ،

١٥٤ ، ١٨٠

خليجة ٤٦

لحله ١٠ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ،

١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨

ح

الحبور ٢٠٧

روبلدوز ٩، ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨،	مسحط ٢٧، ١١١
١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧،	سوح بولاق ٣٤
٢٩، ٣٢، ٣٣، ٤١، ٤٢، ٥٢	سورية ٥، ١٥٤
روسية ١٤، ٢٥، ٣٣	سوسانا ٢٠٨
روم ١٠٩، ١٧٢	سوق البرازيل ٨٠
رييث ١١	سوق العارة ٨٠
ز	سوق التوتوجية ٨٠
لراب ١٨، ٢٤، ٢٦	سوق السطح ٨٠
الراب الأسفل ٢٧	سوق السكة خدنة ١٥٥
الراب الكبير ١٩	سوق الشيوخ ١٠، ١١٢، ٢٠٣
راحو ٢٧	سوق الصمائر ٨٠، ١٥٦
زالة ٣١، ٤٣، ٤٨، ٥٠	سوق الصباغ ٨٠
الربير ٥	سوق لغو ٨٠، ٨٣
رجبير ١٤١	سوق لقر ٨٠
ديكنه ٥٤	سوق ليور عسجة ٨٠
س	سولنو ١٣
سوادنت ١٢، ٤٤، ٥٤	سبرودرس ٣٨
سكرمه ٤٧	ش
السكة حده ١٥٥، ١٥٦	نشام ٢٠٣
سليماس ١٣	شيشتر ١٧٧
سلوفية ١٠، ٧٦	شع الحى ٢٠٧
الليمانية ٩، ١٣، ١٤، ٣٠، ٣١،	شفلازه ٤
٣٢، ٣٦، ٣٨، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٦،	شهرور ٣١، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٤،
٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٥، ١١٢،	٤٦، ٤٧
١٢٥	شرو ٢٧
السمارة ١١٢، ٢١٨	شرواه ٤٢، ٤٦
سميث فند ٩٣	

ص

اصحابونه ١٢٠

اصلاحية ٥١

صوب عگيل ١٨١

اصين ٢٥، ١١٠، ١٤٣

ط

طاق كسرى ١٠، ٧٦

طرح ١٣

صه ان ١٧٨، ٢٠٥

طور خرماتو ١٢٠

ظ

اظفوية ٧٢

ع

عانة ٢٠٨

اعراق ٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ٢٤، ٤٦

٤١، ٩٠، ٩٥، ١١٠، ١٢٢، ١٢٥

١٣٥، ١٣٦، ١٤٢، ١٦٩، ١٧٦

عربت ٤٠

عربستان ٦١، ٢٠٨، ٢١٣

العرجة ١١٢

عصرة ١٣، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧

عشقوف ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧

العمادية ١٣، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٣

٢٤، ٢٧، ٢٨

غ

غلستر شاير ١٤٣

ف

فارس (يران) ١٧٧، ٢٠٥

الفرات ٦٦، ١٣٧، ١٧٤، ٢٠٧، ٢٠٨

فرسه ٧

فلورنس ١٠٩

فومن ١١٢

ق

قادر كرم ٥٤

قبيس ١٤٣

لقرنة ٢٠٨

قرد به ٦٣، ٦٤

اقسططية ٨٨

القشة ١٣٤

قسم ٦

القفس ٨٧، ١٤٢

القعة (في بغداد) ١٢٤، ١٥٥، ١٨٦

القعة (في شهرزور) ٤٠

قصر علي (محلة) ١٣٠

قهوي عگيل ١٨١

ك

كاروب، نهر ٢٠٨

كاشان ١٤٣

الكاظمية ٨٨، ١٣٦، ١٩٣، ٢٠٤

كربلاء ٥٣، ٨٨، ١١٢، ١٧٥، ١٧٦

١٧٧، ١٧٩، ١٨١، ٢٠٥

كرجستان ١٤٢

كسكج ٧٩، ١٣٤، ١٥٢، ١٨٠

ليون ١٤٣ ، ٤٥	١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٤ ، ٢٠١
م	لكرخة ، مهر ٢٠٨
م بين السهرين ١٠ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٢	كرديستان ٨ ، ٩ ، ٢٨ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٩
١٠٨ ، ١٣٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٢	٦٥ ، ١١٢ ، ١٥٧
ماديرا ٧٨	كرده بريونه ٤٧
ماردين ٢٧ ، ٢١٢	كر كوك ١٥ ، ٢٣ ، ٤٦ ، ٧٢ ، ٨١
مارميران ١١٢	١ ٢
لمحاصيل ١٢٠	كوشناه ٢٢ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٢
مدريد ٨٥	١١٢ ، ١١٤ ، ١٤٣ ، ١٧٧ ، ١٧٩
مدعشقر ١٤١	گرميان ٤٢
مراغه ١٤	كهرزي ٢١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤
لمستصرية ١٦٣	٦ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤
مسقط ١٤١	انكوت ١٣٥
المستبح ١٢٠	گوردنيا ٦٥
مشهد عبي ٨٨	كو كسر ٩٣
مشهد ، يلامين ، الكاظمين ١٣٩	گولمر ٤٠
مصر ٥ ، ٨٨ ، ١١٩	كويه ١٤
امطهر ١٧٢	كوي ٢٧ ، ٥٤
المقيميه البريطانية ٧٣ ، ٩٣ ، ٩٨	كوير ٢٣
١٠٣ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩	كويستحق ٤١
١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٠	كحسرو بيگي ٤٦
٢٠١ ، ١٩٥	كيلان ١١٢
المكره ١٢١	ل
مدلي ١٠	لا ديابيل بواتر ٨٥
المصويه ٦٦	لاهيجان ١٣ ، ١٤ ، ١١٢
الموصل ١٧ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٢	لملوم ٢٠٨
	مدن ١١ ، ٣١ ، ١٦٨ ، ٢٠٣

فهرس القبائل والشعوب والأديان

الإيرانيون ٦، ٣١، ٣٣، ٤١، ٤٦، ٥٢،
٢٠٥، ١٧٧، ١٧٥، ٨٨، ٦٦، ٥٩، ٥٤

ب

البابانيون ٢٠، ٢٧، ٣١، ٤٦، ٥١

البدرخانيون ٢٧

البلو ٨٨، ٩٠، ٩٢، ١٩٦

البوادوست ٢٧

البرامكة ١٩٣

البراهميون ١٦٣

البرتغاليون ٦

البريطانيون ٦

البغداديون ١١١

البلباس ١٣، ١٤، ٤١

بنو كعب ٢٠٨

بنو لام ١٣٦، ٢٠٨، ٢١٣

بنو مالك ٢٠٨، ٢١٥

بهرام بيكي ٤٦

البوداخي ٤٦

بيت البيرقدار ٥١

بيت الحنيني ١٨١

آ

الآشوريون ٤٨

آل محمد (شيخ شمر) ١٣٥

أ

الأبازة ٨٧

الأجود ٢٠٨، ٢١٥

الأرمن ٨٨، ٩٠، ٩٩، ١٠٩

الأرناؤوط ١٢٨

الإسلام ٢٩، ٤٥، ١٠٣، ١٤١، ١٤٦

١٦٢

الإفرنج ٥٦، ١٠٣، ١٦٩

الأكراد ١٠، ١٤، ٢١، ٢٢، ٢٣

٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٤٤، ٥٢، ٥٧

٥٨، ٥٩، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٨٨، ١٩٦

الألبانيون ١٣٧، ١٥١، ١٥٢، ١٨٩

أبو سلمان ٢٦

الإنكليز ٦، ٨، ٥٢، ٥٧، ٦٦، ٧٢

١٢٢، ١٤٢، ١٧٨، ٢٠٥، ٢١٢

الأوروبيون ٧، ١٠، ١٩، ٣٨، ٩٦

١٩٠، ٩٧

الروس ٤٥، ٥٢، ٨٧، ١٧٨، ٢٠٥

الروغزادي ٤٣، ٤٦

ز

زبيد ٩، ١٠، ١٢٥، ١٧٤، ١٩٣،

١٩٤، ١٩٥، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٣،

٢٠٤، ٢٠٧

زبيد الأصغر ١٩٣

زبيد الأكبر ١٩٣

زنكته ٥٤

س

سعد العشرة ١٩٣

ش

شاطري ٤٣، ٤٦

الشراكسة (الجركس) ٨٧، ١٢٣

شمر طوقه ١٣٥

الشورجي ٢٧

الشيروان ٢٧

الشيعة ٢٠٤

ص

صدائي ٤٦

الصفويون ٥، ١٥٥

ط

الطرخاني ٤٦

طبي ٢٢، ٢٣، ١٣٦

ع

المبيد ١٩٣

العثمانيون ٤٦، ١٢٨

بيت دلة ١٢٦

بيت سليمان الصالح ١٨١

بيت الكحيمي ١٨١

بيت اللاحم ١٨١

ت

التتر ١٥٢

الترك (الأتراك) ٥، ٨، ٢٢، ٦١، ٦٦،

٧٥، ٧٧، ٨٩، ٩٠، ١٣٤، ١٤١،

١٤٤، ١٥١، ١٨٤

التركماني ٥، ٥٨، ١٩٦

ج

الجاف ٣١، ٤٢، ٤٦، ٤٧

جاف إيران ٤٦

جاف العراق ٤٦

جاف مرادي ٤٦

الجبور ١٩٣

جريا (شمر) ٩، ٢٣، ١٢٣، ١٣٣،

١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٩٣، ٢٠١،

٢٠٧

خ

الخزاعل ٢٠٨

د

الدليم ١٩٣، ٢٠٧

ر

ربيعه ٢٠٨

الروم الكاثوليك ١٥١، ١٧٢

روان ١٤

العجم ٥٤

ل

العرب ١٠، ٢٢، ٥٨، ٦١، ٦٣، ٦٥، اللاز ١٢٣

٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٨٨

م

المسيحيون (النصارى) ٨٨، ٩٩

١٤١، ١٤٤، ٢٠٤

المغول ٥

الممالك ٧، ٩، ٩٥، ١٢٤، ١٢٥

١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٥٢، ١٥٤

المتنك ١٠، ٢٠١، ٢٠٨، ٢١٥

الميكائيلي ٤٦

ن

النوجية ١٤

النجم الديني ٤٦

هـ

الهاريوني ٤٦

هركية ١٤

الهماوند ٢١، ٤٦، ٤٧

الهنود ٧٣، ١٧١

الهنود الحمر ١٩٧

الهولانديون ٦، ١٧٢

و

ولد ييكه ٤٦

الوهايون ٢١١

ي

يزدان بخشي ٤٦

اليهود ٤٤، ٨٨، ٩٠، ١٠٤، ١١٤

١٤١، ١٤٤، ١٧٠

غ

الغزي ٢٠٨

ف

الفضول ١٣٦

ق

القحطانية ١٩٣

قريش ١٣٩

القصيمات ٢٠١

ك

الكرج ٨٧، ١١٧، ١٢٧، ١٢٨، ١٤٢

كلالي ٤٦

كبخسروبيكيه ٤٦

فهرس المحتويات

٥	مقدمة المترجم
١٣	الرسالة الأولى
٣١	الرسالة الثانية
٦٣	الرسالة الثالثة
٧٥	الرسالة الرابعة
٩٥	الرسالة الخامسة
١١٧	الرسالة السادسة
١٣٣	الرسالة السابعة
١٥١	الرسالة الثامنة
١٧٣	الرسالة التاسعة
١٩٣	الرسالة العاشرة
٢٠٧	الرسالة الحادية عشرة
٢١٧	فهرس الأعلام
٢٢٢	فهرس الأمكنة والبقاع
٢٢٩	فهرس القبائل والشعوب والأديان